نموذج ترخيص

أنا الطالب : محمد فريد راوي بن عبد الله أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن.

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: محمد فريد راوي بن عبد الله

التوقيع:

التاريخ: ١١/٥/٢٠١٥.

جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

محمد فريد راوي بن عبد الله

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

تفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١٥م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٨م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- الدكتور محمد خازر المجالي، مشرفاً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	....
٢- الدكتور أحمد خالد شكري، عضواً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	....
٣- الدكتور سليمان محمد الدقور، عضواً أستاذ مشارك – التفسير وعلوم القرآن	....
٤- الدكتور طالب محمد عبد القادر الصرايرة، عضواً أستاذ مشارك – التفسير وعلوم القرآن (جامعة مؤتة)	....

12/05/2015

الإهـداء

- إلى روح والدتي، آمنة بنت عبد الله، التي كانت خيمة الحنان وغيمة المكان، فأقرأ لها هذا الإهداء وهي في دار القرار، سائلاً المولى سبحانه أن يسكنها فسيح جنانه.
- إلى من صبرت علي، وعلى فراق الأهل: زوجتي الغالية سوزيانا محمد سويونج، التي كانت عوناً لي في إكمال دراستي.
- إلى بناتي: أسماء نبيلة، فاتن حسنى، أنيس سمية، عزّة الإيمان، خيرَ ألفة، واللاتي هن قرة عيني ما دمتُ حياً.

أهدي إليهنَّ جميعاً هذا الجهد العلمي المتواضع ..... الباحث

الشكر والتقدير

أقف في هذا المقام عاجزاً عن الشكر، فلا بد من ردّ الإحسان بالمثل، لكل من جعله الله سبباً في إتمام هذه الأطروحة.

وأتقدم أولا بالشكر الجزيل، والثناء الجميل، إلى مشرفي المفضال، الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي حفظه الله، الذي أعطاني فما بخل، وضحى بما بذل من وقت وجهد وملاحظات، مما أسداه إلي من جواد فكره، وسوانح وقته.

وأتقدَّم بالشكر الجزيل إلى قسم أصول الدين في كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، وكافة أساتذتها الكرام الذين تتلمذت على أيديهم، وأخص منهم: الدكتور جهاد النصيرات، والدكتور سليمان الدقور، والأستاذ الدكتور أحمد شكري، والدكتور أحمد نوفل.

كما لا أنسى الفضل للكلية الجامعية الإسلامية العالمية والحكومة الماليزية التي ابتعثتني إلى الجامعة الأردنية لمواصلة الدراسة في مرحلة الدكتوراة.

وكذلك أتقدَّم بجزيل الشكر إلى أخي داتؤ سري محمد شفيق عبد الله وزوجته داتين سري ميسون شيخ عبد الرحمن، اللذَين كانا خيرَ عونٍ لي ولأهلي في غيابي عنهم.

ولا أنسى زوجتي العزيزة التي أمدتني بالعون والراحة، وكانت مثال الزوجة الصابرة المضحية الراشدة.

وأخيراً، واعترافاً بالفضل والكرم لذويه، واستجابةً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لاَ يَشكُر الناسَ لاَ يَشكُر اللهَ»[(1)] أتقدَّم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى مَن كان له فضل في إنجاز هذه الأطروحة من نواح مختلفة، ومنهم لا سيما: صديقي الباحث المؤلّف الأستاذ سيد عبد الماجد الغوري، الذي أتحفني بآرائه المفيدة فيما يتعلّق بالموضوع، وأمدَّني بالمصادر والمراجع المفيدة حول الفراهي. والأستاذ مصدِّق مجيد خان الندوي، الذي ساعدني في تعريب بعض النصوص الأردوية في كتب الفراهي فأحسن وأجاد. والشيخ أحمد أشفق الإصلاحي، الذي تكرَّم علي بإهداء بعض الكتب القيمة للفراهي وصُوَر بعض مخطوطاته النفيسة أثناء زيارتي لمدرسة الإصلاح بأعظم كره في الهند.

والشكر موصول إلى الأساتذة المناقشين الأفاضل، الذين تحمَّلوا عبء قراءة هذا البحث، وتفضَّلوا عليَّ بقبول مناقشته، وتجميله بملحوظاتهم، وتنقيحاتهم.

وإليكم جميعاً جزيل شكري، وكبير قدري، وكثير امتناني ..... الباحث

---

(١) أخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي في **الجامع**، دار السلام، الرياض ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص٤٥٤، رقم١٩٥٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن

إعداد
محمد فريد راوي بن عبد الله

المشراف
الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

الملخص

تناولت هذه الأطروحة دراسة جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن، حيث إنها استهلّت بنبذة عن دخول الإسلام في بلاد القارة الهندية، ثم استعرضت الجهودَ المبذولة في مجال التفسير وعلوم القرآن في هذه البلاد قبل الفراهي، ثم سلّطت الضوءَ على حياة الفراهي من أهم جوانبها الذاتية والعلمية، مع عرض شذرات من أقوال العلماء والأعلام التي قيلت فيه مدحاً له وثناءاً. ثم درست منهجَ الفراهي في تفسيره نظام القرآن، فتحدَّثت عن مفهوم النظام عنده وعند غيره من المفسرين قبله، وعن منهجه في الاستدلال بالحديث، وعنايته بالكتب السماوية، وبالقراءات، وعن منهجه في تفسير آيات الأحكام، واستدلاله بالشعر العربي. ثمّ تعليقاته على مصحفه الخاص ومنهجه فيها. كما تناولت هذه الأطروحة بعض تفرداته في التفسير، وناقشت رأيه في الذبيح، ورأيه في حجج القرآن وحكمته. وكذلك بحثت هذه الأطروحةُ جهود الفراهي وآراءه في علوم القرآن، وذلك بالموازنة بين منهجه فيما ألّفه من الكتب في علوم القرآن وبين مناهج مَن سبقه من العلماء. وفي نهاية هذه الدراسة خلصت الأطروحة إلى عدد من النتائج والتوصيات، وخلاصتها أن الفراهي قد بذل جهوداً عظيمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وتفرَّدت مؤلّفاته بمزايا عديدة، ويمكن عدّه صاحب مدرسة مستقلة في هذا المجال.

الفهرس

المقدمة

إن الْحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فنظراً لأهمية علم التفسير، وعظيم منْزلته، وعلوِّ مكانته بين العلوم الشرعية؛ فقد قام العلماء بخدمته من شتى نواحيه، في كل مصر وعصر، ووقفوا لذلك حياتهم، ومنهم: المفسر الأديب، العلامة الجليل، المؤلف المكثر: الإمام حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي، الذي وُلد في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) في قرية "فريهه" من قرى مديرية "أعظم كره" في الهند، وحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم تعلَّم اللغة الفارسية وبرع فيها، ثمّ تعلّم العربية وآدابها، ثم عَرَّج بعد ذلك على تعلُّم اللغة الإنجليزية، والتحق بكلية عليكره الإسلامية، وحصل على "الليسانس" في الفلسفة الحديثة من جامعة "الله آباد". ثم انقطع بعد ذلك إلى تدبُّر القرآن ودرسِه، وجمع علومه، فقضى فيه أكثر عمره، إلى أن توفي في ١٣٤٩/٦/١٩هـ (الموافق ١٩٣٠/١١/١١م)[١].

وقد كان -رحمه الله تعالى- جامعاً بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر هذه الثقافة الموسوعية العميقة في معظم مؤلّفاته، كما يقول العلامة أبو الحسن الندوي (١٣٣٣-١٤٢٠هـ) رحمه الله تعالى: "... جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق."[٢].

لقد قام الإمام الفراهي بتأليف العديد من الكتب باللغة العربية والأردوية في موضوعات مختلفة، والتي تبلغ واحدا وخمسين كتاباً: عشرون منها مطبوعة، وبقيتها لا تزال مخطوطة، وأهمّ تلك الكتب وأعظمها ما كتبه حول القرآن الكريم وتأويله وتفسيره، وفصاحته وبلاغته، ومفرداته، وكلِّ ما يتصل به من العلوم القرآنية. وبدأت هذه المؤلّفات تظهر اليومَ محقَّقةً ومنقحةً واحدةً إثر أخرى، ومع ذلك، فمن المؤسف أنَّ هذا العالم الجليل، والعَلم الشامخ ما زال مجهولاً في كثير من الأوساط العلمية، على الرغم من كثرة إنتاجه العلمي الذي يتميز بالأصالة والتحقيق. فوددتُ أن تكون جهود هذا الإمام في

---

(١) ينظر: محمد أجمل أيوب الإصلاحي في تعريف للفراهي، **مفردات القرآن**، نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ط١، ص٣٩.

(٢) في تقديمه لكتاب الإمعان في أقسام القرآن، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص:١٣.

الدراسات القرآنية تلك، موضوعاً وعنواناً لأطروحة الدكتوراة في تخصص التفسير وعلوم القرآن، التي قمت بإعدادها -بفضل الله تعالى- بعنوان: "جهود الإمام عبد الحميد الفراهي في التفسير وعلوم القرآن".

ولأجل جمع مؤلفات الإمام الفراهي فقد سافرت إلى مسقط رأسه "سرائ مير"، الواقعة قرب مديرية "أعظم كره" في ولاية "أترابرديش" في الهند، وذلك في ٢٣ من شهر أكتوبر لعام ٢٠١٣. وأثناء هذه الرحلة قمتُ بزيارة المكتبة المركزية لمدرسة الإصلاح التي أسَّسها الإمام الفراهي، وقد عثرتُ في تلك المكتبة على نفائس المطبوعات ونوادر المخطوطات، ووقفتُ على بعض الكتب التي علّق عليها الإمام الفراهي. فحصلتُ من هذه المكتبة على كتب الفراهي المطبوعة والمخطوطة ما يكفيني لإعداد أطروحتي، كما أنني قمتُ بزيارة "دار المصنفين" في أعظم كره، ووجدتُ في مكتبتها الكثير من المؤلفات بالعربية والفارسية والأردوية، منها ما كان يخص الفراهي أيضاً، لكن للأسف لم تسمح لي المكتبة بتصويرها.

مشكلة البحث وأسئلته:

إن مشكلة البحث تكمن في بيان جهود الإمام الفراهي في التفسير وعلوم القرآن مقارنة بآراء الأئمة الآخرين من المفسِّرين والعلماء المتقدمين في تفاسيرهم وكتبهم في علوم القرآن. وبناءاً على ذلك، سوف يكون هذا البحث جواباً عن الأسئلة الآتية:

١) من هو الإمام الفراهي، وما هي سيرته الذاتية والعلمية، وما هي مؤلفاته العلمية؟

٢) ما هي جهود الفراهي في مجال الدراسات القرآنية؟ وما هو المنهج الذي تتسم به تلك الدراسات؟

٣) هل يعدّ الفراهي من المبدعين المجددين في العلوم التي تناولها تأليفاً وتصنيفاً؟ وإن كان فما وجه هذا الإبداع؟

٤) ما وجه المقارنة والقيمة العلمية بين ما ذهب إليه الفراهي وبين ما كتبه العلماء المتقدمون في علوم القرآن؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

أما أهمية هذا الموضوع فإنها تبرز من خلال النقاط الآتية:

١) إنه يسلّط الضوء على دور علماء الهند في خدمة القرآن الكريم عبر القرون حتى عصر الفراهي، والذي مازال مختفياً عن الكثير من الباحثين في هذا المجال.
٢) وإنه يعرِّف بسيرة الفراهي العلمية من أهم جوانبها، والتي لا توجد إلى الآن باللغة العربية.
٣) ويُبرِز جميع جهود الفراهي في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
٤) ويُميِّز جهود الفراهي في التفسير وعلوم القرآن بالمقارنة مع جهود غيره من المفسرين والعلماء.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فهو أنني لم أعثر على بحث جامعي أو دراسة جامعية تتناول التعريفَ بكتب الفراهي في التفسير وعلوم القرآن، التي قام بها -رحمه الله تعالى- في خدمة القرآن الكريم، مع أنَّ لها قيمة علمية كبيرة في مجال الدراسات القرآنية، وهذا ما حفزني على اختيار هذا الموضوع لهذه الأطروحة الجامعية لأقوم فيها بتعريف الفراهي من أهم جوانب سيرته الذاتية والعلمية، ثم إبراز جهوده في التفسير وعلوم القرآن، مع تمييزها بالمقارنة مع جهود غيره من المفسرين والعلماء.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحثُ إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١) الاستعراض السريع للجهود المبذولة في خدمة القرآن الكريم في بلاد شبه القارة الهندية عبر القرون حتى عصر الإمام الفراهي.
٢) التعريف الوجيز ببعض العلماء الهنود الذين لهم إسهام كبير في خدمة القرآن الكريم.
٣) التعريف الجامع الموسَّع بالفراهي، وإبراز إسهاماته العلمية في مجال الدراسات القرآنية سواء أكانت بالعربية أم بالأردوية.

منهج البحث:

وصولاً إلى الأهداف المرجوَّة، فإن البحث سيعتمد على ثلاثة مناهج:

١) المنهج الاستقرائي: سيتمّ اتّباعُه لمتابعة إسهامات علماء الهند في مجال الدراسات القرآنية عبر القرون، وكذلك إسهامات الفراهي في هذا المجال في القرن الرابع عشر الهجري.
٢) المنهج النقدي: سيُتَّبع هذا المنهج في وصف شخصية الفراهي، وتحليل أعماله العلمية ونقدها نقداً نزيهاً إن شاء الله تعالى.

٣) منهج المقارنة: حيث إنني سأقوم بمقارنة آراء الفراهي مع آراء غيره من العلماء المتقدمين في التفسير وعلوم القرآن.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث رغم جهده المتواصل وبحثه الطويل، على دراسةٍ جامعة أُعِدَّتْ أو كتابٍ شاملٍ أُلّف في هذا الموضوع على منهجٍ أكاديميٍّ، يتعلّق بموضع هذا البحث، سوى بعض المقالات والكتب والرسائل الجامعية التي لا تمتُّ بصلة كبيرة به، ولكن لا غنىً للباحث عنها في الرجوع إليها والاستفادة منها أثناء إعداد هذا البحث، وها هي أسماء تلك المقالات والكتب أذكرها فيما يلي:

١- جهود العلماء الهنود في تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجرى: للباحث محمد عزير بن عبد المعين، وهي رسالة جامعية قدَّمها الباحث إلى جامعة القاهرة عام ٢٠٠٣م. وتناول فيها بعض مشاهير المفسرين الهنود، ومن ضمنهم الفراهي. ففي هذه الرسالة ذكر الباحثُ الفراهيَّ ضمن مفسري الهنود بشكل عام، ولم يتناول جهوده في علوم القرآن.

٢- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: للباحث عادل بن محمد أبي العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ (ذكر الباحث في المبحث الرابع دور عبد الحميد الفراهي في علم المناسبة، أنه ذكر فيه عن أبرز أعلام علم المناسبة، ١- فخر الدين الرازي (٥٤٣هـ - ٦٠٦هـ)، ٢- برهان الدين البقاعي (٨٠٩هـ - ٨٨٥هـ)، ٣- الشيخ عبد الحميد الفراهي (١٢٨٠هـ - ١٣٤٩هـ)، ٤- سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ).

٣- حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثر ذلك في الهند: للباحث سيد سعيد أحسن العابدي، وهي رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث إلى جامعة الأزهر في عام ١٩٧١م. لقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب، تكلم في الباب الأول عن عصر الفراهي وحياته العلمية، وفي الباب الثاني عن منهج الفراهي في تفسيره، وفي الباب الثالث تناول الباحث عن أثر الفراهي في الهند من خلال آراءه في تفسير القرآن. وقد وجدتُ الباحث تكلَّم في هذه الرسالة عن مؤلفات الفراهي بشكل عام ولم يتطرق لجهود الفراهي في علوم القرآن، وكذلك لم يبين القيمة العلمية في هذه المؤلفات. وعذره في ذلك أنه لم يتمكن من الحصول على بعض مؤلفات الفراهي، إما لسبب فقدانها أو لعدم تحقيقها؛ لأن الباحث حين قام بإعداد هذه الرسالة كانت بعض مؤلفات الفراهي مخطوطة. وأما أنا فقد حصلتُ على جميع مؤلفات الفراهي أثناء رحلتي إلى مسقط رأسه "سراي مير" في الهند.

٤- معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات): للأستاذ الدكتور أحمد بن حسن فرحات، الذي قدم هذا المشروع في ندوة عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في عام ١٤٢١هـ، بعنوان "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه". وقد قام الباحث في هذا المشروع بالموازنات بين "مفردات الراغب" والمعاجم التي جاءت من بعده، وقد اختار أربعةً منها لأهميتها وشهرتها:

١) عمدة الحفاظ في أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.

٢) وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي.

٣) ومفردات القرآن للفراهي.

٤) ومعجم ألفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية

ففي هذا المشروع وَازنَ الباحث بين ست كلمات هي: آلاء، درس، صغو، الطوفان، صلى والعصر. وأنا سأبحث عن غيرها من المفردات وأقارن بكتاب عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.

٥- مناسبات الآيات والسور: للأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، وهو بحث منشور في "مجلة الجامعة الإسلامية" بالمدينة المنورة، في عددها لعام ٢٠١٠م. وقد ذكر الباحث في هذا البحث آراء العلماء في المناسبات، وتكلّم فيه عن أربع اتجاهات في المناسبات، ففي الاتجاه الرابع تكلم عن منهج الفراهي في النظام هو جزء من المناسبات بين الآيات والسور في القرآن.

٦- الفراهي وجهوده في تفسيره: للباحث سالم العلوي. وهي رسالة ماجستير، قدَّمها الباحث إلى جامعة الشارقة في سنة ٢٠٠٩م. وقد وجدت هذه الرسالة مقسمة إلى أربعة فصول، ففي الفصل الأول تحدَّث الباحثُ عن الفراهي، وعن حياته الاجتماعية والعلمية، وفي الفصل الثاني تحدث عن جهود الفراهي التفسيرية من خلال كتابه "نظام القرآن"، وبيَّن قيمته العلمية، وجهود الفراهي في علوم القرآن، ولكنه في ذلك كله تكلَّم بشكل عام ولم يدرس الموضوعَ بدقة وعمق، كما أنه لم يتطرق إلى الموازنة بغيره من الكتب التي لها علاقة بعلوم القرآن. وفي الفصل الثالث تناول الباحث جهود الفراهي في علوم اللغة العربية، وفي الفصل الرابع تكلم الباحث عن منهج الفراهي في تفسير القرآن حول نظام القرآن وأسلوب القرآن عند الفراهي.

٧- الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: للدكتور محمد يوسف الشربجيّ، (أستاذ في قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة دمشق)، وهو بحث أكاديمي منشور في "مجلّة جامعة دمشق"، العلوم الاقتصادية والقانونية، (المجلد ٢٠، العدد الثاني، ٢٠٠٤م)، تكلم الباحثُ في هذا البحث عن عبد الحميد من النواحي الآتية: حياته وسيرته، ثمّ منهجه في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ثمّ تكلم عن موقف الفراهي من الإسرائيليات، وفي النهاية تكلم عن اهتمام الفراهي بالنواحي اللغوية والبلاغية.

هذا بعض ما عثرتُ عليه من الكتب والبحوث التي تحدَّثت عن الفراهي كمفسِّرٍ، ولكني لم أعثر على كتاب مستقل يتناول الدراسة عن الفراهي وعن إسهاماته في مجال الدراسات القرآنية، وهذا الذي سوف يميز -بإذن الله تعالى وعونه- دراستي عن غيرها، وهو الذي يُعطي هذا البحث أهمية كبيرة وقيمة علمية. وازددتُ قناعةً بهذا بعد سفري إلى الهند وعثوري على كتب الفراهي محققة وغير محققة.

خطة البحث:

المقدمة، وفيها:

- مشكلة البحث وأسئلته
- أهمية البحث
- أهداف البحث
- منهجية البحث
- الدراسات السابقة
- خطة البحث

يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة والنتائج والتوصيات على النحو الآتي:

التمهيد: نبذة عن الجهود المبذولة في مجال التفسير وعلوم القرآن في بلاد القارة الهندية قبل الإمام الفراهي.

- لمحة عن دخول الإسلام في الهند

التمهيد

نبذة عن الجهود المبذولة في مجال التفسير وعلوم القرآن
في بلاد القارة الهندية قبل الإمام الفراهي

- لمحة دخول الإسلام في الهند.

- إسهام علماء الهند في خدمة القرآن الكريم من شتى نواحيه.

التمهيد

نبذة عن الجهود المبذولة في مجال التفسير وعلوم القرآن في بلاد القارة الهندية قبل الإمام الفراهي.

يشتمل هذا التمهيد على مطلبين، أولهما يقدِّم نبذةً عن تاريخ الإسلام في الهند منذ دخول الإسلام فيها إلى حين استقلالها عن الاستعمار البريطاني، أما الثاني فيعرِّف تعريفاً وجيزاً بإساهمات علماء الهند في مجال الدراسات القرآنية حتى عصر الإمام الفراهي.

- **لمحة عن دخول الإسلام في الهند.**

إن الهند واحدة من البقاع المتسعة التي وصلها الإسلام في صدر الإسلام الأول، سواء عبر الفتوحات الأولى، أم العلاقات التجارية العديدة، فقد فتحها محمد بن القاسم الثقفي(١) في ولاية عمّه الحجاج بن يوسف الثقفي(٢) على العراق عام ٩٢هـ، وسيطر على قطاع كبير من الهند، وما لبثت الحملات الإسلامية أن توالت فدخلت تحت النفوذ الإسلامي في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(٣) بعض ولايات هذه البلاد مثل: السند، وغجرات، وملتان، وكشمير.

لكن هذه الفتوحات توقفت بمجيء الخليفة المهدي(٤)، إذ أن النِّزاع اشتد بين القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه البقاع في المئة الأولى من الإسلام، واقتصر انتشار الإسلام على العلاقات التجارية التي نشطت مع الهند، والتي تعود جذورها إلى مئات السنين السابقة على الفتح(٥)، وربما كان هذا

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثَّقفي (٦٢ – ٩٨هـ): فاتح السند، وواليها، ومن كبار القادة ورجال الدهر في العصر المرواني. توفي بواسط. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن حمد بن علي بن فارس الدمشقي(ت:١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، دار العلم الملايين، بيروت، ٢٠٠٢م ،٨م، ج٦، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد (٤٠ – ٩٥هـ): قائد، داهية، سفاك، خطيب، من فصحاء العرب. وُلد في الطائف (الحجاز) وتوفي بواسط. كان والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان. انظر: الزركلي، ، ج٢، ص١٦٨.

(٣) هو أبو جعفر عبد الله المنصور، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم (٩٥-١٥٨هـ): ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم. تولَّى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح، واشتهر بتشييد مدينة بغداد التي تحولت لعاصمة الدولة العباسية. وانظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١١٧.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (١٢٧ – ١٦٩هـ): ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور. وانظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٢٢١.

(٥) انظر: الندوي، إسماعيل، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، دار الفتح، بيروت، د.ت، ص٣٣-٥٦.

التغلغل المعرفي بالإسلام وأهله أهمّ العوامل التي ساعدت فيما بعد السلطان محمود الغزنوي[١] على هزيمة شتى الإمارات الهندوسية، وفرض سيطرته على شبه القارة الهندية بعد سبع عشرة غزوة تمت في عهده.

وبعد انتهاء الحكم العربي لأراضي هذه البلاد؛ انحصر انتشار الإسلام فيها على العلاقات التجارية التي نشطت مع الهند، والتي -كما أسلفت آنفاً- تعود جذورها إلى مئات السنين السابقة على الفتح. ثم تعاقبت عدة دول إسلامية على هذه البلاد، فكان الإسلام يمتد فيها أحياناً، وينحسر في أحيان أخرى، ومن أعظم تلك الدول "الدولة المُغُوْلِيَّة" التي حكمت الهند من ٩٣٢ حتى ١٢٧٢هـ، وقد أسَّسها ظهير الدين محمد بابَرْ[٢] سنة ٩٣٢هـ، وبها قد بدأ في تاريخ الهند الإسلامي عهدُ دولةٍ جديدةٍ تستحقّ بسعتها وعظمتها وطول بقائها أن تُسَمَّى: "إمبراطورية"، وظلّت هذه الدولةُ تحكم هذه البلادَ نحو أربعة قرون متوالية، إلى أن سقطت على أيدي الإنكليز المستعمرين للبلاد في عهد آخر إمبراطور مغولي هو سراج الدين بهادر شاه ظفر[٣] في سنة ١٨٥٨م؛ وإثر سقوطها فقد دخلت الهندُ رسمياً ضِمن مستعمرات التاج البريطاني، وظلّت كذلك حتى اضْطُرَّ الإنكليز للجلاء عنها في أغسطس سنة ١٩٤٧م، وذلك بعد كفاح المسلمين والهندوس معهم في تحريرها الذي دام ثمانين سنةً وأكثر، حتى نالت الهندُ الاستقلالَ من الاستعمار، ثم انقسمت هذه البلاد إلى قسمين "الهند"، و"باكستان"[٤].

---

(١) هو محمود بن ناصر الدين سُبُكْتِكِيْن الغَزْنَوي (٣٥٧ - ٤٢١هـ): من أشهر سلاطين المسلمين، وإليه يرجع الفضل في نشر الإسلام في أصقاع هذه البلاد. انظر: الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت:١٣٤١هـ)، **الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمّى بنزهة الخواطر بهجة المسامع والنواظر**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٨م، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج١، ص٧١ و٣٣.

(٢) هو ظهير الدين محمد بابر بن عمر بن أبي سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور (ت٩٣٧هـ): يصل نسبه إلى الأمير تيمور لنغ. وُلّي الملك بعد أبيه في أندجان" من بلاد "ما وراء النهر"، ثم قدم "كابُل"، وأقام بها زماناً، ثم قصد الهند، ووُلّي الملكَ بعد حرب طويلة دامت أياماً، وأسَّس دولةً مغوليةً حكمت الهندَ نحو أربعة قرون، وكان فترة حكمه خمس سنوات. انظر: الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت:١٣٤١هـ)، **الهند في العهد الإسلامي**، دار العرفات، الهند، ط:-، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٨٥، وانظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٤، ص٣١٤.

(٣) هو أبو ظفر سراج الدين بهادر شاه بن أكبر شاه التَّيموري (ت١٢٧٨هـ): آخر ملوك الدولة المغولية في الهند، ولما ملك الإنجليز زمام الدولة سنة ١٢٧٣هـ؛ ألقى عليه القبضَ فأرسل به إلى "رنجون" عاصمة بورما اليوم، فتوفي بها. انظر: الحسني، **الهند في العهد الإسلامي**، ص١٩٣-١٩٤، و**نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٣٧.

(٤) انظر للتفصيل: النمر، عبد المنعم، **تاريخ الإسلام في الهند**، هيئة مصر العامة للكتاب، القاهرة ط١، ١٩٩٠م، ص٤٦٣- ٤٦٤. والساداتي، أحمد محمود، **تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها**، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م، ص٩٤- ٩٩.

- **إسهام علماء الهند في خدمة القرآن الكريم من شتى نواحيه.**

لقد تأثَّر المسلمون في هذه البلاد تأثرًا بالغًا بأنماط الحياة العربية إبان الحكم العربي فيها، فأقبلوا على استخدام اللغة العربية، وسرعان ما راجت هذه اللغة وشاعت في هذه البلاد كلغة علمية إلى جانب اللغة الفارسية التي كانت لغة رسمية، واللغة الأردوية التي تولدت في القرن العاشر الهجري. ونتيجة لذلك نهض من أرض الهند على مرّ العصور الكثير من الأدباء والشعراء، الذين عُرفوا بفصاحة اللسان العربي المبين، كما برز منهم الكثير من العلماء الأجلاء، الذين لهم إسهامات كبيرة في خدمة هذا الدين من خلال التصنيف والتأليف في مختلف المجالات، وتركوا آثاراً خالدة فيها، لا يسوغ لباحث أو دارس للدراسات الإسلامية أن يغض الطرف عنها ويبخسها حقها. ولكن ما زال الكثير منها خفياً عن الأنظار، وسبب ذلك كما ذكره مؤرِّخ الهند الشيخ عبد الحي الحسني(1) في مقدمة كتابه البديع "الثقافة الإسلامية في الهند"، حيث قال: "اعلمْ أنَّ تاريخ علماء الهند في غاية الخفاء، لا تكاد تسمع ذكرهم، وتنظر في كتب أخبارهم، ولذلك ترى أنَّ (عين العلم) كتاب مشهور ومصنِّفه من أهل الهند، ولكنك لا تعلم أنه مَن هو ولا أين كان، وكذلك مصنِّفوا "الفتاوى التاتارخانية"، و"الفتاوى الحمادية"، و"الفتاوى الهندية"، و"مطالب المؤمنين"، و"دستور الحقائق" وكتبٌ أخرى، وإلى الله المشتكى من صنيع أهل الهند، فإنهم بذلوا جهدهم في إحياء مآثر الملوك والأمراء والمشايخ والشعراء، ولم يتصدّوا بتقييد أخبار العلماء..."(2)،

ولهذا السبب كان كثيرٌ من آثار علماء هذه البلاد لم تُعرَف إلى الآن، سواء أكانت هي في مجال القرآن الكريم أم في غيره من مجالات العلوم الإسلامية الأخرى، مع أنَّ النشاطات القرآنية في شبه القارة الهندية قد بدأت دراسةً وفهماً وتفسيراً وتعليماً منذ دخول الإسلام فيها، حيث أُنشئت في مختلف بقاعها الحلقات القرآنية ولا سيما مدارس تحفيظ القرآن الكريم منذ فترة مبكرة، وكان التركيز بصورة خاصة -علاوة عن تحفيظ القرآن الكريم- على الفنون والعلوم والتخصصات ذات الصلة بالقرآن الكريم، والتي قام علماء هذه البلاد بالتصنيف والتأليف فيها، فتنوعت إسهاماتهم في خدمة ذلك، كما سأعرِّف بعضاً منها فيما يلي، لا سيما التي كانت منها قبل عصر الإمام عبد الحميد الفراهي.

---

(١) هو عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦-١٣٤١هـ): المؤرخ الشهير، العلامة البحاثة، تولَّى رئاسة دارالعلوم ندوة العلماء مدةً طويلة. ومن مؤلَّفاته: "تهذيب الأخلاق" و"منتهى الأفكار في تلخيص الأخبار". انظر: عبد العلي الحسني، في مقدمته لـ "**نزهة الخواطر**"، ج١، ص٢٣-٢٨.

(٢) انظر: الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١.

أ) إسهام علماء الهند في تفسير القرآن الكريم.

إن إسهامات علماء الهند في تفسير القرآن الكريم في البداية كانت مقتصرةً على دراسة بعض التفاسير فقط، مثل: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، و"الجلالين" لجلال الدين المحلّى (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، و"الكشاف" لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وغيرها من التفاسير المشهورة. ولم يزل هذا الاتجاه التقليدي سائداً في هذه البلاد حتى القرن السابع الهجري، حيث فسّر الشيخ محمد بن أحمد الشريحي الماريكلي بالعربية، ويعد تفسيره أول التفاسير التي أُلّفت في الهند سواء كانت بالعربية أو غيرها من اللغات الرائجة في هذه البلاد. ثم استمرَّت حركة تفسير القرآن الكريم في هذه البلاد وازدهرت، ونتيجة لذلك ظهرت الكثير من التفاسير القيمة لعلماء الهند في كل من العربية والفارسية والأردوية، كما سأقدِّم فيما يأتي تعريفاً موجزاً لأشهرها، بدءاً من القرن السابع الهجري حتى عصر الإمام الفراهي:

١) الشيخ محمد بن أحمد الشريحي الماريكلي (ت٦٨٤هـ): الذي يعد أول من ألّف في تفسير القرآن الكريم في هذه البلاد باسم: "تفسير كاشف الحقائق وقاموس الدقائق"، وهو بالعربية في أسلوب فصيح، يحتوي على (١١٢٦) صفحة على القطع الكبير، ويوجد مخطوطه في المكتبة الآسوية للبنغال في كلكتة بالهند[١].

٢) الشيخ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت٧٢٨هـ): الذي ألّف تفسيراً ضخماً بالعربية باسم "تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان" وهو يُشبه "تفسير الطبري"، وتوجد له عدة نسخ مخطوطة، منها نسخة في "مكتبة دار العلوم ديوبند الإسلامية" بالهند. وقد طُبع في هامش "تفسير الطبري" في المكتبة الميمنة بمصر عام ١٣٢١هـ[٢].

٣) الشيخ أبو بكر إسحاق بن تاج المُلتانِي (ت٧٣٦هـ): الذي ألّف أولاً في تفسير القرآن الكريم بالعربية باسم "جواهر القرآن" -والذي مازال مفقوداً- ثم لخَّص منه في كتاب آخر له باسم: "خلاصة جواهر القرآن في بيان معاني الفرقان"، وهذا الملخَّص موجود في مكتبة برلن[٣].

---

(١) انظر: محمد عارف الأعظمي العمري، **تذكرة مفسرين هند "تذكرة المفسرين في الهند"**، دار المصنفين، أعظم كره ط٢، ٢٠٠٦، ص١-٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٧-١٤.

(٣) انظر: الأعظمي العمري، **تذكرة مفسرين هند "تذكرة المفسرين في الهند"** ، ص١٦-١٦.

٤) الشيخ محمد بن يوسف الحسيني جيسودراز (ت٨٢٥هـ): الذي ألَّف تفسيراً بالعربية على طريقة الصوفية وسمَّاه: "التفسير الملتقط"، وهو ما زال مخطوطاً، وتوجد له نسخة مخطوطة في المكتبة الناصرية بلكنؤ، وغير ذلك له تلخيص لـ"الكشاف" للزمخشري، وحواش عليه[١].

٥) الشيخ أبو الحسن علي علاء الدين بن أحمد المهائمي (ت٨٣٥هـ): الذي ألَّف تفسيراً نفيساً بالعربية باسم: "تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن"، وهو مشهور أيضاً بـ "تفسير الرحماني"، و"تفسير المهائمي". ومن خصائص هذا التفسير أن صاحبه تعرَّض فيه لربط الآيات بعضها ببعض وقد أجاد في ذلك، وقد طُبع في عالم الكتب ببيروت عام ١٤٠٣هـ[٢].

٦) القاضي شهاب الدين الدولة آبادي الملقَّب بـ"ملك العلماء" (ت٨٤٩هـ): الذي ألَّف بالفارسية باسم: "تفسير بحر المواج"، واعتنى فيه بالمباحث النحوية والفقهية أكثر من غيرهما، وقد طُبع الجزء الأول منه في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند عام ١٢٩٤هـ[٣].

٧) الشيخ عبد الوهاب البخاري (ت٩٣٢هـ): الذي ألَّف تفسيراً منظوماً بالفارسية، يقول في وصفه الشيخ عبد الحي الحسني: "وهذا الكتاب قد أرجع فيه المطالب القرآنية أكثرها بل كلها إلى مناقب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وبيَّن فيه آثار المحبة ودقائق الوجد والغرام، ويحتمل أنه صنَّف في غلبة الحال؛ لأن أكثر ما ذكره لا يصح"[٤].

٨) الشيخ أبو صالح حسن محمد الأحمد آبادي الغجراتي (ت٩٨٢هـ): الذي ألَّف بالعربية باسم "التفسير المحمدي" ، وهو تفسير موجز، اعتنى فيه ببيان ربط كل آية بآية أخرى، وتوجد له نسخة مخطوطة في مكتبة سالار جنغ بحيدرآباد (الدكن)[٥].

٩) الشيخ مبارك بن خضر ناغُوري (ت١٠٠١هـ): الذي ألَّف بالعربية باسم: "منبع نفائس العيون"، وهو معروف أيضاً بـ"منبع العيون" و"التفسير المبارك"، ويشتمل هذا التفسير على خمس مجلدات ضخمة، ومن أهم خصائصه أن صاحبه قد اعتنى فيه بالقراءات العشرة اعتناءاً جيداً[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٧-٢٧.

(٢) انظر: محمد عارف الأعظمي العمري، **تذكرة المفسرين في الهند**، ص٢٨ و٥٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٥٤-٦٤.

(٤) انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٤، ص٣٨١، الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند**، ص٦٥-٦٨.

(٥)انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ص٦٩-٧٥.

(٦) انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ص٧٦-٨٤.

١٠) الشيخ يعقوب الصرفي الكشميري (ت١٠٠٣هـ): الذي ألَّف تفسيراً وجيزاً بالفارسية، وهو ما زال مخطوطاً في مكتبة جامعة بنجاب بلاهور في باكستان[١].

١١) أبو الفيض الفيضي بن مبارك خضر الناغُوري (ت١٠٠٤هـ): الذي ألَّف بالعربية باسم: "سواطع الإلهام"، ومن أبرز ميزات هذا التفسير أنه مجرَّد عن النقط، وقد طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند عام ١٣٠٦هـ[٢].

١٢) الشيخ منوَّر بن عبد الحميد اللاهوري (ت١٠١١هـ): الذي ألَّف تفسيراً بارعاً بالعربية باسم: "الدُّر النظيم في ترتيب الآي وسور القرآن الكريم" على طريقة برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" حيث اهتم ببيان الربط بين سور القرآن وبين آياته. وكذلك من خدماته في هذا المجال ترجمة "تفسير بحر المواج" للناغوري بالعربية[٣].

١٣) الشيخ غلام نقشبندي الغُوْسَوي ثم اللكنوي (ت١١٢٦هـ): الذي ألَّف بالعربية باسم: "تفسير أنوار الفرقان وأزهار القرآن"، والذي يحتوي على (٣٧٥) ورقة من الحجم الكبير، ومخطوطته موجودة في مكتبة خدا بخش ببتنه في الهند. وكذلك له تفسير جامع لسورة الأعراف[٤].

١٤) الشيخ أحمد الأميتهوي المعروف بـ"مُلاَّ جِيْوَن" (ت١١٣٠هـ): الذي ألَّف تفسيراً قيماً بالعربية باسم: "التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية"، وهو أيضاً مشهورٌ بـ"التفسير الأحمدي"، وقد اعتنى فيه بتفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، وقد طُبع في كلكتة عام ١٢٦٣هـ، ثم في مومبائي عام ١٣٢٧هـ[٥].

١٥) الشيخ علي أصغر بن عبد الصمد القنوجي (ت١١٤٠هـ): الذي ألَّف تفسيراً نفيساً جداً بالعربية باسم: "تفسير ثواقب التنزيل في إشارة التأويل"، وفسَّر فيه القرآن الكريم على طريقة الحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) في "الجلالين"، يقول فيه الأمير صديق حسن خان القنوجي (ت١٣٠٧هـ) إنه أحسَنُ من الجلالين وأبلَغُ منه[٦]، ومخطوطته موجودة في مكتبة رامفور في الهند[٧].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٨٥-٨٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٨٩-١٠٢.

(٣) انظر: الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند**، ص١٠٣- ١٠٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص١٠٦-١١٦.

(٥) انظر: الأعظمي العمري، **تذكرة مفسرين هند "تذكرة المفسرين في الهند"** ، ص١١٧-١٣٥.

(٦) القنوجي، محمد صديق بن حسن خان(١٢٤٨هـ – ١٨٣٢م)، **أبجد العلوم**، المحقق: عبد الجبار الزكار، وزراة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م، ط:-، ج١، ص٩٣٢.

(٧) انظر: الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند**، ص١٣٦-١٤٠.

١٦) الشيخ كليم الله بن نور الله جَهَانْ آبادي (ت١١٤١هـ): الذي ألّف بالعربية باسم: "قرآن القرآن بالبيان" على نهج السيوطي في "الجلالين" مراعياً المذهبَ الحنفي في تفسير آيات الأحكام، وقد طُبع هذا التفسير في مطبعة الأحباب بمِيْرَته في الهند عام ١٢٩٠هـ(١).

١٧) والإمام شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ): ومن إسهاماته الجليلة في خدمة القرآن الكريم: ترجمته بالفارسية والتي تُعرَف بـ"فتح الرحمن في ترجمة القرآن"، وهو أول من قام بنقل معاني القرآن الكريم إلى الفارسية التي كانت لغة رسمية آنذاك(٢)، وله على هذه الترجمة حاشية موجزة بالعربية(٣).

١٨) الشَّاه عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (ت١٢٣٩هـ): الذي ألّف تفسيراً قيماً بالفارسية، والذي يُعرَف بـ"تفسير فتح العزيز" و"التفسير العزيزي"، وركّز فيه على حلِّ الغوامض في الآيات، وتوجد له نسخة ناقصة في مكتبة رضا برامفور، وفي المكتبة الآصفية بحيدرآباد(٤).

١٩) الشيخ عبد القادر بن شاه ولي الله الدهلوي (ت١٢٣٠هـ): وهو أول من قام بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردوية في أسلوب فصيح، وله كذلك بالأردوية إفادات تفسيرية موجزة مفيدة باسم: "موضح قرآن"، وقد طُبع هذا الكتاب وترجمته لمعاني القرآن الكريم مرات كثيرة في الهند وباكستان(٥).

٢٠) الشيخ رفيع الدين بن شاه ولي الله الدهلوي (ت١٢٣٣هـ): الذي ترجم معاني القرآن الكريم بالأردوية ترجمةً حرفيةً ليس لها نظير إلى الآن بين كثير من ترجمات معاني القرآن بالأردوية، وتُعين هذه الترجمة القارئَ على فهم القرآن وخاصةً في تعيين معاني المفردات وتوضيحها، وهي مطبوعة ومتداولة في الهند وباكستان. وله كذلك تفسير لسورة النور بالعربية، وهو مازال مخطوطاً، وكذلك "تفسير رفيعي" يشتمل على مطالب سورة البقرة، وهو مطبوع(٦).

٢١) الشيخ محمد غوث ناصر الدين محمد الأرْكَاتِي (ت١٢٣٨هـ): الذي ألّف بالعربية كتاباً ضخماً باسم: "نثر المرجان في رسم نظم القرآن" في سبعة مجلدات، وهو موسوعة كاملة عن رسم

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٤١-١٥٢.

(٢) الفريوائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص١٥. و الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، ص١٦٨.

(٣) انظر: الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند**، ص١٥٣-٢٣٧.

(٤)انظر: الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند** ، ص١٦٧-١٩٠.

(٥) انظر: الأعظمي، **تذكرة مفسرين هند تذكرة المفسرين في الهند**، ص١٩٩-٢٠٣.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص١٩١-١٩٨.

المصحف، تحدَّث فيه عن رسم الكلمات القرآنية كلمةً كلمةً، بحسب ترتيب المصحف والسور والآيات، ووضَّح الكلمة رسماً وضبطاً بحسب القراءات المختلفة، وعلّل الرسم والضبط بحسب المعنى والقراءة، إنه كتاب مفيد لا غنى عنه لطالب علمَي رسم المصحف والضبط، كما أنه كتاب ممتع للقراءة. وقد طُبع هذا الكتاب في مجلس إشاعة العلوم بالجامعة النظامية بحيدرآباد (الدكن).

هذا مِن أبرز ما قام به علماء هذه البلاد من خدمات جليلة في تفسير القرآن الكريم بالعربية والفارسية والأردوية، منذ القرن السابع الهجري إلى عصر الإمام عبد الحميد الفراهي. وأما الجهود المبذولة لعلماء هذه البلادة في هذا المجال بعد الفراهي إلى يومنا هذا فهي كثيرة جداً لا تكاد تحصى، ومعظمها باللغة الأردوية[(١)].

ب) مؤلَّفات علماء الهند في أصول تفسير القرآن الكريم.

وكان لعلماء الهند قصب السبق في تأليف الكتب في أصول التفسير، كما يظهر ذلك مما يأتي:

١) الشيخ شاهر ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ): وهو أول من ألّف هذا الموضوع بعد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى، وقد ألّف الدهلوي رسالةً لطيفةً بالفارسة سَمّاها "الفوز الكبير في أصول التفسير" بالفارسية، ثم عرَّبها الشيخ سلمان الحسيني الندوي، وقد ذكر في هذه الرسالة بعض أهم الأصول لتفسير القرآن الكريم. وقد طُبع مراراً في البلاد العربية. وكذلك من مؤلفاته في هذا الموضوع: "فتح الخبير بما لا بدَّ من حفظه في علم التفسير"، الذي ألّفه بالعربية كتكملة للرسالة السابقة، وله كذلك "تأويل الأحاديث في رموز قصص الأنبياء"، وهي رسالة صغيرة كتبها بالعربية، لكنها تحتوي على مباحث قيمة في تأويل المعجزات القرآنية وبيان ما في قصص الأنبياء من كنوز وأسرار فيها دروس وعبر. وكذلك له رسالة صغير باسم "المقدمة في قوانين الترجمة" كتبها بالفارسية، تطرَّق فيها لقضية ترجمة معاني القرآن الكريم وأهميتها وأنواعها، والمشاكل التي يواجهها المترجم في هذا الصدد.

٢) والشيخ صديق حسن خان القنوجي (ت١٣٠٧هـ): الذي ألّف في ذلك كتاباً بديعاً بالفارسية سمّاه: "الأكسير في أصول التفسير".

---

(١) انظر: عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٥٦٧، ٥٧١. وسيد شاهد علي، **أرود تفاسير، التفاسير الأردوية**،: كتابي دنيا، دهلي، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١١و١١٣.

٣) والسَّيِّر سيد أحمد خان (ت١٨٩٨م): وله كتابٌ ألَّفه بالأردوية بعنوان: "التحرير في أصول التفسير"[١].

ج) إسهام علماء الهند في تأليف الكتب في التجويد والقراءات القرآنية.

ومن أشهر من ألَّف في هذا الموضوع من علماء هذه البلاد هم:

١) المحدِّث الشيخ عبد الحقّ الدهلوي (ت١٠٥٢هـ): الذي ألَّف كتاباً باسم "الدر الفريد في القراءة والتجويد".

٢) الشيخ محمد صديق الكاكوري (ت١٠٠٢هـ): الذي شرح منظومة "الشاطبية" المسمَّاة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" للإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني.

٣) الشيخ كرامت علي الجونفوري (ت١٢٩٠هـ): الذي ألَّف العديد من الكتب في هذا الموضوع، مثل: "زينة القارئ"، و"شرح الجزرية".

٤) الشيخ المقرئ عبد الرحمن الباني بتي (ت١٣٢٤هـ): الذي ألَّف كتاباً في ذلك سمّاه "التحفة النذرية".

٥) الشيخ أشرف علي التهانوي (ت١٣٦٢هـ): له كتاب في هذا الموضوع سمّاه بـ"جمال القرآن"[٢].

د) إسهام علماء الهند في تأليف المعاجم الموضوعية وفهارس في أطراف الآيات القرآنية.

ألَّف فيه من علماء الهند:

١) الشيخ محمد علي الكربلائي (ت١٠٣٣هـ): الذي سمَّى كتابَه "الرسالة الواضحة في تخريج الآيات"، وهي معروفة بـ"هادية قطب شاهي".

٢) والشيخ مصطفى بن محمد سعيد الجونفوري (لم أعثر على تاريخ وفاته): له كتاب "نجوم الفرقان"، الذي ألَّفه عام ١٦٦٣م.

٣) والشيخ ناصر بن حسين (١٢٠٠هـ): وله "الجداول النورانية في استخراج الآيات القرآنية".

٤) والشيخ أهل الله فقير الله: له كتاب "ألفاظ القرآن"، ألَّفه في عام ١٣٣١هـ.

٥) والشيخ ريوند أحمد شاه: له كتاب باسم "مفتاح القرآن"، طُبع في عام ١٩٠٦م[١].

---

(١) انظر: عبد الحي الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: عبد الحي الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، ص١٧٤-١٧٥.

هـ) إسهام علماء الهند في التأليف في لغات القرآن ومفرداته.

ولمعرفة لغات القرآن ومفرداته أهمية عظيمة في فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد قام بعض علماء الهند بتأليف كتب فيها، ومنهم:

١) الشيخ محمد البخاري الكشيمري: الذي ألّف باسم "مفردات القرآن، في عام ١١٣١هـ. وقد شرح فيه المؤلّف مفردات القرآن في ثلاث لغات: العربية، والفارسية، والتركية.

٢) الشيخ الشّاه عبد القادر بن ولي الله الدهلوي (ت١٢٣٠هـ): وله كتاب "الغات القرآن" ألّفه بالأردوية.

٣) الشيخ عبد الحميد الفراهي: يُعتبرَ كتاب من أفضل ما ألّف في هذا الموضوع على الإطلاق، وله فيه آراء بديعة لم يسبقها غيره من المؤلفين، وسيأتي الحديث عنه مفصّلاً.

٤) الشيخ محمد عبد الله (ت١٩٤٧م): ألّف بالأردوية باسم: "عجائب البيان في لغات القرآن".

٥) الشيخ القاضي محمد زاهد الحسيني: له كتاب في ذلك باسم: "ديني لغات".

٦) القاضي زين العابدين المِيْرتي: له "قاموس القرآن" ألّفه بالأردوية[(٢)].

و) إسهام علماء الهند في تأليف الكتب في أحكام القرآن.

وقد بدأ التأليف في هذا الموضوع في الهند متأخراً، وممن ألّف فيه من علمائها:

١) الشيخ مُلاّجيون الحنفي (ت١١٣٠هـ): الذي سمّى كتابه "التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية"، ويعد هذا الكتاب أول تفسير كامل في أحكام القرآن ظهر في هذه البلاد.

٢) الأمير صديق حسن خان القوجي (ت١٣٠٧هـ): الذي ألّف كتاباً في هذا الموضوع باسم: "نيل المرام في تفسير آيات الأحكام".

٣) السيد أحمد حسن الدهلوي (ت١٣٣٨هـ): وله في هذا الموضوع كتاب في الأردوية سمّاه "تفسير آيات الأحكام من كلام رب الأنام"، فسر فيه آيات الأحكام لسورتَي الفاتحة والبقرة.

٤) الشيخ أشرف علي التهانوي (ت١٣٦٢هـ): له كتاب في هذا الموضوع بالعربية، ألّفه في ضوء توجيهات وإفادات خمسة من كبار علماء الهند وهم: الشيخ ظفر أحمد العثماني، والشيخ جميل

---

(١) انظر: جنيد أحمد هاشمي وسيد أزكياء هاشمي، **علوم القرآن في شبه القارة الهندية النشأة والخصائص**، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في باكستان، المجلد ١٠، العدد لعام ٢٠١٢م، ص١٩٠.

(٢) انظر: جنيد أحمد هاشمي وسيد أزكياء هاشمي، **علوم القرآن في شبه القارة الهندية النشأة والخصائص**، ص١٩٠و ١٩١.

أحمد التهانوي، والشيخ محمد إدرس الكاندهلوي، والشيخ المفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ المفتي عبد الشكور الترمذي، وقد ألّفوا في سبعة عشر مجلداً، وقاموا فيه بدراسة أدلة الأحناف القرآنية وتبيينها وتوضيحها وبيان تمسُّك الأحناف بالنصوص، وإزالة ما علق بالمذهب الحنفي من أن استخدامه للنصوص يعد هزيلاً[١].

ز) إسهام علماء الهند في تأليف الكتب في علوم القرآن.

وممن كتب في هذا الموضوع باللغة الأردوية من علماء هذه البلاد:

١) الشيخ شمس الحق الأفغاني: الذي ألّف باسم "علوم القرآن".

٢) الشيخ مالك الكاندهلوي: الذي ألف كتاباً ضخماً سمّاه: "منازل العرفان في علوم القرآن"[٢].

هذه نبذة عن إسهامات علماء الهند في مجال خدمة القرآن الكريم من مختلف نواحيه، وفي الحقيقة إن إسهاماتهم أكثر مما أشرتُ إليه في هذه العجالة، والحديث عنها يحتاج إلى بحث جامعي مستقل ليُحيط بها، أما أنا فقد أردت من خلال هذه الإطلالة السريعة أن ألقي الضوء على حركة التأليف والتصنيف في مجال الدراسات القرآنية قبل عصر الفراهي، ليُعلَم من ذلك مدى اهتمام علماء الهند بهذا المجال المبارك، ولكنهم لم يُعرَفوا بذلك كما عُرفوا باهتمامهم بالحديث النبوي نشراً وتدريساً وتأليفاً وتصنيفاً.

---

(١) انظر: عبد الحي الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، ص١٧١.

(٢) انظر: جنيد أحمد هاشمي وسيد أزكياء هاشمي، **علوم القرآن في شبه القارة الهندية النشأة والخصائص**، ص١٩٦.

الفصل الأول

الإمام عبد الحميد الفراهي: عصره وسيرته ومؤلفاته.

المبحث الأول: عصر الإمام الفراهي.

المبحث الثاني: سيرة الإمام الفراهي الذاتية والعلمية.

المبحث الثالث: مؤلفات الفراهي المطبوعة والمخطوطة.

المبحث الأول: عصر الإمام الفراهي.

لا شكَّ أنَّ العصر الذي يُولَد فيه الإنسان، والعالَمَ الذي يُعاصِره، والمجتمعَ الإنسانيَّ الذي يتعايش معه؛ كلٌّ ذلك يؤثِّر في تكوين شخصيته الدينية والعلمية والاجتماعية والفكرية تأثيراً كبيراً، لذلك أرى من الضروري أن ألقي في هذا المبحث بعض الضوء على عصر الفراهي، وأتحدَّث باختصار شديد عن وضعه السياسي والاجتماعي والتعليمي والفكري والديني في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الوضع السياسي في عصر الإمام الفراهي.

أبصر الإمام الفراهي النور حين كانت الخلافة العثمانية تلفظ أنفاسَها الأخيرة، حتى سقطت سنة ١٩٢٤م بعد أن حكمتْ معظم بلدان العالم الإسلامي قرابة أربعة قرون. أما الهند التي كان يحكمها المسلمون منذ ثمانية قرون، فهي كذلك قد سقطت بيد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٨م، وانتقلت إلى الحكم البريطاني الذي عاصره الفراهي حتى توفي في عهده. وقد ذاق الفراهيُّ وأمثاله من علماء هذه البلاد مرارة هذا الحكم، وعانوا مضايقاته، لكنهم ما ضعفوا وما استكانوا أمامه، بل قاوموه بكل ما أُوتوا في سبيل ذلك من الوسائل المادية والعلمية(١).

المطلب الثاني: الوضع الاجتماعي في عصر الفراهي.

وبعد سقوط حكم المسلمين في هذه البلاد؛ تفرَّق المسلمون فيها، وقلَّ الوازع الديني فيهم، مما أدَّى ذلك إلى انتشار داء التعصُّب المذهبي والفُرْقة، واتِّساع رقعة الخلاف بين أفراد الأمة، فانتشر الجهل، وشاع الهوى، وظهرت البدع والخرافات، وضعفت القِيَمُ الأخلاقية في المجتمع بسبب معايشة المسلمين مع الإنكليز المستعمرين للبلاد. وفي مثل هذه الظروف كان للفراهي وأمثاله من العلماء الأجلاَّء دورٌ فعالٌ في إنقاذ المجتمع الإسلامي من تقليد الغرب، وتوجيهه إلى تعاليم الكتاب والسنة، وترشيد الصحوة الدينية فيه.

---

(١) يُقرأ للاطلاع على دور المسلمين الهنود في مقاومة الاستعمار البريطاني ما كتبه العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه "**المسلمون في الهند**"، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، تحت عنوان "الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند"، ص١٧٦-١٩٨.

المطلب الثالث: الوضع التعليمي في عصر الفراهي.

لقد بلغت حالة الأمة الإسلامية في عصر الفراهي في كثير من البلدان الإسلامية والعربية دركةً عظيمةً من التدنِّي العلمي بسبب شيوع الفوضى وعدم استقرار الوضع السياسي فيها، لكن تُستثنى من ذلك حالة المسلمين العلمية في الهند، التي كانت في أحسن حال، وأكثرَ ازدهارًا وتقدُّمًا؛ وذلك لأنَّ زعماء المسلمين في هذه البلاد قد أدركوا أهمية التعليم سواء أكانت للعلوم الدينية أم العلوم العصرية في ظلِّ الاستعمار البريطاني، فأنشأوا مدارسَ دينية وجامعات إسلاميةً في مختلف بُقاع الهند، خشيةً على مسلميها من أن يتأثروا بالحكم غير الإسلامي الذي لم يعهدوا به، وحفاظاً على هويتهم الدينية، فكان من أشهر تلك المدارس والجامعات: "دارالعلوم الإسلامية" بدِيُوْبَند، و"مدرسة مَظاهِر العلوم" بسَهارَنْفُور، و"دارالعلوم لندوة العلماء" بلكنؤ، كما أنشأوا كذلك مؤسساتٍ وجامعات للتعليم العصري، مثل: "جامعة عَلِيْكَرَهْ الإسلامية" بعليكره، و"الجامعة المِلِّيَّة الإسلامية" بدلهي، و"الجامعة العثمانية" بحيدرآباد(١)، فقد كان لتلك المدارس الدينية أو هذه الجامعات العصرية، دور كبير في إقامة النهضة التعليمية في بلاد الهند كلها، والتي لا تزال تُؤتي أُكُلَها، ولا شكَّ أنَّ لوجود الفراهي وأمثاله من العلماء والفضلاء في بلاد الهند أياد بيضاء في ذلك.

المطلب الرابع: الوضع الفكري في عصر الفراهي.

شهد الفراهي وغيره ما حلَّ بالمسلمين في الهند من استعمار غربي لئيم ركّزعلى الاستعمار الفكري، بتخطيط دقيق ومؤامرة منظَّمة، وكان هذا الاستعمار الفكري أخطر على المسلمين من الاستعمار العسكري، فأوقد معركةً فكريةً خبيثةً ضد مسلمي هذه البلاد ليصبحوا غرباء في قيمهم ومُثُلهم، وحضارتهم وتاريخهم، ويكونوا متنافرين مع دين الإسلام وتعاليمه، وكان أنكى وسائل ذلك الاستعمار جلبُ نظام التعليم الغربي في الهند وفرضها على أهلها، وكذلك إنشاؤه المدارس الاستعمارية والتبشيرية في كل أنحاء البلاد. فكان لعلماء الهند أمثال الفراهي، دور كبير في مقاومة التعليم الغربي، وتصحيح الأفكار المعادية ضد الإسلام وتعاليمه في هذه البلاد.

---

(١) انظر: الندوي، أبو الحسن ، **المسلمون في الهند**، ص١٢٩، ١٣٩، ومحمد واضح رشيد الحسني الندوي، **حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج**، المجمع الإسلامي العلمي، لكنــؤ، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٧٩-٩٠.

المطلب الخامس: الوضع الديني في عصر الفراهي.

أما الوضع الديني في عصر الفراهي فقد كان في تدهور بسبب سقوط حكم المسلمين وخضوعهم للاستعمار البريطاني، ونتيجة لذلك بدأت الحضارة الغربية والتقاليد الأوروبية تتفلل في أحشاء الهند وتؤثّر في أهلها، وكانت حركات التبشير والتنصير، وكذلك نشاطات الهندوس في تبليغ دينهم الوثني بين المسلمين على أوج ذروته، كما أنَّ المسلمين أنفسهم قد غرقوا فى ظلمات الجهل والشرك والبدعة، وشاعت فيهم رسوم الهندوس الوثنيين وتقاليدهم وعاداتهم التي تنافي عقيدة الإسلام وتعاليمه. وفي هذه الوضع الحرج قام بعض الغيورين من علماء هذه البلاد، وأسَّسوا في مختلف بُقاع البلاد مدارسَ دينيةً مهمتها نشر الدين وتصحيح العقيدة وإصلاح المسلمين[(١)]، والتي قد ذكرتُ أسماء بعض منها في المطلب الثالث، ومن تلك المدارس كانت "مدرسةُ الإصلاح" في بلدة "أَعْظَمْ كَرَهْ"، التي أشرف عليها الفراهي حتى وفاته، فسُرعان ما خرَّجت تلك المدارسُ نخبةً طيبةً من الدعاة والمبلّغين، والعلماء الراسخين، الذين لعبوا دوراً كبيراً في تلك الآونة الحرجة، في نشر الإسلام في الهند، وتصحيح عقائد المسلمين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك.

---

(١) انظر: الغوري، سيد عبد الماجد، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، تحت عنوان "أحوال الهند المعاصرة"، ص٨٧-١٠٨.

المبحث الثاني: سيرة الإمام الفراهي الذاتية والعلمية.

يحتوي هذا المبحث على ثمانية مطالب، وسأتناول تحت عناوينها التعريف بسيرة الإمام الفراهي من أهم جوانبها الذاتية والعلمية باختصار.

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ونسبته.

اسمه:

هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قُرْبان قنبر بن تاج عليّ، حميد الدين. وقد سُمي عقب ولادته بـ"حميد الدين" ولكنه رآى في هذا الاسم تمدُّحاً وتعاظُماً، فسَمَّى نفسه "عبد الحميد"، فغلب هذا الاسم على الاسم السابق(١).

كنيته:

كنى الفراهي نفسَه بـ"أبي أحمد" تيُّمناً بهذا الاسم المبارك، ولم يكن من أبنائه مَن يُسَمّى بـ"أحمد" كما يتبادر ذلك إلى الذهن(٢).

نسبه:

يُنسَب الفراهي إلى عائلة معروفة في الهند تُسَمَّى "الأنصاري(٣)"، كما أشار إلى ذلك في بعض كتبه(٤).

نسبته:

أما نسبته فهي إلى قريته التي أبصر فيها النورَ، والتي تُعرَف بـ"فَرِيْها"، وهي من قرى "أعظم كره" من مديريات الإقليم الشمالي في الهند المسمَّى بـ"أترابرديش". فيُنسَب الفراهي إلى هذه القرية ويُسَمَّى "الفراهي".

---

(١) انظر: الندوي، سيد سليمان، في ترجمته للفراهي في مقدمة الكتاب "**الإمعان في أقسام القرآن**"، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٣.

(٢) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، الدائرة الحميدية، سرائ مير، ط١، ص٥٠.

(٣) قيل أن نسبة الأنصاري فإلى أسرته الأنصارية ذات الانتشار الواسع في بلاد القارة الهندية، وصدر خلاف شديد، منهم من يدعي أنهم من "أنصار المدينة"، ومنهم من يقول أنها أسرة هندية الأصل وأسلم أجدادها.

(٤) انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**،: دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٨، ص١٢٦٧.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

وُلد الفراهي في قرية "فريها" صباح يوم الأربعاء، سادس جمادى الآخرة، سنة ١٢٨٠هـ، في أسرة علمية كريمة معروفة بنسبها وحسبها وعلمها وفضلها ومكانتها الاجتماعية، ويعد أهل هذه الأسرة من أعيان القرية ووجهائها. وقد أبصر الفراهي النورَ في هذه البيئة الشريفة، ونشأ وترعرع فيها في رخاء ورفاهية[١].

المطلب الثالث: طلبه للعلم وإتقانه لأمهات اللغات.

حفظه للقرآن الكريم:

بدأ الفراهي طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم شأن كثير من أبناء البيوتات الشريفة في الهند، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك[٢].

تعلُّمه اللغات الراقية:

بدأ الفراهي تعلُّم اللغات باللغة الفارسية، حيث تعلَّمها في بيته في مدة تسعة أشهر على أحد الأساتذة البارعين، وسرعان ما برع الفراهي في هذه اللغة حتى استطاع أن يقرض الشعر فيها، ولم تمض مدةً قليلةً حتى شرع يُجاري في ذلك فحول شعراء الفارسية[٣].

ثم أقبل الفراهي على تعلُّم اللغة العربية، فتعلَّمها على ابن عمِّه الشيخ شبلي النعماني[٤]، الذي كان من كبار العلماء الملمين بالعربية وآدابها وقتئذ، فأتقن الفراهي هذه اللغة على يده إتقاناً كاملاً، ثم تاقت نفسه إلى قراءة آداب هذه اللغة، فدرسها على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري[٥]، الذي كان يُعد وقتئذ من كبار علماء اللغة والأدب في شبه القارة الهندية، وألَمَّ الفراهي بهذه اللغة إلماماً تاماً، حتى أصبح فيها إماماً لا يشقّ له غبار، وكان له في كل علم من علومها تحقيقات واجتهادات واستدراكات

---

(١) أجمل الإصلاحي، ترجم له في مطلع كتاب "**مفردات القرآن**" للفراهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦.

(٢) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، ص٥٧.

(٣) الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٦٧.

(٤) ستأتي ترجمته ضمن تراجم شيوخه.

(٥) ستأتي ترجمته ضمن تراجم شيوخه.

على الأئمة، وأكبَرُ دليلٍ على ذلك كتابه "جمهرة البلاغة" الذي ردَّ فيه على عبد القاهر الجرجاني[١]، وقدَّم بعضَ آرائه المفيدة في فن البلاغة.

وبعد أن أخذ الفراهي حظاً وافراً من اللغتين الفارسية والعربية؛ رآى أنه من الضروري أن يتعلم اللغة الإنجليزية لكونها لغة المستعمرين البريطانيين وقتئذ في الهند ليعرف مكائدَهم ومؤامراتِهم ضد أهلها وخاصة ضد المسلمين ودينهم، فتعلَّم هذه اللغة في "كلية عليكره" التي تُسَمَّى اليوم بـ"جامعة عليكره الإسلامية". وقد أتقن الفراهي هذه اللغة إتقاناً كاملاً، حتى استطاع فيما بعد أن يؤلّف ويحاضر فيها، وله في هذه اللغة رسالة ألّفها عن عقيدة الشفاعة والكفارة، ردَّ بها على بعض علماء النصارى[٢].

كما أنه تعلَّم في هذه الجامعة اللغة العبرانية أيضاً على المستشرق اليهودي الألماني جوزف هوروفيتس[٣]، وكان تعلُّمه لهذه اللغة مفيدا حيث أعانته كثيراً فيما بعد في قراءة التوارة للمقارنة بينها وبين القرآن الكريم، وكذلك أعانته هذه اللغة على الردّ على اليهود والنصارى في بعض المسائل الدقيقة، كما نرى ذلك في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، فقد جاء فيه بثلاثة عشر دليلاً من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأن الذبيح إسحاق عليه السَّلام، وناقش علماءَ أهل الكتاب، وفسَّر بعضَ ما أشكل عليهم من كتبهم[٤].

دراسته للعلوم النقلية والعقلية:

رحل الفراهي إلى مدينة "لكنؤ"[٥] لقراءة العلوم النقلية والعقلية، حيث قرأها على الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي الحسني اللكنوي، ثم على الشيخ فضل الله الأنصاري[٦]، واللّذين كانا من أئمة هذه العلوم في الهند في ذلك العصر[٧].

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر (ت٤٧١هـ): من أئمة اللغة العربية، وواضع علم البلاغة، من أهل جرجان، له شعر جميل، ومن كتبه: "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٤٨، ٤٩.

(٢) انظر: الندوي، سيمان، في ترجمة الفراهي اللحقة بكتابه "**إمعان في أقسام القرآن**"، ص١٩.

(٣) لم يتيسر لي العثور على ترجمته.

(٤) انظر: أجمل الإصلاحي، في ترجمته للفراهي في فاتحة كتاب "**مفردات القرآن**"، ص٢٤.

(٥) عُرفت هذه المدينة بكثرة المدارس الدينية، والمراكز العلمية، وظهر فيها العديد من العلماء الأجلاء أمثال: الإمام عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ)، والعلامة عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ)، والعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (ت١٤٢٠هـ) وغيرهم. انظر: أبو الحسن الندوي، **المسلمون في الهند**، ص١٠٥، ١٠٦.

(٦) ستأتي ترجمتهما ضمن تراجم شيوخه.

(٧) عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٦٧.

وقد تضلَّع الفراهي من العلوم الشرعية تضلُّعاً كاملاً، كما تشهد بطول باعه فيها الفصولُ التي سوَّدها من كتبه: الرائع في أصول الشرائع، وإحكام الأصول بأحكام الرسول، وفقه القرآن. وله كذلك تعليقات قيمة على كتب الحديث والفقه والأصول وغير ذلك[١]، وكل ذلك دليل ساطع على تمكُّن الفراهي من تلك العلوم.

ومما يجدر بالذكر هنا أنَّ الفراهي قد قرأ كذلك الفلسفة الحديثة أيام دراسته في كلية عليكره، على المستشرق الشهير "توماس آرْنُلد[٢]"، الذي كان من أساتذة الكلية، ونال فيها درجة الامتياز[٣].

المطلب الرابع: اشتغاله في المناصب التدريسة والعلمية والإدارية.

<u>في مجال التدريس:</u>

عُيِّن الفراهي مدرِّساً للغة العربية في "مدرسة الإسلام" بمدينة "كراتشي" في عام ١٣١٤هـ، وظلَّ يعمل فيها قرابة تسع سنوات.

ثم انتقل إلى "كلية عليكره" في سنة ١٣٢٤هـ، وعيِّن فيها أستاذاً مساعداً للعربية، ودرَّس فيها سنتين.

ثم انتقل من هناك إلى "جامعة إله آباد" حيث قام بتدريس العربية بمرتبة أستاذ نحو ست سنوات.

<u>في مجال الإدارة والإشراف:</u>

اختارته "إمارة حيدرآباد الدَّكَنْ"[٤] في عام ١٣٣٢هـ، عميداً لدار العلوم التي كانت تُعرَف بـ"الكلية الشرقية"، وكان الفراهي بجانب عمادته للكلية يدرِّس كذلك في هذه الكلية في مرحلة الدراسات العليا.

ويُعَد أحد المؤسِّسين لـ"الجامعة العثمانية" الشهيرة في حيدرآباد، وإليه يرجع الفضل في جعل اللغة الأردوية لتدريس العلوم العصرية في هذه الجامعة[٥].

---

(١) انظر: أجمل الإصلاحي، في ترجمته للفراهي في فاتحة كتاب "**مفردات القرآن**"، ص٢٦-٢٧.

(٢) هو سير توماس آرنلد (١٨٦٤ – ١٩٣٠): من كبار المستشرقين البريطانيين. تعلَّم في "كمبردج" وقضى عدة سنوات في الهند استاذاً للفلسفة في "كلية عليكرة الاسلامية". وهو أول من جلس على كرسى الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن. كان عالماً دقيقاً فيما يكتب، عُرف بتعاطفه مع الاسلام. وله العديد من الكتب، ومن أشهرها "الدعوة إلى الاسلام". انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ١٩٩٧م، ج٢، ص٩٤.

(٣) شرف الدين الإصلاحي، **ذكر فراهي**، ص٦٩.

(٤) من أشهر الإمارات الإسلامية وأغناها في الهند قبل الاستعمار البريطاني. اشتهرت بثقافتها الممتازة، وجوامعها الكبيرة ومكتباتها القيمة ومؤسَّساتها العلمية. انظر: غوستاف لوبون، **حضارات الهند**، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٥٧م، ص٥٥٤.

(٥) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، ص٧١.

وقد مكث الفراهي في حيدرآباد زهاء خمس سنوات، وغادرها في سنة ١٣٣٧هـ، إلى مسقط رأسه "فريها"، حيث تولَّى إدارةَ "مدرسة إصلاح المسلمين" التي أنشأتها "جمعية إصلاح المسلمين" في بلدة "سراي مِيْر". وقد عكف الفراهي على خدمة هذه المدرسة بكل صدق وإخلاص، ووضع لها مقرَّرات تتميز عن مقررات جميع المدراس الدينية في الهند، وكان يُلقي على أساتذة هذه المدرسة وطلابها الكبار دروساً في تفسير القرآن الكريم.

كما اختُير الفراهي في سنة ١٣٣٢هـ رئيساً لـ"دار المصنفين"[(١)] في مدينة أعظم كره، وترأسها حتى وفاته[(٢)].

<u>في مجال الإفادة العامة:</u>

وكان أثناء إقامته في مدينة "حيدرآباد" يُلقي الدروس في حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم، وكان لها دويٌّ في المدينة، وكان يحضر تلك الدروسَ أعيانُ المدينة[(٣)].

المطلب الخامس: أساتذته وتلامذته.

(أ) أساتذته:

كان لبعض أساتذة الفراهي تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية، لا سيما: ابن عمِّه العلامة شبلي النعماني، والشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والمحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي اللكنوي، والشيخ نعمة الله اللكنوي، وقد درس الفراهي على هؤلاء مختلف العلوم النقلية والعقلية ومهر فيها، لذا أرى من اللزام أن أقوم هنا بتعريف وجيز لهؤلاء الأساتذة الذين لهم تأثير كبير في تكوين شخصية الفراهي العلمية، وهم:

<u>١) العلامة شِبْلي النعماني (١٢٧٣ - ١٣٣٢هـ):</u>

هو شبلي النعماني بن حبيب الله بن حسن علي: العلامة المؤرخ، الأديب الناقد، كان يُشبه السلفَ في غزارة العلم وسعة الاطلاع على العلوم النقلية والعقلية. وُلد في بلدة "أعظم كره"، وتلقَّى العلم عن كبار علماء عصره، تولَّى عمادةَ "دارالعلوم ندوة العلماء" وظلَّ على هذا المنصب حتى

---

(١) أحد أكبر مراكز التأليف والترجمة والبحث والتحقيق في شبه القارة الهندية، قام بنشر الكثير من الكتب القيمة لكبار علماء الهند ومؤلِّفيها، وله سمعة عالمية في الإنتاج العلمي الوفير المميَّز باللغة الأردوية والإنجليزية والفارسية. وهي تصدر مجلَّةً علمية محكَّمةً باسم "معارف"، التي تُعَد من أشهر المجلات في شبه القارة الهندية. انظر: أبو الحسن الندوي، **المسلمون في الهند**، ص١٤٠.

(٢) الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٦٧.

(٣) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، ص٧٢.

وفاته. وقد خلف النعماني وراءه آثاراً علمية وتاريخية وأدبية ضخمة، ومن أشهرها: "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" في ثماني مجلدات ضخام، و"الفاروق" في سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و"النعمان" في سيرة الإمام أبي حنيفة، و"المأمون" في سير الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، وتُعَد هذه الكتب من أروع ما ألّف في سير هؤلاء[١].

وقد تعلّم الفراهي اللغة العربية من العلامة النعماني ولازمه لأجل ذلك حتى أتقنها، وكان الفراهي في أول عهده بهذه اللغة، يُرسل إلى النعماني ما كان يكتبه بها وبالفارسية من النثر والشعر، فكان النعماني يراجع ذلك ويرشده إلى الصَّواب[٢].

٢) الشيخ فيض الحسن السَّهَارَنْفُوري (ت١٣٠٤هـ):

هو فيض الحسن بن علي بخش بن خُدَا بخش القُرَشي السَّهَارَنْفُوْري: أحد كبار علماء العربية في عصره في الهند. وُلد في "سهارنفور"، وقرأ على كبار علمائها. اشتغل بالتدريس في "الكلية الشرقية بلاهور، في قسم اللغة العربية، ولم يزل يعمل فيها حتى وفاته، وقد تخرَّج عليه أثناء تدريسه في هذه الكلية عدد كبير من العلماء الذين لهم دور في تطوير اللغة العربية في هذه البلاد. وكان له - رحمه الله تعالى- تمكُّنٌ عجيبٌ من اللغة العربية وآدابها، ولم يكن في عصره أعلَمُ منه بالنحو واللغة، والأشعار، وأيام العرب، وما يتعلّق بها[٣].

وقد درس عليه الفراهي الأدب العربي وبعض كتب العلوم العقلية، وكان الشيخُ يحب الفراهيَّ لفرط ذكائه وحسن أدبه، فأهدى إليه بعض كتبه القيمة، وكان مِن حبّ الفراهي لشيخه أنه نشر ديوانَه بالعربية على نفقته الخاصة[٤].

٣) الشيخ عبد الحي اللَّكْنَوِي (١٢٦٤-١٣٠٤هـ):

هو عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي: علامة الهند، وإمام المحدِّثين والفقهاء فيها. وُلد ببلدة "بانْدَهْ"، واشتغل بالعلم على والده، سافر للحج والزيارة مرتين، واستفاد من علماء الحرمين واستجاز منهم، كان متبحِّراً في العلوم النقلية والعقلية، ومتضلّعاً من علوم الحديث وفنونه، بل لم يكن في الهند في

---

(١) انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٦٧.
(٢) انظر: سليمان الندوي، **مكاتيب شبلي**، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، ط١، ١٩٧٧م، ج١، ص١٢٤.
(٣) انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٣٢٨.
(٤) انظر: الإصلاحي، في ترجمة الفراهي لكتابه "**مفردات القرآن**"، ص١٧.

عصره من يباريه في ذلك، توفي بلكنؤ عن تسع وثلاثين، وله مؤلّفات كثيرة في الفقه والحديث وغيرهما، وطُبع معظمها في البلاد العربية بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غُدَّة رحمهما الله تعالى[١].

وقد درس عليه الفراهي العلوم النقلية دراسة واعية، حتى تبحَّر فيها.

٤) الشيخ فضل الله اللَّكْنَوي (ت١٣١١، أو١٣١٢هـ):

هو فضل الله بن نعمة الله الأنصاري اللكنوي: وُلد ونشأ بلكنؤ، وقرأ على مشاهير علمائها. كان في عصره عديم المثل في العلوم العقلية، وله مؤلّفات كثيرة في المنطق وعلم الكلام[٢].

وقد درس عليه الفراهي العلوم العقلية.

(ب) تلامذته:

كان الفراهي من العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ولذلك كانت شخصيته مرجعاً كبيراً لكثير من المثقّفين المسلمين من عُلية القوم، وكان يراجعه كبار العلماء والفضلاء في حلّ مسائل تخص القرآنَ وتفسيره، واللغة العربية وآدابها، لكن الذين حضروا مجالس الفراهي واستفادوا من دروسه ومحاضراته في تفسير القرآن وغيره، ثم تأثّروا بأفكاره وذكروها في مؤلفاتهم وكتاباتهم، واعتبروه إماماً وشيخاً لهم فهم قلائل، ومنهم:

١) الشيخ عبد الله العِمَادي (١٢٩٥-١٣٦٦هـ):

الذي يُعَدّ من مشاهير علماء الهند المتمكّنين من اللغة العربية والحديث النبوي. وُلد ونشأ في قرية "أَمْرِتْ" من أعمال مدينة "جُوْنفُوْر"، وقرأ على والده، وأخذ عنه الفقهَ وأصولَه، ثم على جدِّه، وأخذ عنه العلومَ النقلية والعقلية. تولّى تحرير مجلة "البيان" العربية، وعمل بها مدةً، ثم أنشأ جريدةً باسم "الوكيل" والتي كان لها دوي وقتئذ. ثم سافر إلى إمارة "حيدرآباد" وعمل مترجماً في دار الترجمة، وظلَّ يعمل فيها حتى وفاته. وكان متأثّراً جداً بشخصية الفراهي العلمية والأدبية، واقتفى أثرَه، فأصبح مثله متفنّناً في العلوم والآداب[٣].

---

(١) انظر: سيد عبد الماجد الغوري، **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري**، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٢، ص٦٤، ٧١.

(٢) انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٣٢٥.

(٣) انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٩٧-١٢٩٨.

٢) العلامة السيد سليمان النَّدْوِي (١٣٠٢ - ١٣٧٣هـ):

الذي كان مؤرِّخاً كبيراً، ومؤلِّفاً شهيراً في القارة الهندية في عصره. وُلد بقرية "دِسْنَه" من أعمال ولاية "بهار". درس في "دار العلوم ندوة العلماء" على كبار علمائها أمثال العلامة شبلي النعماني. هاجر إلى باكستان في سنة ١٣٦٩، وشارك في وضع دستورها. توفي بكراتشي. وله مؤلَّفات عديدة، ومن أشهرها: تكملة "سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم" لشيخه العلامة شبلي النعماني. وكان من أساتذة المفكّر الإسلامي الكبير العلامة أبي الحسن الندوي، رحمهما الله تعالى[١].

٣) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت١٣٧٥هـ):

الذي يُعَدّ من كبار الباحثين في الدراسات الإسلامية والتاريخية في الهند، وُلد بقرية "كيلان" في ولاية "بهار" وتوفي فيها، أكمل دراسته كلها في "دارالعلوم دِيُوْبَنْد"، ثم درَّس فيها مدةً، ثم دُعي إلى "الجامعة العثمانية" بحيدرآباد حيث عيِّن أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية ثم رئيساً له. وله العديد من المؤلفات، ومن أشهرها "تدوين الحديث"[٢] الذي طُبع حديثاً بالعربية بمراجعة الدكتور بشار عواد معروف.

٤) مولانا أبو الكلام آزاد (١٣٠٦ -١٣٧٧هـ):

هو محيي الدين أحمد بن خير الدين، لكنه اشتهر بلقبه "أبو الكلام آزاد" أكثر من اسمه: كان أحد كبار زعماء المسلمين في الهند، ومن أجلة علمائهم. وُلد في مكة المكرمة، ونشأ في الهند في أسرة صوفية، وأتقن الإنجليزية والعربية والفارسية، زار القاهرة وتركيا وفرنسا، وقام بإصدار مجلة "الهلال" ثم مجلة "البلاغ" وكانتا من أكبر المجلات الإسلامية وقتئذ. قاوم الاستعمارَ البريطاني وسُجن في سبيل ذلك مرات. وكان الساعدَ الأيمنَ للزعيم الهندي الشهير "مهاتَمَا غانْدِي" في تحرير الهند من الاستعمار. عُيِّن وزيراً للتعليم بعد استقلال الهند، ولم يزل على هذا المنصب حتى وفاته. وهو يُعتبَر من

---

(١) انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٣٥.

(٢) انظر: محمد أكبر شاه البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، إدارة إسلاميات، كراتشي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص١٩٦.

كبار كتاب الأردوية وأدبائها، وله مؤلفات كثيرة، ومن أشهرها تفسيره للقرآن الكريم المسمَّى بـ"ترجمان القرآن"(١).

٥) الأستاذ عبد الماجد الدَّرْيَابادي (ت١٣٩٧هـ):

هو الأديب الإسلامي الكبير، والكاتب المعروف سواء في الأردوية أو الإنجليزية، والمؤلف المكثر، والعالِمُ بالعلوم الدينية، وصاحبُ نظرة نافذة ومعرفة واسعة بالأوضاع والظروف التي مرَّ بها المسلمون. وُلد في بلدة "دَرْياباد" في شمالي الهند، وحصل على البكالوريوس، وأصدر مجلة باسم "سَجْ" (أي الصِّدق) ثم جريدة باسم "صدق جديد"، وكانتا من أحسن المجلات الأردوية. ثم عكف على تفسير القرآن الكريم باللغة الأردوية والإنجليزية، وألّف العديد من الكتب حول القرآنيات(٢). وكانت له علاقة قوية بالفراهي، يستشيره فيما يؤلّفه من الكتب التي تتعلق بالقرآن، ولذلك فإن تأثير الفراهي جليٌّ في مؤلّفاته ومقالاته.

وهؤلاء كانوا ممن تأثّروا بشخصية الفراهي تأثُّراً كبيراً حتى تجلّى ذلك التأثير فيما ألّفوه من كتب وكتبوه من مقالات لا سيما في القرآن وعلومه.

أما الذين لازموا الفراهي ملازمةً شديدةً كطلَبة العلم، وارتووا من مناهل علمه، ثم حملوا لواء فكره، وقاموا بنشره، فهم قليلون جداً، بل لا يعدون عن اثنين، وهما:

٦) الشيخ أختر أحسن الإصلاحي (ت١٣٢٠ - ١٣٧٨هـ):

الذي درس في "مدرسة الإصلاح" ونُسب إليها، وكان ممن لازم الفراهيَّ ملازمةً طويلةً، ونهل من معين علمه، وكان أبعدَ غوراً، وأثقبَ نظراً في علم القرآن والعربية، وأشبه بشيخه في الصلاح والورع وحسن السمت، ولكنه لم يتفق له أن يؤلّف شيئاً مثل شيخه غير مقالات معدودة في تفسير بعض الآيات المشكلة، التي نُشرت في مجلة "الإصلاح"، وكان قد وقف حياتَه لخدمة "مدرسة الإصلاح" حسب المنهج الذي رسمه لها شيخُه الفراهي، فتخرَّج على يده جيلٌ ممتازٌ من العلماء

---

(١) انظر: لترجمته: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد: المصلح الديني والزعيم السياسي في الهند**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص٤٥.

(٢) انظر: سمير عبد الحميد إبراهيم، **الأدب الأردوئي الإسلامي**، ص٥٤٣-٥٤٤.

العاملين، وله فضل كبير في صيانة حفظ مسوَّدات كتب الفراهي من الضياع والتلف، حيث إنه اعتنى بإعداد كثير منها للنشر، وطبعه[١].

<u>٧) الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت١٤١٨هـ):</u>

الذي كان يُعَدّ من كبار علماء شبه القارة الهندية. وُلد في قرية "بَمْهُوْر" من مديرية "أعظم كره" في شمالي الهند. درس في "مدرسة الإصلاح" ونُسب إليها، ثم لازم الفَرَاهِي وتعلم منه علوم القرآن و تفسيره. انضمَّ إلى "الجماعة الإسلامية" لمؤسّسها الشيخ أبي الأعلى المودودي، واشتغل فيها بمناصب مهمة، وكان من الأعضاء المتحمسين لها، بل كان يُعد الرجلَ الثاني فيها بعد المودودي، إلا أنه اعتزل عنها، وانقطع إلى التأليف والتصنيف. وله مؤلفات عديدة، ومن أشهرها "تدبُّر القرآن" بالأردية في مجلدات ضخام، وقد ألّفه على منهج شيخه الفراهي، واستغرق تأليفه تسعة وعشرين عاماً. وهو الذي ترجم كتبَ الفراهي إلى الأردوية بأسلوبه الماتع، فتيسَّر لعامة الباحثين في شبه القارة الهندية الاستفادة من كتب الفراهي وأفكاره وتدبُّره للقرآن الكريم. توفي بلاهور[٢].

المطلب السادس: من صفاته الْخِلْقِيَّة والْخُلُقِيَّة.

من صفاته الْخِلْقِيَّة:

قيل في وصف الفراهي الخِلقي: إنه كان أسمر اللَّون المائل إلى البياض، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، محبا للعزلة، ومهيباً ووقوراً، رشيداً ورزيناً[٣].

من صفاته الْخُلُقِيَّة:

عُرف الفراهي في طيلة حياته، بفرط الذكاء، ونفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوِّعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات الشرقية والغربية، وبرع في الفلسفة الحديثة، وتلك أمور لم يتصف بها أحد من علماء الهند قديماً وحديثاً، ثم لم يزده ذلك كله إلا قوةً في الدين وغيرةً عليه، واستقامةً عليه علمياً وعملياً.

وقد أقبلت عليه الدنيا، وتهيأت له فرص لو اغتنمها وسعى إلى ما يسعى إليه الآخرون من أهل الدنيا؛ لنال أجلَّ الرُّتَب وأعلى المناصب، وحازَ كلَّ ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وسعة

---

(١) انظر: أجمل أيوب الإصلاحي، في ترجمة الفراهي في فاتحة "**مفردات القرآن**"، ص٣١.
(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٣١-٣٢.
(٣) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، ص٦٧.

الشهرة، ولكنه كان زاهداً في ذلك كله، كان متواضعاً في غاية التواضع، مع جود وغنى نفس، وهذه بعض شهادات معاصريه بما قلتُه:

يقول العلامة شبلي النعماني: "مَن جلس إلى عبد الحميد؛ انصرف قلبه عن الدنيا"(١).

ويقول تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي: "كان آيةً من آيات الله في حِدَّة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في مرضاة الله"(٢).

ومما وصفه به المؤرِّخ الشيخ عبد الحي الحسني(٣) أنه كان يتمتَّع بـ"جودة فهم، ووفور ذكاء، وشهامة نفس، وانقطاع لا سيما عن بني الدنيا، وعدم اشتغال بما لا يعنيه"(٤).

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدَّرْيابادي: "كانت شخصية الفراهي شخصية جذابة، قلما رأينا مؤمناً قانتاً مثله، قيل في وصف أولياء الله: إنَّ الجلوس معهم يذكِّر الإنسانَ بالله سبحانه، وكان يَصدُق هذا الوصفُ على الفراهي صدقاً تاماً"(٥).

المطلب السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

وكان الفراهي العالِمُ الأوحدُ في الهند في عصره الذي برع براعةً كاملةً في العلوم النقلية والعقلية، ومهر مهارةً فائقة في اللغات الشرقية والغربية، ودرس علومَ الغرب وآدابه باللغة الإنكليزية دراسة الناقد البصير، لكنَّ العلم الذي غلب على الفراهي هو علمُ القرآن، الذي بلغ فيه منْزلة تتقاصر دونها الهِمَمُ، وشأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلقَّبه معاصروه بـ"ترجمان القرآن"، فكان لسانه ينبع علماً بالقرآن، وصدره يتدفَّق بحثاً عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفاً عن معضلاته(٦).

لقد اعترف الكثيرون من كبار علماء الهند والعالم الإسلامي بما كانت تتمتع به شخصية الفراهي من غزارة علم، وسعة اطلاع، وأثنوا عليه كعالِم للقرآن وعلومه، وملماً باللغة العربية وآدابها،

---

(١) انظر: الإصلاحي، أجمل، في ترجمة الفراهي في فاتحة "**مفردات القرآن**"، ص٢١.

(٢) لقب الندوي، سليمان، في ترجمته للفراهي، انظر: **الإمعان في أقسام القرآن**، ص١٨

(٣) هو الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت١٢٨٦-١٣٤١هـ): العلامة البحّاثة، المؤرِّخ الشهير، المؤلِّف المكثر. تلقَّى العلمَ عن كبار علماء وشيوخ عصره، ثم رحل في طلب الحديث، وقرأه على كبار علمائه. تولَّى رئاسة "دارالعلوم ندوة العلماء"مدةً طويلةً. وهو والدُ العلامة أبي الحسن الندوي. ومن مؤلَّفاته الشهيرة: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، و"تهذيب الأخلاق". انظر لترجمته مستهلَّ المجلد الأول لكتابه "نزهة الخواطر".

(٤) الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٦٧.

(٥) الإصلاحي، أجمل، في ترجمته للفراهي، انظر "**مفردات القرآن**"، ص٢١.

(٦) انظر: الندوي، سليمان، ترجمته للفراهي في بداية كتابه "**إمعان في أقسام القرآن**"، ص١٧، و أجمل الإصلاحي، في ترجمته للفراهي، انظر "**مفردات القرآن**"، ص٢١.

ولا يسع المقام هنا لسوق كلِّ ما قالوا فيه ثناءاً عليه ومدحاً له، لذلك أكتفي هنا بذكر بعض أقوالهم في ذلك:

يقول تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي: "هو شخص واحد اجتمع فيه عالَم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علم القرآن، عارف بحكمته ودقائقه، كُنَيف مُلِئ علماً، ولكن لم يُنقل من علمه -مع الأسف- إلى الدفاتر والأوراق إلا قليل ..."(١).

ويقول مولانا أبو الكلام آزاد: "كان حميد الدين الفراهي من العلماء الربانيين، الذين لا تكون بضاعتهم العلم فحسب، بل يجمعون بين العلم والعمل، ويندر وجود أمثال هؤلاء الحائزين للشرفين"(٢).

وقال العلامة رشيد رضا المصري(٣) بعد أن اطّلع على بعض أجزاء من تفسير الفراهي، ما نصه: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية...، وإنَّ للمؤلّف لفهماً ثاقباً في القرآن، وإنَّ له فيه مذاهب في البيان...، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها"(٤).

وقال العلامة اللغوي الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي(٥) بعد زيارته للفراهي في مسقط رأسه في عام ١٣٤٢هـ حين كان في زيارةٍ للهند، يقول: "والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند...، سمعتُ منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقيتها...، وهو مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية

---

(١) سليمان الندوي، في مقاله الذي كتبه إثر وفاة الفراهي في مجلة "معارف" الأردوية، (الصادرة عن دار المصنفين بأعظم كره في الهند)، المجلد ٢٦، العاد السادس، صفحة٣٢٢.

(٢) انظر: مجلة "الإصلاح" (الصادرة عن مدرسة الإصلاح بسراي مير، في أعظم كره، في الهند)، المجلد الأول، العدد الثامن، ص٥٦-٦١.

(٣) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القَلَموني (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ): من الكتاب، والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. وُلد ونشأ في "القلمون" (من أعمال طرابلس الشام) وتعلَّم فيها وفي طرابلس. ثم رحل إلى مصر ولازم الشيخَ محمد عبده وتتلمذ له. ثم أصدر مجلة "المنار". توفي بالقاهرة. وله كتب عديدة ومنها: "تفسير القرآن الكريم" لم يكمله. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١٢٦.

(٤) الإصلاحي، أجمل، في ترجمته للفراهي، انظر "**مفردات القرآن**"، ص٢١، نقلاً عن رشيد رضا، في مجلة المنار، عدد شهر صفر، عام ١٣٢٧هـ

(٥) هو محمد محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، أبو شكيب المراكشي (١٣١١ - ١٤٠٧هـ): المفسِّر المحدِّث، اللغوي الشهير، الأديب، الشاعر، الرحالة. جال في الأرض وزار الهندَ وجامعاتها. وعمل أستاذاً للغة العربية وآدابها في "دار العلوم ندوة العلماء"، فكان من تلامذته: العلامة أبو الحسن الندوي. كما عمل في التدريس في جامعات السعودية والعراق والمغرب. له العديد من الكتب. انظر: محمد خير رمضان يوسف، **تتمة الأعلام للزركلي**، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج٢، ص١٣٥.

لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهلٌ، ماهرٌ في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردوية، وبالجملة فهو أعلَمُ مَن لقيتُه قبل هذا الحين"(١).

المطلب الثامن: وفاته.

توفي -رحمه الله تعالى- وهو يتلو القرآنَ الكريم، في مدينة "مَتْوْرا" في شمالي الهند، في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٤٩هـ، الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٩٣٠م. كان رحل إلى تلك المدينة عليلاً يستشير طبيباً متخصصاً حاذقاً من أبناء بلدته موظّفاً هناك، فلم ينفع الدواء، عندما حتم القضاء. وأنهكته العلة التي ألمت به، ولم تنجح العملية التي أجراها الطبيب. فمات متأثراً بعلته، رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته.

وقد رثاه عدد من أصحابه وتلامذته بقصائد عربية وفارسية وأردوية، ومنها هذه القصيدةُ التي قالها الشيخ عبد الرحمن الكاشغري (ت١٩٧١هـ) أحد كبار اللغويّين والأدباء في الهند، يقول فيها:

ويعطّـــر الأيـــامَ مـــن أنفاســـه	عـــرفُ الهـدى والعلـم والعرفـــان
قـــــد كـــــان كعبـــــة سُـــــؤْدُد	للمَكرُمـــــات مـــــشيّد الأركـــــان
ويـدَ الـسَّماح وهامَــة الهمَـم العلــى	ولـــــــسانَ صِـــــــدْقٍ كَيَمـــــــان
ومَحَجَّــة الحــسنى وحُجَّــة أهلهــا	ويَمِـــينَ ديـــن الحـــقِّ والإيمـــان(٢)

---

(١) انظر: المراكشي، تقي الدين، في مقال له عن الفراهي، المنشور في مجلة الضياء، (الصادرة عـن دار العلـوم لندوة العلماء بلكنؤ في الهند)، المجلد الثاني، العدد السابع، ص٢٦٠.

(٢) الإصلاحي، أجمل، في ترجمته للفراهي، انظر "**مفردات القرآن**"، ص٣٩.

المبحث الثالث: مؤلفات الفراهي المطبوعة والمخطوطة.

يحتوي هذا المبحث على مطلبين، تحدَّثتُ في أولهما عن المنهج العام للفراهي في مؤلّفاته، ثم بينتُ بعض مزاياه، ثم وصفتُ أسلوبه في مؤلّفاته. أما المطلب الثاني فذكرت فيه جميع مؤلّفات الفراهي في قسمين، أولهما عن مؤلّفاته المطبوعة، والثاني عن مؤلّفاته المخطوطة، ورتبتُ جميع تلك المؤلّفات حسب الموضوعات، وإضافةً إلى ذلك فقد قمتُ في القسم الأول بوصف وجيز لجميع مؤلّفاته المطبوعة[١]، أمّا مؤلّفاته المخطوطة التي ذكرتها في القسم الثاني فاكتفيتُ بسرد أسمائها فقط لكونها مازالت مخطوطة ولم يتيسَّر لي الاطّلاع عليها لأقوم بوصفها.

المطلب الأول: المنهج العام للفراهي في مؤلفاته.

قبل أن أقوم بتعريف موجز لمؤلفات الفراهي، أرى من المستحسن أن أتحدَّث عن المنهج العام للفراهي في مؤلّفاته؛ لأنَّ منهجه فيها يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتابٍ جمعوا في أول وهلةٍ مادةَ موضوعه، ثم رتَّبوها في صورة كتابٍ.

أمَّا الفراهي فكان له مذهب في ذلك غير مذهبهم، فإنه إذا شعر بحاجةٍ إلى الكتابة أو التأليف في موضوع ما، أو حلّ مشكلة من المشكلات في مسألة علمية؛ فكانت الموضوعات في ذلك الموضوع تتمثَّل بين عينيه، وهو يُديم النظرَ والبحث فيها، فإذا حقَّق مسألةً، أو حلَّ معضلةً، أو أحكم رأياً؛ قيَّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ..."، حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، لذلك كان يؤلّف كتباً عديدةً في وقت واحد، ولهذا السبب بقي أكثَرُ مؤلفاته ناقصةً.

ومن مزايا منهج الفراهي في مؤلّفاته أنه لا يكرِّر في مؤلّفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفع[٢].

وأما أسلوب الفراهي في مؤلّفاته فأقول: إنه يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل، وهذه صفةٌ لا بد منها للعالم الذي يعتقد صواب قوله، لا بد له من الجرأة ونبذ التردد، ولا سيما في المسائل العلمية التي يتسع فيها مجال الأخذ والرد، ولا يستطيع طرف أن يدعي أنه قال القول الفصل فيها.

---

(١) وذلك لأن التعريف المفصَّل لكل منها سيأتي في الفصل الثاني مع بيان المنهج والمزايا.

(٢) قارن ذلك مع ما كتبه الدكتور أجمل الإصلاحي في ترجمة الفراهي في فاتحة كتاب "**مفردات القرآن**"، انظر صفحة٣١.

المطلب الثاني: مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة.

القسم الأول: مؤلفاته المطبوعة.

(أ) مؤلفاته المطبوعة بالعربية:

أولاً: مؤلّفاته التي تتعلّق بالدراسات القرآنية:

١) **الرأي الصحيح في من هو الذبيح:** وهو من أنفس ما كُتب في قصة ذبح إسماعيل عليه السلام، على كثرة ما كُتب في هذا الباب. وقد طُبع هذا الكتاب بدار القلم بدمشق ١٤٢٠هـ، بعناية الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

٢) **إمعان في أقسام القرآن:** وهو من أحسن مؤلّفات الفراهي وأهمِّها، تحدَّث فيه عن أقسام القرآن وأنواعه مع الاستشهاد بأبيات العرب الأولين الفصحاء وعرض نماذج في ذلك من بُلغاء اليونان القدماء. طُبع هذا الكتاب مراراً في الهند، وصدرت له أخيراً طبعة محقَّقة بعناية الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي من دار القلم بدمشق عام ١٤١٥هـ.

٣) **أساليب القرآن:** يبحث هذا الكتاب في وجوه الأساليب في القرآن ومفاهيمها ومواقع استعمالاتها، وقد كان الفراهي وضع كتاباً آخر كتوطئة واستطراد لها الكتاب يعرف بمفردات القرآن وسيأتي. وذلك أن الطالب لا بد أن يعرف الألفاظ المفردة وبعد أن يفرغ منها يترقى إلى معرفة الجمل والتراكيب، فهنا يأتي دور (أساليب القرآن) لتسليط الضوء على الطرق الموجّهة لفهم دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليها الأساليب المختلفة. ومن مزايا هذا الكتاب أن كل ما يحتوي عليه من آداب القرآن وأساليبه إنما يقوم على أساس متين ودعامة وثيقة من معرفة سنن العرب في كلامها. وقد طُبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح بأعظم كره الهند، طبعته الثانية سنة ١٤١١هـ.

٤) **التكميل في أصول التأويل:** وهو كتاب أفرده الفراهي لذكر أصول لتأويل القرآن إلى صحيح معناه. فموضوعه الكلمة والكلام من حيث دلالته على المعنى المراد. وغايته فهم الكلام وتأويله إلى المعنى المراد المخصوص، بحيث تنجلي عنه الاحتمالات. وهذا من جهة العموم؛ فإن قواعد التأويل تجري في كل كلام، ونفعها عام يتعلق بفهم معنى الكلام من أي لسان كان، ولكن النفع الأعظم منه في فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه للاعتصام به.

٥) **مفردات القرآن:** وهذا الكتاب من أنفس كتب الفراهي، وله في هذا الكتاب نظرات جديدة قلَّ من تنبه لها من العلماء السابقين الذين كتبوا في مفردات القرآن الكريم. وقد طُبع هذا الكتابُ

أخيراً في دار الغرب الإسلامي ببيروت عام ٢٠٠٢م، بتحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

٦) **نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان:** وهو تفسير كبير للفراهي، يشتمل على تفسير سور القرآن الآتية: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب، الإخلاص. وطُبع تفسير هذه السورة في أجزاء مستقلة في أوقات متقطعة.

٧) **فاتحة نظام القرآن:** وهي عبارة عن مقدمة الفراهي لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، طُبعت في الدائرة الحميدة بسراي مير في أعظم كره في الهند، عام ١٣٥٧هـ.

٨) **دلائل النظام:** وقد شرح الفراهي في هذا الكتاب فكرة النظام في القرآن الكريم، ووضَّح أنَّ للترتيب والنظام حظاً وافراً في كل مركب، ولا سيما في القرآن الحكيم، والذين يزعمون خلاف ذلك فإنهم أخطأوا في زعمهم، ولم ينصفوا كتاب الله. ثم يصرح بعد ذلك بأن القرآن الحكيم كلام منظم، ومرتب من أوله إلى آخره، على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب . لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم. طُبع هذا الكتاب مع كتاب "التكميل في أصول التأويل"، وكتاب "أساليب القرآن" في الهند عام ١٤١١هـ.

٩) **تفسير سور من القرآن:** وهو جزء من أجزاء تفسيره "نظام القرآن". وقد سبق الحديث عنه تحت رقم (٦).

١٠) **حُجَج القرآن**: يشتمل هذا الكتاب على ثلاث مقالات، وكل مقالة في ثلاثة أبواب، المقالة الأولى في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام. والمقالة الثانية في تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن. والمقالة الثالثة في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة.

١١) **حكمة القرآن**.(بينت عن قيمة هذا الكتاب في الفصل الثاني).

١٢) **الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ**. (بينت عن قيمة هذا الكتاب في الفصل الثالث).

١٣) **أسباب النُّزول**: وهو في بيان أسباب نزول القرآن الكريم كما هو واضح من عنوانه.(فالتفصيل لهذا الكتاب في الفصل الثالث).

١٤) **تعليقات في التفسير**: والتي كتبها الفراهي على حواشي نسختين من المصحف في أثناء تدبُّره للقرآن الكريم.(التفصيل لهذا الكتاب في الفصل الثاني).

ثانياً: مؤلَّفاته في موضوعات متنوِّعة:

١٥) **أمثال آصف الحكيم:** وهو مجموعة من الحكايات، نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية أيام طلبه للعلم، وهو مطبوع ومقرَّر في بعض المدارس الدينية في الهند.

١٦) **الديوان العربي:** وهو ديوانُ شعرٍ للفراهي، وفيه شعر بليغ مؤثر في استنهاض هِمَم المسلمين وبثِّ الحياة في قلوبهم. طُبع هذا الديوان في الدائرة الحميدية بسراي مير في أعظم كره، سنة ١٣٨٧هـ.

١٧) **جمهرة البلاغة:** وهو كتاب قيم، نقض فيه الفراهيُّ الأساسَ الذي يقوم عليه فنُّ البلاغة عند اليونانيين، وهو نظرية المحاكاة، التي يرى الفراهي أنَّ فنّ البلاغة العربية تأثَّر بها، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمامَ عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، وقصد في هذا الكتاب إلى تأسيس فنِّ البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح. طُبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية سنة ١٣٦٠هـ.

١٨) **إحكام الأصول بأحكام الرسول:** وهو في علم أصول الفقه.

١٩) **في ملكوت الله:** قصد فيه الفراهي ذكر السُّنَن الإلهية في رقم الأمم وانحطاطها وعلوّ الحقِّ وهزيمة الباطل، وأصول النظام السياسي للإسلام. طُبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية بسراي مير في أعظم كره في الهند، عام ١٣٩١هـ.

٢٠) **القائد إلى عيون العقائد:** تتعلق هذه الرسالة بالعقيدة ومسائلها، طُبعت في الدائرة الحميدية بسراي مير في أعظم كره في الهند، عام ١٣٩٥هـ.

٢١) **الرائع في أصول الشرائع**. بيّن في هذا الكتاب عن فلسفة التشريع في الإسلام.

وهذه كانت مؤلَّفات الفراهي المطبوعة سواء كانت باللغة العربية أم في غيرها من اللغات الأخرى كالفارسية والأردوية والإنكليزية. ومن يتأمَّل في أسماء هذه الكتب، وتلك المسائل التي تعرَّض لها الفراهي في هذه المؤلَّفات؛ لا ينقضي عجبه من سعة علم هذا العالِم الجليل والعَلم الشامخ، ودقةِ نظره، وبُعْدِ غوره، فكلُّ كتابٍ من هذه الكتب لا يخلو من إبداع عجيب في تأليفه، وعرض جميل في موضوعاته.

(ب) مؤلفاته المطبوعة بغير العربية.

أولاً بالفارسية:

١) **ترجمة فارسي باره از طبقات ابن سعد:** وهو ترجمة جزء من "الطبقات الكبرى" لابن سعد بالفارسية، وقد طُبع في مطبعة "مفيد عام" بمدينة آغره في الهند، سنة ١٨١٩م.

٢) **ترجمة فارسي رسالة بدء الإسلام:** ترجم الفراهي في هذه الرسالة كتيباً للعلامة شبلي النعماني، الذي تحدَّث فيه عن بدء الإسلام. وطُبعت هذه الرسالة في مطبعة "مفيد عام" بمدينة آغره في الهند، سنة ١٨١٩م.

٣) **خِرَدنامة:** ترجم فيه الفراهي حكمة سليمان عليه السَّلام، ترجمةً منظومةً بالفارسية القحة لا تشوبها كلمة عربية، طُبع هذا الكتاب بحيدرآباد (الدَّكَن) في الهند، عام ١٩١٦م.

٤) **نواي بهلوي:** وهو الديوان الفارسي للفراهي، طُبع في مطبعة "شمسي" في مدينة حيدرآباد عام ١٩٠٣م، ثم طبعه تلميذه الشيخ بدر الدين الإصلاحي في عام ١٩٦٧م.

ثانياً: بالأردوية:

٥) **أسباق النحو:** وهو من أنفع الكتب لتعليم النحو والصرف بطريقة سهلة جديدة سهلة عجيبة، لغير الناطقين بالعربية كما ثبت ذلك بالتجربة.

٦) **تحفة الإعراب:** وهو عبارة عن قصيدة رائية في النحو، كتبها الفراهي باللغة الأردوية، وهي تشتمل على (١٢٨) بيتاً، وهي مطبوعة ومقرَّرة في بعض المدارس الدينية في الهند.

ثالثاً: بالإنكليزية:

٧) **رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة:** ألّفها ليردّ على بعض علماء النصارى. ولم أعثر على هذه الرسالة مطبوعةً، لكن ذكرها العلامة سليمان الندوي ضمن مؤلّفاته المطبوعة[(١)].

القسم الثاني: مؤلفاته المخطوطة.

وللفراهي مؤلّفات وكتب أخرى غير التي قمتُ بتعريفها آنفاً، والتي لم تر نور الطباعة حتى الآن، وهي ما زالت مخطوطة عند أهله وعند بعض تلامذته، وقد ذكرها الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي في مقدمة تحقيقه لكتاب "مفردات القرآن للفراهي"[(٢)]، فأنقل منه أسماء تلك الكتب بشيء من التصرف، وأذكرها وفق الترتيب الموضوعي لها:

(أ) مخطوطاته المتعلقة بالقرآن وعلومه:

١) أوصاف القرآن.

---

(١) انظر: الندوي، سيد سليمان، في ترجمته للفراهي في كتابه "**إمعان في أقسام القرآن**"، ص١٧.

(٢) انظر: صفحاته من ٣٥، إلى ٣٩.

٢) تزكية الروح في ضوء القرآن الكريم.

٣) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: بقيت أجزاء ناقصة من هذا التفسير لم تُطبع إلى الآن، منها: تفسير سورة البقرة، وهو يشتمل على تفسير (٦٢) آيةً في (٥٦) فصلاً، ومنها تفسير سورة آل عمران، انتهى فيه إلى الآية (٣١).

٤) النظام في الديانة الإسلامية: وهو جزء من كتاب "حكمة القرآن".

٥) فقه القرآن.

<u>(ب) مخطوطاته المتعلقة باللغة العربية وعلومها</u>

٦) الدر النضيد في النحو الجديد.

٧) دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة.

٨) سليقة العروض: سعى الفراهي في هذا الكتاب إلى إصلاح علم العروض ووضعه على نحو جديد.

٩) مسائل النحو.

١٠) فلسفة البلاغة.

<u>(ج) مخطوطاته في موضوعات متنوعة:</u>

١١) الأزمان والأديان: وهو في بيان حكمة عناية الدين بشهور وأيام وساعات معيَّنة.

١٢) الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق.

١٣) أصل الفنون: كتبه الفراهي باللغة الأردوية للمدرِّسين في الأصول العامة لتعليم العلوم.

١٤) الإكليل في شرح الإنجيل.

١٥) الدمدمة والشمقمة: ترجم فيه الفراهي أحد كتب الهنادكة في تزكية النفس ليبيِّن أصول التزكية في ضوء القرآن الكريم.

١٦) رسالة في إصلاح الناس.

١٧) الطارق والبارق: وهو عبارة عن مجموعة أفكار الفراهي وخواطره.

١٨) قيد الأوابد: وهو كذلك مجموعة من أفكاره وخواطره.

١٩) لوامع الأفكار: وهو كذلك مجموعة من أفكاره وخواطره.

٢٠) المنطق الجديد.

٢١) النظام في الديانة الإسلامية: وهو جزء من كتاب "حكمة القرآن".

٢٢) النظري الفكري حسب الطريق الفطري.

٢٣) العقل وما فوق العقل.

الفصل الثاني

منهج الإمام الفراهي في تفسير القرآن الكريم

المبحث الأول: منهج الإمام الفراهي في تفسيره (نظام القرآن).

المبحث الثاني: منهج الإمام الفراهي في تعليقاته على نُسَخه الخاصة للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: آراء الإمام الفراهي من خلال رسائله وكتبه في بعض مسائل في القرآن الكريم.

المبحث الرابع:تفردات الإمام الفراهي في بعض سور القرآن الكريم عن جمهورالمفسِّرين.

المبحث الأول: منهج الإمام الفراهي في تفسيره (نظام القرآن)

قد تبين لي من خلال قراءتي لمؤلفات الإمام الفراهي بكل وضوح أنه قد درس التفسير بالنقل والعقل وهضم ما درس، كما كان له اطلاع واسع على اللغة العربية وآدابها، والنحو والبلاغة والحديث والفقه وأصوله والفلسفة والمنطق وغير ذلك من العلوم الأخرى. وعند الإمام الفراهي نقطة أساسية تدور حولها كل العلوم التي تخصص فيها، فاستخدم هذه العلوم لفهم معاني القرآن وشرح كلماته وتفسير مجمله، فلا أبالغ إذ أقول إنه تدبر كتاب الله حق التدبر، فالإمام الفراهي يرى أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية وهدايته الشافية فمنها ما يشغل القارئ بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلاحات البيان، ومنها ما يصرف بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين، وتعصب المذهب والفرق بعضها على بعض، ومنها ما يلفته عنها بكثرة الروايات وما خرجت به من خرافات الإسرائيليات. ولا شك أن فنون العربية كقواعد النحو والبلاغة والمعاني ومصطلحات الأصول لا بد منها لفهم القرآن، لأنها من وسائله الأساسية، فإن هذه الوسائل لا بد أن تخدم في فهم كتاب الله. ومن هنا نفهم أن الإمام الفراهي بوده أن يفسر القرآن تفسيرا يفتح بابا لفهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وفي الآخرة، ومن أهدافه أيضا توحيد صفوف المسلين في ظل القرآن.

لقد اعترض عليه بعض العلماء المعاصرين لماذا يفسر القرآن باللغة العربية، بينما عارفوها في الهند قلة؟ فأجابهم قائلا: "إني أفسر القرآن الكريم للعلماء، لأنهم بعدوا عن جادة الطريق فكريا وعلميا، فبدون إصلاحهم لا يمكن إصلاح عامة المسلمين، فبتفسيري للقرآن الكريم أريد إصلاحهم فكريا وعلميا لتزول الانحرافات التي وجدت في المجتمع الإسلامي، ولا أريد أن أجعل رسالتي مقتصرة في بلد دون بلد آخر من العالم الإسلامي، بل أحب أن تعم هذه الرسالة جميع البلاد الإسلامية، وأن لغة علماء المسلمين المشتركة هي اللغة العربية، لغة كتاب الله، ولذلك اخترتها لنشر أفكاري ورسالتي"[١].

ومما أتناوله في هذا المبحث هو عرض منهج الإمام الفراهي في التفسير، حتى يتبين لدى القارئ الطريق الذي سار عليه في تفسيره (نظام القرآن) وفي بعض مؤلفاته.

---

(١) بتصرف: الإصلاحي، أحمد أمين، زعماء الإصلاح، لجنة التأليف والترجمة، د.م، د.ط د.س، ص٣٦-٣٧.

المطلب الأول: مفهوم النظام في القرآن.

في بداية الحديث عن منهج الإمام الفراهي في تفسيره (نظام القرآن) فلا بد من بيان مفهوم النظام لغة واصطلاحا، ثم عرض أقوال العلماء فيه، ثم بينت الفرق بين المناسبة والرباط والنظام، وأخيرا ذكرت موقف الإمام الفراهي منها.

القسم الأول: مفهوم النظام لغةً واصطلاحاً.

قال الفيروزآبادي: "النظم: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً، ونظّمه: ألّفه وجمعه في سلك، فانتظم وتنظم، والنظام: كلّ خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه جمع نظم"(١).

ومنه قول لبيد:

وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سلّ نظامها(٢)

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرا:

ألا ما لا لعينيك لا تهجع تبكّي لو أن البكا ينفع
كأن جمانا هوى مرسلا دموعهما أوهما أسرع
تحدّر وانبتّ منه النظام فانسلّ من سلكه أجمع(٣)

القسم الثاني: النظام في القرآن.

---

(١) الفيروزآبادى ،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ) **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥، مادة: ن، ظ، م، ص١١٦٢.

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، **ديوان لبيد بن ربيعة** العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ج١، ص١١٢.

(٣) **ديوان الخنساء**، ص٩٢، بكّى الميت: بكاه ورثاه، الجمان: اللؤلؤ، انبتّ: انقطع، تحدّر: نزل: أي ما لعينيك! فأنت لا تنامين وتجهدين في البكاء، مع أن البكاء لا يجدي شيئا ولا يردّ فائتا، ويا ليته فعل! ثمّ تصف بكاءها فتقول: تجري دموع العينين، وهي تشبه في ترقرقها وسرعة انحدار جمانا انقطع سلكه وهو مرسلا، بل عيناها – في سبكهما الدموع – أسرع من ذاك الجمان في هويّه! الخنساء هي، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُلمية من بني سُليم من قيس عيلان من مضر.أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع قومها بني سليم. فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. انظر: **دواوين الشعر العربي على مر العصور**، ج:١، ص٧٠.

أما المراد بالنظام في مصطلح علماء القرآن، فإنهم يقصدون به ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني[(١)].

فإن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهّم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية[(٢)].

ويزيده الإمام الفراهي إيضاحاً فيقول: "مرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدةً متكاملةً، ثمّ تكون ذاتها مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعدٍ ما، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أن الآيات ربّما تكون كالجمل المعترضة، فكذلك السور تكون كالجمل المعترضة، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الأخر.

وإذا ظهر النظام في القرآن، فلا بد أن تظهر لكل سورة صورة مشخّصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانية فحينئذ لا يكون إلا وله صورة مشخّصة. فإذا نظرت الكلام من هذه الجهة رأيت ما فيه من الجمال والإتقان والوضوح"[(٣)].

القسم الثالث: الفرق بين الرباط والمناسبة والنظام.

هذا هو مفهوم النظام في القرآن، وقد يسمّيه العلماء "الرباط" أو"المناسبة". وهذا خلاف في اللفظ والمعنى واحد، فإن الرباط ما ربط له كما النظام ما ينظم به، وكذلك المناسبة تعني المشاكلة وهي مأخوذة من النسب، وهو القرابة[(٤)].

قال الإمام الزركشي: "المناسبة في اللغة: المقاربة. وفلان يناسب فلانا، أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب، الذي هو قريب المتصل، كالأخوين وابن العمّ ونحوه. وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة. ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربته له ظُنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على

---

(١) انظر، الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:١، ص:٣٦.

(٢) انظر، الشاطبي، **الموافقات الشاطبي**، ج: ٣، ص٤١٣. وانظر أيضا: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ١٥٩.

(٣) الفراهي، **دلائل النظام**، ص٧٥.

(٤) الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ص٣٧٤.

المعقول تلقته بالقبول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها –والله أعلم– إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.

وفائدته جعلُ أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[(١)].

وبذلك يظهر أن النظام والرباط والمناسبة شيء واحد، والكل يدل على معنى متقارب. وقبل أن أطرق جوانب أخرى من الموضوع أود أن أستعرض أقوال العلماء، وأطّلع على مواقف المفسرين واتجاهاتهم في ذلك.

القسم الرابع: أقوال العلماء واتجاهاتهم في موضوع النظام.

١) مسلم بن يسار البصري (ت:١٠١هـ)[(٢)].

رُوي عنه أنه قال: "إذا حدثتَ عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[(٣)].

٢) الإمام الزمخشري (ت:٥٣٨هـ).

وقد قال في فاتحة تفسيره: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلّفاً منظماً، ونزّله بحسب المصالح منجّماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً"[(٤)].

٣) أبو بكر بن العربي (ت:٥٤٣هـ).

ومما قال فيه: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة ثمّ فتح الله لنا فيه،

---

(١) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:١، ص٣٥-٣٦.

(٢) مسلم بن يسار. الوفاة: ١٠١ – ١١٠هـ، عابد أهل البصرة وعالمهم مع الحسن، ومن كان يضرب به المثل في صلاته وخشوعه، ومن قال الحسن البصري لما توفي، وامعلماه. قد ذكر في الطبقة الماضية، قال خليفة والفلاس: مات سنة مائة، وقال الهيثم: سنة إحدى ومائة، وانظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، ج٣، ص١٦٦.

(٣) أحمد شاكر، **عمدة التفسير لابن كثير**، ج:١، ص٤٨.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٣، – ١٤٠٧هـ، ج:١، ص ٥-٣.

فلما لم نجد له حمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[١].

٤) الإمام الرازي (ت:٦٠٦هـ).

الذي قال: "إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٢]، وقال في تفسير قوله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ)[٣]: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه وأرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار[٤]، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

وللنجم تستصغر الأبصار صورته فالذنب للطرف لا للنجم في الصغر[٥]

٥) الإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ).

الذي قال: "فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكمٍ ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها.

فسورة البقرة -مثلاً- كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُثّ فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال. وذلك تقدير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك"[٦].

---

(١) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:١، ص٣٦.
(٢) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:١، ص٣٦.
(٣) سورة البقرة:٢٨٥.
(٤) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣ – ١٤٢٠ هـ، ج: ٧، ص١٢٨
(٥) ابن درهم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى:١٣٦٢هـ)، **نزهة الأبصار بطرائق الأخبار والأشعار**، ذكر فيه شعر العمري، هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء التنوخي(المتوفى:٤٤٩هـ)، دار العباد، بيروت، د.ط، د.س، ج١، ص٤٦.
(٦) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ج:٣، ص٢٨٠-٢٩٧.

وقال: "وهل للقرآن مأخذ في النظر على جميع سوره كلام واحد؟" ثمّ قال: "فصيح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم، أي يتوقف فهمه على بعضه على بعض وجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعضا، حتى إن كثيرا منه لا يفهم معناه حقّ الفهم إلا بتفسير موضع آخرأو سورة أخرى. ولأن كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات –مثلا– مقيد بالحاجيات. فإذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم. فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار"[١].

٦) الإمام البقاعي (ت:٨٨٥هـ).

الذي قال: "...فعلم مناسبات القرآن علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال... فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة. وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو" [٢].

وقال: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكرِّرات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة، فالمعنى أدعى في تلك السورة، استدلّ عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة"[٣].

ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرات النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة. وعلى قدر غموض تلك المناسبات بانَ وضوحها بعد انكشافها[٤].

٧) العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز(ت: ١٩٥٨م).

ويقول: " أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعبة وفصول، وامتد من شعبة منها تقصر وتطول. فلا تزال تنتقل من أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وُضع رسمه مرّة واحدة: لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من انفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام

---

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٤.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:– ج: ١، ص:٦– ١٤،١٣،١٢.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٦.

(٤) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص١٢–١٣.

والالتحام. كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً." ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟

لا، بل إنها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين. وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ جسم قواما واحدا ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية".[١]

٨) **الأستاذ الشهيد سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ).**

فهو يرى أن القرآن وحدة موضوعية متكاملة، تلتقي آياته على تحقيق أغراضه السامية، وتسري بينها روح الاتفاق والانسجام. وذلك فإننا لا نجد تعارضا حقيقيا بينها.

وفي قوله تعالى (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)[٢] يرى بأن النص الكريم يعين لهم منهج النظر الصحيح، كما يعين لهم الظاهرة التي لا تخطئ أبدا إذا اتبعها ذلك المنهج، وهي ظاهرة واضحة كل الوضوح في القرآن الكريم من جهة، ويمكن للعقل البشري إدراكها من جهة أخرى، ودلالتها على أنه من عند الله دلالة لا تمارى.[٣]

وأطلق على هذه الظاهرة اسم " عدم الاختلاف " واسم التناسق المطلق الشامل الكل أو الثبات والتناسق.[٤]

وفي سورة البقرة -على سبيل المثال- رغم أنها أطول سور القرآن، ورغم أنها ضمت آيات عديدة، ورغم أنها نزلت في فترة زمنية طويلة، وبقيت " مفتوحة " عشر سنوات تقريبا- حيث إن منها ما نزل في أول العهد المدني، وإن آخر آيات القرآن نزولا هي من بين آياتها- ورغم أنها تحوي عدة موضوعات، رغم هذا كله إلا أن " المحور الذي ترابطا شديدا "، فهي من ناحية تدور حول موقف بني

---

(١) محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ١٥٥.

(٢) سورة النساء:٨٢.

(٣) سيد قطب إبراهيم (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت- القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٧٢١.

(٤) المصدر السابق، ص٧٢١.

إسرائيل من الدعوة الإسلامية. وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نسأتها وإعدادها الحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض.[١]

ويقول في الجزء الثلاثون في القرآن الكريم، رغم كثرة سوره وقصر آيتها، حيث بلغت ستا وثلاثين سورة إلا أن لهذه السور طابعا خاصا يجعلها وحدة وعلى وجه التقريب وفي موضوعها واتجاهها وإيقاعها، وصورها وخلال لها أسلوبها العالم.[٢]

وبالتالي إن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم عند سيد قطب، ملحوظة في القرآن كله، سوره المكية والمدينة، وآياته القصيرة والطويلة، فالقرآن بترتيبه التوقيفي، يعتبر نظاما واحدا، لا تناقض فيه ولا اضطراب ولا اختلاف، رغم أن آياته وسوره نزلت في فترة زمنية طويلة وبعضها نزل الأسباب مختلفة.

وهانك الكثير من أوجه الالتقاء في أفكار عبد الحميد الفراهي وسيد قطب في نظراتها الفنية للقرآن الكريم، وأرائها البيانية في أسلوب المعجز الحكيم سوآء في ظاهرة التصوير الفني، في أسلوب القرآن، أو في حقيقة الوحدة الموضوعية التي تربط سوره وآياته مع أن العلمين الجليلين المتعاصرين لم يحدث أن التقيا معا، ومن المتأكد أنه لم يقرأ أحدهما الآخر لأن الفراهي توفي في ١٣٤٩هـ.[٣]

والذي ينتهي من قراءة الظلال يخرج بقناعة تامة بالوحدة الموضوعية، ويكاد يلمس الخيط الدقيق المتين الذي نظم كلمات الآية، وآيات المقطع ومقاطع الدرس، ودروس السورة، وسور القرآن الكريم. ".[٤]

تلك النصوص إن دلت على شيء فإنما تدل على أن فكرة النظام ليست فكرة غريبة ولا نادرة ولا شاذة وإنما هي فكرة أصيلة وقضية مسلّمة بين علماء الأمة وأعلامها.

٩) **الإمام عبد الحميد الفراهي (ت١٣٤٩هـ).**

قال: "إني رأيت جلّ اختلاف الآراء في التأويل من عدم التزام رباط الآيات، فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت راية واحدة وكلمة سواء قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ

---

(١) المصدر السلبق، ج١، ص٢٨.

(٢) سيد قطب، سيد قطب إبراهيم (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢هـ، ص٣٨٠٠.

(٣) الخالدي صلاح عبد الفتاح ، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، دار عمار، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٥٦-١٥٧

(٤) المصدر السابق، ص١١١-١١٢

مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)[١] وجعلنا معتصمين بحبل كتابه كما قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا)[٢] وكيف الخلاص من التفرق الأصلي وقد جعلوا هذا الحبل أشتاتا في ظنونهم وهو بحمد الله متين، قال تعالى: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[٣]، فيؤوِّله كل فريق حسب ظنه ويحرف طريق الكلام عن سمته، وبالنظام يتبين سمت الكلام، وينفي عن آيات الله أهواء المبتدعين وانتحال المبطلين وزيغ المحرفين كما قال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[٤]، والذين يقلعون كلام الله عما بين يديه وما خلفه ويضمون إليه ما يعجب هوى نفوسهم". وقال –رحمه الله-: "إنه لا يخفى أن نظم الكلام جزء منه، فإن تركته ذهب بعض معناه، فإن للتركيب معنى زائدا على معنى الأجزاء. فلا شكّ أن من حرم من فهم النظام فقد حرم حظا وافرا من معنى الكلام. ويوشك أن يشبه حاله حال من قبله من أهل الكتاب كما أخبر الله تعالى عنهم:

(فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[٥]، وأخاف أن تكون هذه العداوة والبغضاء التي تراها في المسلمين، من هذا النسيان، فلا تهدأ عداوتهم ولا يرجعون عن اختلافهم. وسبب ذلك ما ذكرنا في الأمر الأول، لأننا إذا اختلفنا في معاني كلامه اختلفت أهواؤنا وصرنا مثل أهل الكتاب، غير أن رجاهم معقود عن هذا النبي، وهذا القرآن الذي يرفع اختلافهم، وأما نحن فليس لنا إلا هذا الكتاب المحفوظ"[٦].

القسم الخامس: مزايا تتبع النظام في القرآن الكريم.

---

(١) سورة إبراهيم:٢٤.
(٢) سورة آل عمران:١٠٣.
(٣) سورة فصلت:٤٢.
(٤) سورة المائدة:١٣.
(٥) سورة المائدة:١٤.
(٦) الفراهي، **فاتحة تفسير نظام القرآن**، ص٣-٤.

الذي يؤمن بنظام الآيات ويؤمن برباط المعاني في كتاب الله، ويعنى به عناية بالغة جادة خلال دراسته للقرآن يملأ يديه بمزايا كثيرة متنوعة لا يجد عرفها ولا يشمّ ريحها من لا يرغب عن هذه الفكرة ولا يرفع بها رأسا.

ومن العسير جدا أن نعدد تلك المزايا كلها نحصيها إحصاء، فلا أقلّ من أن نشير إلى ما يتسم بالأهمية منها وهي كما يلي:

١) التأمل في النظام يرشد إلى فحوى الكلام وملابسته، والذي يغفل عنه يتعذّر عليه العثور على ما ترمي إليه تلك الآيات.(١)

٢) النظام هو الدليل في صحيح التأويل إذا اشتبهت الوجوه وكثرت الاحتمالات.(٢)

٣) النظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه، كما أنه سرّ من أسرار إعجازه، فإنه هو الذي جعل القرآن بحراً لا يسبر غوره ولا ينفد كنزه.(٣)

٤) النظام يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن، لكن الذي لا يهتم به يتعذّر عليه أن يتذوق بلاغة القرآن، أو يدرك ميزته التي أعجزت فرسان الكلام.(٤)

٥) رعاية النظام تمكن فهم أسباب النزول، والذي يغفل عنه يتحير في فهمها، ويضعها في غير موضعها، ثمّ يتحير في تأويل الآيات وتفسيرها.(٥)

٦) رعاية النظام والبحث عن رباط الآيات هي المحك الناجح في نقد الروايات التفسيرية، فبها تتميز الضِّعاف من الصِّحاح ويتميز السقيم من السليم.(٦)

٧) الوقوف على نظام الآيات يسمو بالدارس إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي لا يصل إليها أبدا من لا يهتم بنظامها، فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بزيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان.(٧)

تلك تسعة مزايا يتميز بها من يتدبر القرآن ويتمسك في تدبره بسياق الكلام ولطائف النظام، ولا يغفل عن الوشائج التي تربط المعاني بعضها ببعض.

---

(١) انظر: الفراهي، **دلائل النظام**، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ٢٠١٣م، ط٣، ص٤٠.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٤١.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص٤٥.
(٤) انظر: الفراهي، **دلائل النظام**، ص٢٩ و ٣٨
(٥) انظر: الفراهي، **دلائل النظام**، ص٥١.
(٦) انظر: سبحاني، محمد عناية الله أسد، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، دار عمار، عمّان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص١٠٦.
(٧) انظر: المصد السابق، ص١٠٦.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه، وفي ذلك يقول رحمه الله: "أجمع أهل التفسير من السلف إلى الخلف على أن القرآن يفسر بعضه بعضا، وأنه أوثق تعويلا وأحسن تأويلا، فنقول: كما أن القرآن يفسر مطالب آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلك نظام مطالبها ومناسبتها، بما يأتيك بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر، وبذلك يحثك على التأمل في جامع وصلة بينها، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض حتى يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض"[(١)].

وجعل هذا من الأصول الأولية للتأويل، فقال: "الأصل الثالث: فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير، وذلك هو تأويل القرآن"[(٢)]. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أواخر سورة الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[(٣)] فلم يذكر (بأموالهم وأنفسهم) وهو مفهوم، ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[(٤)] فلم يذكر (في سبيل الله)، ولا (بأموالهم وأنفسهم)، ولكن ذلك مفهوم، وقد دلّ عليه "معكم". وفي هذا الصدد فالإمام الفراهي لم يبين سبب التقديم والتأخير للأموال والأنفس على سبيل الله[(٥)]، ولم يوضح موقفه فيه وترك بقوله "وهو مفهوم" دون تعليق. يبدو لي أنه ترك عمدا لأنه أراد لفظ "معكم" في الآية وليس التقديم والتأخير للأموال والأنفس على سبيل الله. فأقول: أولا، هذا قد يشكل القارئ، وثانيا، ليس من عادة المفسر أن يترك مشكل القرآن ومتشابه.

---

(١) الفراهي، **دلائل النظام**، ص٨٣.

(٢) الفراهي، **التكميل في أصول التأويل**، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ١٣٥٧هـ، ط:٢، ص٨٣.

(٣) سورة الأنفال: ٧٤.

(٤) سورة الأنفال: ٧٥.

(٥) انظر: الإسكافي، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الأصفهاني (المتوفى:٤٢٠هـ)، **درّة التنزيل وغرّة التأويل**، (تحقيق: محمد مصطفى آيدين)، دار الفتح للدراسات والنشر، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ط١، ج٢، ص٦٥٨-٦٦٠. و خلاصة الكلام المصنف: قدّم في سورة الأنفال قوله تعالى: (بأموالهم وأنفسهم) على (سبيل الله) لأن آية الأنفالتقدّمها ذكر المال والفدآء والغنيمة، في قوله تعالى(تريدون عرض الحياة الدنيا)، يعني المال، سمّاه عرضا لقلة بقائه، وفي قوله تعالى (لو لا كتاب من الله سبق لمسكم...) أي من الفدآء، وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فكان تقديم المال أليق بهذا المكان، وأما آية سورة التوبة فقد تقدمها ذكر الجهاد في سبيل الله، وذلك في قوله تعالى (كمن لآمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل لله)، فناسب تقديم (في سبيل الله) على (بأموالهم وأنفسهم). و ينظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (المتوفى: ٥٠٥هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن، (تحقيق: عصام فارس الحرستافي)، دار عمار، عمّان، ط:١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص٦٨.

نجد هنا أن الإمام الفراهي يحمل الآيات بعضها على بعض، فما أجمل في مكان بُيّنَ في مكان آخر، وهذا هو الأصل الذي تدور عليه كتبه في التفسير وعلوم القرآن[1]. ومما ورد في مقدمة الناشر لتفسيره: "فالحق أن تفسير القرآن بالقرآن هو الأصل الأصيل عند الإمام الفراهي"[2]. وكذلك عند الجمهور باتفاق. وبهذا نفهم أن الفراهي سلك مسلك جمهور المفسرين في تفسيره.

خير دليل على ذلك ما نص عليه رحمه الله في ديباجة فاتحة تفسيره إذ يقول: "أما بعد فقد اجتهدت في هذا الكتاب بحول الله وبتوفيقه أن أكشف عن نظام آيات القرآن، وأن أفسره تفسيرا ساذجا غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا، فألتمس معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن نفس سياقها، ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل، ففي أمر النظام تدليت في غور الكلام بالبصر النافذ، وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنواجذ، وكنت في هذا على بصيرة من ربي، غير متتبع لأحد، ومع ذلك لم أكن ببدع في تتبع النظام، لأن جماعة من العلماء قصدوا إليه وصنفوا فيه"[3].

ويتخلص منهج الإمام الفراهي في تفسيره في النقاط الآية:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرآن والأحوال.

يقول: "أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه، ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم..." ثم يستأنف ويقول: "وإني مع اليقين بأن الصحّاح لاتخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتبع بعدما فسرت الآيات بأمثالها، لكي لا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم، والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل، ولكي يكون هذا الكتاب حجة بين فرق المسلمين، فإني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن، فإنه كنز لا ينفد على كثرة المجتهدين، والكتب في التفسير كثيرة، فمن يسرح فيها بنظر التحقيق يؤتى من العلم ما شاء الله، ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم

---

(١) الفراهي، **التكميل في أصول التأويل**، ص٢٤٢.

(٢) الفراهي، **نظام القرءان**، مقدمة الناشر، ص٦.

(٣) الفراهي، **فاتحة نظام القرءان**، ص١.

والوسط والحكم، ولهذا اقتصرت على ما في القرآن، غير جاحد ما تركته، كما جمع الإمام البخاري - رحمه الله- كل ما ثبت عنده من الحديث متفقا عليه مع ما ترك كثيرا من الصحّاح"(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر بعضا من الروايات والأحاديث التي اعتمد عليها الإمام الفراهي في تفسيره، فعندما فسر قوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)(٢) قال: (المسكنة) مفعلة من السكون، تستعمل للعجز وسقوط الهمة وبؤس العيش، ومنها المسكين، أي الذي سدّ عنه طرق الكسب، ودلّ على هذا المعنى ما جاء في الحديث: "ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن له فيعطى".(٣) فالمسكنة شدّة العجز وبؤس العيش(٤).

وعندما تكلم الإمام الفراهي عن سورة البقرة بشكل إجمالي استشهد على ما يقول بكثير من الأحاديث، على سبيل المثال قوله: المقدمة في بيان العهود الإلهية، قال: "اعلم أن أصل عهودنا تحقيق العبودية الكاملة، وهي الإيمان بكونه ربنا لا شريك له، ويلزمه أن نسلم به أنفسنا، فتفرع منها عهدان، عهد التوحيد وعهد الطاعة، ومنها الإذعان لما أرسل إلينا ولذلك قال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)(٥) ونعبر عن العهدين بقولنا "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" وإليها الإشارة في قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(٦) وإليه يلمع قوله عليه السلام، كما رواه البخاري في صحيحه"، وفي هذا الموضع لم يخرج الإمام الفراهي الحديث ولعله يقصد الحديث "ما من أحد يشهد أن لا لإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرّم الله على النار".(٧)

ثم قسم تفسيره إلى سبعة عناوين:

---

(١) الفراهي، **فاتحة نظام القرءان**، ص٧.
(٢) سورة البقرة:٦١.
(٣) أخرجه البخاري، باب: "لا يسألون الناس إلحافا"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ بِهِ (لَهُ) فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ، ج١، ص٦٨١، رقم:١٤٧٩.
(٤) الفراهي، **تفسير نظام القرءان تأويل الفرقان بالفرقان**، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ١٤٢٠هـ، ط:١، ص٢٥٥.
(٥) سورة النساء:٨٠.
(٦) سورة البقرة:٢٥.
(٧) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون القوم، ج١، ص٣٧، رقم: ١٨٢.

١- المقدمة
٢- الكلم
٣- النحو
٤- البلاغة
٥- التأويل
٦- التدبر
٧- النظم

أما المقدمة: ففي أمور كلية من عمود السورة ومطالبها، ومواقع نزولها، ووجه خطابها، وترتيب أجزائها.

أما الكلم: ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها، والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب.

وأما النحو: ففي تأليف الكلمة، والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.

وأما البلاغة: ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل.

وأما التأويل: ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل، وفي ذلك معظم الاستدلال بالقرآن وكلام العرب.

وأما التدبر: ففي ذكر المبادئ والنتائج، أي اقتضاء النص وإشارته، والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله.

وأما النظم: ففي بيان موقع جملة من الكلام، ورباط بعضها ببعض(١).

المطلب الثالث: منهج الإمام الفراهي في المآخذ الخبرية.

لا خلاف بين المسلمين في أن القرآن الكريم أساس الإسلام ولباب دعوته، ومناط شرائعه، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه في أحوال المعاش والمعاد، وأن محمداً صلى الله عليه وسلّم مبلغ عن الله، ومبين عن مراده، فكل ما نطق به من السنن الراشدة والأحاديث الهادية أصل ثان من أصول التشريع الإسلامي، وحكم ينتفع به الناس، وهدى يشدهم إلى الصراط المستقيم. ولكن هذه السنن، منزلة ثانية بعد القرآن.

فهكذا الإمام الفراهي مع احترامه للسنة النبوية لا يمنحها منزلةً مساوية للقرآن الكريم، بل هو يفسِّر القرآن بالقرآن، فإذا ما أعياه الأمر رجع إلى الحديث لكونه شارحاً له وموضحاً، وقد تكلم الإمام

(١) انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص:٢٧.

الفراهي عن موقفه من السنة بالتفصيل فقال: "ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه، وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لكيلا يفتح بال المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم، والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له أصل في القرآن"(١).

من المارقين من يحاول فهم القرآن بأن يأخذ من الروايات ما يهدم الأصل أو يقلعه. فبعض الروايات تقلع الآيات وتقطع نظمها إلا أن تؤول، ولكن التعجب ممن يؤول الآية ولا يؤول الرواية، وربما لا يؤول الآية بل يرضى بقطع نظامها، والفرع أولى بالقطع. والعجب كل العجب ممن يقبل ما هو مكذّب لنص القرآن مثل كذب إبراهيم عليه السلام(٢).

فالقرآن هو الحاكم عند اختلافه بالأحاديث، وكنت أخالف بعض إخواننا حين ذهب بهم الشغف بالحديث إلى أن قالوا إن الحديث داخل في آية: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٣) ولم يفكروا في نتائج هذا القول. فحان لي أن أرفع راية الصدق ولا أبالي ولو قطعوا رأسي وأوصالي. فأعلم أن في قلوب أكثر أهل الحديث أن كلّ ما رواه البخاري ومسلم لا مجال فيه للشك، فنورد بعض ما فيها لكي تعلم أن الله تعالى شنع اتخاذ العلماء أرباباً فلا نؤمن بما فهموا من غير النظر والفكر.

ثم قال: "أخرج الشيخان عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(٤)، قال مستقرها تحت العرش، وأخرجنا عنه. قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلّم، في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر! أتدري

---

(١)انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلا) (النساء:١٢٥)، رقم:٣٣٥٨، وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه في باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، رقم:١٨٤٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله {إني سقيم} [الصافات: ٨٩]. وقوله: {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء: ٦٣]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر " قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء".

(٣) سورة الحجر:٩.

(٤) سورة يس: ٣٨.

أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)"[١].

لقد اطلعت على نقل آراء الإمام الفراهي، فحيال التفسير بالحديث يتضح موقفه واتجاهاته، فهذا باب خطير قد وقع فيه كثير من المفسرين في أخطاء فاحشة، إذ أولوا الآيات القرآنية اعتماداً على بعض الروايات، ولم يؤولوا الروايات، فهذا حيف عظيم وظلم كبير على كتاب الله. فالنبي لم يأت لنسخ القرآن أو لفتح الباب لتأويلات آياته تأويلاً يخالف روحه وأهدافه، بل جاء ليبلغ عن الله ويبين عن مراده، قال الله تعالى في كتابه: (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[٢] وكما قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[٣]، وقد امتن الله عليه بهذا الوحي المبارك فقال: (...وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)[٤].

ونحن نحترم السنة النبوية ونؤمن بها، ونطرق رؤوسنا أمامها إجلالاً وتعظيماً، وكيف لا فقد قال الله تعالى: (...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٥].

كما نقدر الخدمات التي قام بها الأئمة المحدّثون في جمع الأحاديث وتنقيحها ووضع القواعد والأصول لها، ولكنا مع ذلك لا نستطيع أن نجعل منزلة السُّنَةِ مساوية لكلام الله تعالى، فكان الإمام الفراهي يعد الحديث الركن الثاني من أركان التشريع الإسلامي، ويعتمد عليه كمؤمن محب للرسول

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في باب بيان الزمان لا يقبل فيه الإيمان، رقم:٢٥٠، وأخرجه البخاري في باب (والشمس تجري لمستقرّلها ذلك تقدير العزيز العليم)(يس:٣٨) ولفظ لمسلم، "عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: " إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا} [الأنعام: ١٥٨]".

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) سورة يونس: ١٥.

(٤) سورة النساء: ١١٣.

(٥) سورة الحشر: ٧.

وأسوته الحسنة، وكان أحب التفسير عنده ما جاء من عند النبي وأصحابه ولكن هذا الحب أو الشغف بالحديث لم يجعله مقلدا أعمى.

لا نستطيع أن نقول: "إن الإمام الفراهي لم يتمكن علمه في دراسات السنة النبوية؛ لأنه درس كل الكتب في الحديث وأصوله ولا سيما الصحاح الستة، دراسة جدية مستفيضة، واستفاد منها في تفسيره للقرآن الكريم، ولكنه كان يعد القرآن عمدةً وأساساً متمشياً مع أصول الأئمة المحدثين. ولايخاف في دين الله لومة لائم".

ويقول في المقدمة الثانية في المآخذ الخبرية: "من المآخذ ما هو أصل وإمام، ومنها ما هو كالفرع والتبع. أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة:

١) ما تلقته علماء الأمة من الأحادث النبوية.

٢) ما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم.

٣) وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ، والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع، بل كان كل ذلك أصلا ثابتا يعضد بعضه بعضا من غير مخالفة"(١).

وهو يلزم على من يحاول فهم القرآن أن لا يأخذ من الروايات ما يهدم الأصل (القرآن) أو يقلعه. ويقول: "فإني رأيت بعض الروايات تقلع الآيات وتقطع نظمها إلا أن تؤول، ولكن التعجب ممن يؤول الآية ولا يؤول الرواية، وربما لا يؤول الآية بل يرضى بقطع نظامها، والفرع أولى بالقطع"(٢).

وهو لا يرضى على من يقبل ما هو مكذب لنص القرآن مثل كذب إبراهيم عليه السلام، ونطق النبي الكريم بالقرآن من غير وحي. فينبغي لنا أن لا نأخذ منها إلا ما يكون مؤيدا للقرآن وتصديقا لما فيه، كما أن الآثار المنقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما أقرب الأقوال من نظم القرآن فنشير إليه كالتبع.

ومن خلال هذه الجولة، نعرف أن للإمام الفراهي منهجاً خاصاً في تعامله مع السنة، فهو لا يقبل الروايات التي تعارض القرآن، فهل هو من القرآنيين؟ والجواب لا؛ لأنه كثيرا ما يقبل الروايات، وأحب ما يكون عنده التفسير بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الفراهي، **مقدمة تفسير نظام القرءان**، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق، ٢٨.

ولعل رده لبعض الأحاديث التي ظاهرها مناقضة القرآن لا أوافقه عليه، فألولى بالتوفيق بين النصوص، إذ معظم هذا الخلل عن سوء الفهم للنصوص، ولا أوافق الفراهي فيما ذهب إليه من ردّ للأحاديث الصحيحة في هذا الشأن.

المطلب الرابع: منهجه في الرجوع إلى الكتب السماوية.

إن نظرة سريعة في تفسير الإمام الفراهي وكتبه الأخرى في علوم القرآن تبين لنا سعة اطّلاعه على التوراة والإنجيل، فإنه قد قرأ بدقة وعمق بالغين ترجمة العهد القديم والجديد باللغة العربية والأردوية والإنجليزية والعبرانية، واستفاد منها في التفسير، خاصة قصص الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في التوراة والإنجيل. ومن أواخر ما كتب شرحاً سَمَّاه بـ"الإكليل في شرح الإنجيل"، وقام فيه بالمقارنة بينه وبين القرآن للأمكنة التاريخية التي حرّفها النصارى، ولكن حالت وفاته دون تكميل هذا الكتاب القيم.

ومن ذلك يتبيَّن لنا أن الإمام الفراهي لم يعتمد على الكتب المقدسة فقط، ولم يستخدمها للاستدلال بها على نظريته، بل استخدمها ضد اليهود والنصارى وضد أفكارهم الباطلة التي نسبوها إلى الله تعالى. فعلى سبيل المثال لما فسّرالإمام الفراهي الآيات التي وردت فيها قصة إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، فإنه استخرج منها الأدلة على نظريته من كتب اليهود أنفسهم، ثم كشف الستار عن تحريفاتهم حيال ذبح إسماعيل وفائدته، وأثبت بالبراهين القاطعة والأدلة القوية أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق كما هو مذكور في كتاب الإمام الفراهي الذي سَمّاه: "الرأي الصحيح في من هو الذبيح"، كما ستأتي بعض التفاصيل عنه في الفصل الثالث.

وقد وضَّح الإمام الفراهي موقفه من الكتب المقدسة فقال: "إن القرآن أحد الكتب المُنَزَّلة، ونبينا واحدٌ من الأنبياء، ونحن مسلمون مع كثرة الرسل أمة واحدة، لا بد أن ننظر فيما سبق لنعرف قدر القرآن الحكيم، ونشكر فضل الله الجسيم، ويظهر لنا تأويل تلميحات القرآن التي خفيت عن الخلف من المفسرين فلم يهتدوا لوجه الكلام في غير موضع. وتبيَّن لنا سبيل إفحام أهل الكتاب، وأما أهل التفسير فمع أنهم أكثروا من الإسرائيليات، لكنهم تركوا الكتب المقدسة، إلا قليل من العلماء الذين أظهروا الحق على أهل الكتاب وأقاموا عليهم الحجة كابن تيمية فنعم ما فعلوا فكأني على أثرهم"[١].

ثم تكلم الإمام الفراهي عن هدف القرآن وهدف نزوله بعد الكتب القديمة، فحدّثنا أن الله أراد من إنزال كتابه أن يكمل الدين، ويبين اختلاف أهل الكتاب ليهتدوا إلى الحق، ويظهر ضلالتهم ونسيانهم ما

---

(١) انظر: الفراهي، **مقدمة تفسير نظام القرآن**، ص٢٣

فرض عليهم، وتبديلهم ما أنزل عليهم، كما قال سبحانه وتعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)(١).

وهنا يخطر ببالنا سؤال أنه ما الفائدة من الكتب المقدسة بعد القرآن الكريم؟ ولماذا نهتم بدراستها؟ فيُجيب الإمام الفراهي عن هذا السؤال في ست نقاط هي:

١) يمكن لنا أن نصحح الكتب المقدسة ونؤولها بعرضها على القرآن الكريم ليظهر الحق على أهل الكتاب.

٢) نعرف صحة القصص الواردة في القرآن الكريم لكون القرآن محفوظاً.

٣) من يريد أن يفهم التطورات من أول الشريعة الإسلامية فتبين له فضيلتها.

٤) تمييز الإسرائيليات من غير الإسرائيليات، ونصحح آراء من تبعها من المسلمين.

٥) تبين لأهل الكتاب أن القرآن لا يستمد من كتبهم، بل جاء ليصحح أفكارهم الباطلة ويهديهم إلى الحق.

٦) نفهم الآيات التي تشير إلى التوراة ولكن المفسرين زعموا أنها تتعلق بالقرآن مثلاً:
(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٢)، وقوله تعالى: (...فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٣)، فمن هذا الانطلاق فالإمام الفراهي أراد أن يبين لنا أن الناسخ والمنسوخ متعلق بالتوراة والإنجيل وليس في القرآن.

فقد اتضح من خلال هذه النقاط لماذا اهتمَّ الإمام الفراهي بالكتب المقدسة؟ ولماذا استدل بها في تفسيرها؟ فإنه لا يجعلها حجة على المسلمين، ولا يستمد منها نوراً ليوضح أحكام الإسلام وتعاليمه لإنها محرفة، ولكن كل ما أراده أن يستفيد منها في إفحام أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم، لذلك فإنه تكلم بالتفصيل عن قيمة هذه الكتب، ومدى جدواها، وقال: تاريخ أهل الكتاب أقرب من الأخبار المنقولة عندنا، فالصواب أن نأخذ هذه الأخبار من كتبهم المعتبرة كالمتبع، فحيث تختلف عن القرآن نتركها؛ لأنهم كتموا الشهادة كما كتموا في قصة فداء إسماعيل، فالقرآن هو الأصل والأساس.

---

(١) سورة البقرة: ٧٩
(٢) سورة البقرة: ١٠٦
(٣) سورة الحج: ٥٢

١) لا يحسن بنا أن نفرّق بين الكتب المنزلة والقرآن منها، فإذا وقع اختلاف بينها نظرنا في صحة الرواية فرجحنا الأثبت رواية، وإذا لم يكن اختلاف بينها فلا بأس أن نأخذ مما لم يثبت رواية بعد عرضه على محك الدراية.

٢) إن ما أشار إليه القرآن مثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[١]، وقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى)[٢]، وقوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)[٣]، فلا بأس أن نأخذه و نذكره.

٣) لا بد من العلم لكل مفسر بأن القرآن الكريم لا يحتاج إلى هذه الكتب لإيضاح معناه، لأنه هو المهيمن عليها، يرد الخصام ويقضي بين المتخاصمين، ولكن النظر في الفروع يفيد ويزيد إيماناً واطمئناناً، ويبين فضل القرآن عليها، كما يكشف الستار عن بعض ما نسوه وبذلوه.

ففي ظل هذه الأصول التي وضعها الإمام الفراهي في مقدمة تفسيره، استفاد من الكتب المقدسة، فإنه كما منع أن يعتمد عليها ويجعلها حجة على المسلمين، كذلك منع أن يشتم أهل الكتاب؛ لأن ذلك يزيد الخلاف والعداوة بيننا وبينهم، فلا يجوز الاستهزاء بآيات الإنجيل والتوراة، فإنه يعده استهزاء بالقرآن، لأنها كلها خرجت من الينبوع الواحد، حتى عندما نجادل أهل الكتاب نختار أسلوباً حسناً، عملاً بقوله تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٤]، ولما نتكلم معهم ونناقشهم لا نكذبهم. فقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن: لا تصدقوا أهل الكتاب فيما ورد عن الكتاب المقدس فإنهم لم يحفظوه، ولا تكذبوهم فقد يكون مما لم يأتنا تأويله.

وهذا مثال لرجوع الإمام الفراهي إلى النصوص في التوراة أو الإنجيل، فإنه لمّا فسَّر قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ)[٥]، فقال: "وليس ذلك لعذاب الأصنام المنحوتة، وإنما هو تفضيح المشركين وتقبيح

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥

(٢) سورة الأعلى: ١٨

(٣) سورة الإسراء:٤

(٤) سورة العنكبوت:

(٥) سورة الأنبياء: ٩٨-٩٩

الشرك؛ فإن شعائر الله تُعظَّم، وشعائر الشرك تُهان إبطالاً لما جعلوا لها من التعظيم بالباطل، وتصويراً للحق وتفضيحاً للباطل. ألا ترى كيف فعل موسى عليه السلام بالعجل؟ ففي سفر الخروج (٢٠:٢٣): (ثمّ أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل)"[١].

المطلب الخامس: منهج الإمام الفراهي في القراءات.

ومن خلال دراستي لكتب الإمام الفراهي في التفسير وعلوم القرآن، وجدت أنه لم يذكر القراءات في تفسيره، اللهم إلا في موضعين، وهما يتعلقان بالقراءة التفسيرية لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الموضع الأول: اثناء تفسيره لقوله تعالى: (ألم. ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ)[٢]، حيث قال: "فقد روي أنه قرأ بعدها قوله تعالى (ألم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٣]. وكان من عادته في التفسير أن يقرأ من القرآن بالنظير. وقد أخطأ الرواة كثيراً فيما زعموا ذلك منه قراءة. وهذا يتضح من تتبع ما ذكروا من قراءاته وقراءات الصحابة"[٤].

فلم يؤيد الإمام الفراهي هنا ما ذهب إليه الجمهور الذين نسبوا هذه القراءة لابن مسعود، ولكن في الحقيقة أن ابن مسعود قرأ آية أخرى وهي نظيرة لهذه الآية. وهنا دافع الإمام الفراهي عن ابن مسعود ولم يبد رأيه فيما نُسبت إليه تلك القراءة الشّاذة، وهذا الذي فهمت من موقفه.

إن لابن مسعود رضي الله عنه مكانة كبيرة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من أجلاء الصحابة السابقين وأوعية العلم وقراء القرآن، وهو من الأربعة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بأخذ القرآن منهم، كما في صحيح البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب"[٥].

ولكن كثيراً من قراءته كان مما يتلى سابقاً، فنسخ في العرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عام وفاته صلى الله عليه وسلم، وهي التي أجمع عليها الصحابة،

---

(١) انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٢
(٢) سورة البقرة: ١-٢.
(٣) سورة السجدة: ١-٢.
(٤) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص:٧٩.
(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج:٣، ص:٣٤٧، رقم:٤٩٩٩.

وجمعت في مصحف عثمان على يد لجنة من المتخصصين وتحت إشراف كبار الصحابة وعلى رأسهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولهذا فإن ما خالف فيه ابن مسعود من القرآن لقراءة الجمهور يعتبر شاذاً، ولذلك لا تصح القراءة بما خالف فيه الجمهور لشذوذه ولعدم تواتره، ولأنه كان مما يتلى سابقا، ونسخ في العرضة الأخيرة.

وذكر ابن الجزري في ترجمته لابن مسعود: "وإليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش"(١).

عموما إذا تأملنا النظر في قراءة ابن مسعود نجد أن فيها زيادة حروف، أو تغير التركيب، أو تغير الألفاظ، وكل هذا عده المفسرون والنحاة واللغويون تفسيرا لا قراءة(٢).

الموضع الثاني: وقرأ ابن مسعود (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(٣)، فقال الإمام الفراهي: "والآخر منها (أي الوجه الآخر في الإعراب)، النصب على الظرف(٤) فيكون معناه حينئذ: (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام)، ثم عقب عليه فقال رحمه الله: "الجزم أحسن، وأن أبي بن كعب قرأ: (ولا تدلوا)، أي قرأ ليفسره"(٥). وهذه القراءة تؤيد جزم تُدْلُوا في قراءة الجماعة، وقيل: تُدْلُوا في موضع نصب على الظرف، وهذا مذهب كوفي أن معنى الظرف هو الناصب، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه «أن» مضمرة.(٦)

---

(١) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر،ج:١، ص:٤٥٩.

(٢) صالح لحلوحي، **مجلة المخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها**، جامعة محمد خيضر بسكرة، جزائر، العدد الأول، ٢٠٠٩، ص٢٠١، و انظر: روضة عبد الكريم فرعون، **التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة**، رسالة الدكتوراه في التفسير (لم يطبع)، جامعة العلوم الإسلامية، عمان، ٢٠١١م، ص٨٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨٨.

(٤) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ، ج١، ص٢٦٠.

(٥) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، قال هذه القراءة في مصحف أبي بن كعب، ج٦، ص١٣.

(٦) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٢٦٠.

خلاصة القول هنا، أن الإمام الفراهي، يرى أن لا بأس بالقراءة الشاذة، لأن بعضا منها يساعد في فهم القرآن كما هو في قراءة ابن مسعود.

المطلب السادس: منهجه في تفسير آيات الأحكام.

لم يتعرض الإمام الفراهي للمسائل الفقهية في تفسيره؛ لأن هذا ليس من مقصده في تأليف نظام القرآن، لأن بحثه في هذا التفسير هو عن رباط الآيات بعضها ببعض حتى يتبين نظامه. ولذا نرى أنه قد اعتذر في مقدمة تفسيره بقوله: "ولكني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن، فإنه كثير لا ينفد على كثرة المجتهدين، وكتب التفسير كثيرة، فمن يسرح فيها بنظر التحقيق يؤت من العلم ما شآء الله، ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم والوسط والحكم، ولهذا اقتصرت على ما في القرآن غير جاحد لما تركته، كما جمع الإمام البخاري -رحمه الله- في كتابه ما ثبت عنده من الحديث متفقاً عليه مع ما ترك كثيراً من الصحاح"[١].

ويقول الإمام الفراهي: "الشرائع جلها للتزكية كما مر، ولكن يحتاج إلى أحكام غير مقصودة بالذات للفرق بين المطيع والعاصي، أو بين القوي في الإيمان والضعيف. فمن هذا النوع ابتلاؤهم بالنهر والحطة. وهذا الابتلاء يكون لحكمة، وفي أمور لا يضر العصيان فيها الأمور العامة. فإذا أضر الناس فهي من نوع الشرائع المقصود بها النفع لذاتها"[٢].

يرى الإمام الفراهي أن من مقصد الشرائع هوما يتعلق بهذه الحياة، وهو مداومة لأمراض هذه المعيشة،[٣] ويقول في مقدمة كتابه الرائع في أصول الشرائع: "ورب شريعة فيها الابتلاء مع كونها مقصودة لذاتها كصرف القبلة، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)[٤]" فنفى أكثر المنافقين من جماعة المسلمين بصرف القبلة. ودعت الحاجة إلى هذا الفرق حين أذن لهم بالقتال واستخلاص الكعبة من أيدي الظالمين الغاصبين"[٥].

أ- **الفرق بين الرخصة والإحسان عند الإمام الفراهي.**

يقول: "الرخصة تكون في قبيح، والإحسان أخذ بالأولى[٦]. مثلا قوله تعالى: (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[١]، وقوله تعالى: (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ

---

(١) الفراهي، **فاتحة نظام القرآن**، ص٧.
(٢) الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص١٨.
(٣) انظر المرجع نفسه، ص١٩.
(٤) سورة البقرة:١٤٣.
(٥) الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص١١.
(٦) المرجع نفسه، ص١٢.

فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(٢)، رخصة. كذلك قوله تعالى (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(٣). فالرخصة غير مأمور بها(٤).

أما الإحسان فهو داخل تحت الأمر، ولكن تركه أهون من ترك الواجب. وتقسيم الأحكام إلى الفرض، والواجب، والمحتسب، والمباح، والمكروه والحرام، والموبق تقسيم آخر صحيح. أما أن الإحسان داخل تحت الأمر(٥)، فقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(٦).

وبين أن الشرائع على ثلاثة أصول: العدل، والإحسان، وتقديم الأقدم من الحسنات، فإنه من أبواب العدل. والدليل عليه تلك الآية، والعدل له معنى وسيع غير ذلك(٧).

ب- مفهوم التعزيزات عند الإمام الفراهي.

الجرم إذا ألح عليه زاد خطراً، وحينئذ يدخل في باب الفساد في الأرض والبغي، كالزاني إذا عاد بعد جلده رجم إذا كان ثيباً، ونفي عاماً إذا كان بكراً لقوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(٨) وكما قال تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا)(٩).

ج- رأي الإمام الفراهي في أوقات الصلوات الخمس من القرآن.

---

(١) سورة البقرة:٢٢٥.
(٢) سورة المائدة: ٨٩.
(٣) سورة النحل:١٠٦.
(٤) الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص١٣.
(٥) المرجع نفسه، ص١٤.
(٦) سورة النحل:٩٠.
(٧) انظر: الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص١٣.
(٨) سورة المائدة:٣٣.
(٩) سورة الأحزاب:٦٠-٦١.

يقول الإمام الفراهي إن أوقات الصلوات الخمس مذكورة في القرآن الكريم[١]، فهو يرى بمنهجية بناء المقادير على الأعداد، ويستدل في ذلك بقول الله تعالى في سورة الروم: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)[٢] يسبحون بحمد الله، فإن له الحمد في السماوات والأرض. فذكر وقتي المغرب والعشاء في (تُمْسُونَ)، والفجر في (تُصْبِحُونَ)، والعصر في)عَشِيًّا)، والظهر في (تظْهِرُونَ).

وفي سورة الطور: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)[٣] (حِينَ تَقُومُ)، أي من النوم والاستراحة، فدلّ على صلوات الفجر والظهر والعصر. فإنهم كانوا يقيلون في الهاجرة كما قال تعالى: (مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ)[٤] فذلك وقت الفجر حين قاموا من النوم في الصبح، ووقت الظهر حين قاموا من بعد القيلولة. ثم يستريحون حتى يبرد النهار فيقومون ويخرجون للعمل. فذلك العصر. (وَمِنَ اللَّيْلِ) أي من أناء الليل. فأول الليل المغرب، وقبل النوم وقت العشاء وأما إدبار النجوم فذلك وقت الوتر.

---

(١) الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص٤٤، وانظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، **الحاوي الكبير** في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩م، ج٢، ص٥. " فإذا تقرر بما روينا أن الصلوات المفروضات خمس في اليوم والليلة وهن موقتات بقوله تعالى: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا} [النساء: ١٠٣]، ثم ورد كتاب الله تعالى بذكر أوقاتها على الإطلاق ومن غير تحديد ثم جاءت السنة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بوصف أوقاتها على التحديد، فأما ما دل عليه كتاب الله من ذكر أوقاتها فخمس آيات إحداهن قوله تعالى: {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون} [الروم: ١٧]. فعبر عن الصلاة بالتسبيح لما يتضمنها منه فقال تعالى: {فسبحان الله} أي: صلوا لله، قال الله تعالى: {فلولا أنه كان من المسبحين} [الصافات: ١٤٣] أي: من المصلين. وقيل: المستغفرين وقال الأعشى في النبي –صلى الله عليه وسلم: (وسبح على حين العشيات والضحى... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا)، وقوله: "حين تمسون" يريد به المغرب، والعشاء "وحين تصبحون" يريد الصبح "وعشيا" – يعني – صلاة العصر "وحين تظهرون" – يعني – صلاة الظهر فدلت هذه الآية على أوقات الصلوات الخمس. والآية الثانية: قوله تعالى: {فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود} [ق: ٤٠] قوله: "وسبح" أي: وصل قبل طلوع الشمس – يعني – صلاة الصبح "وقبل الغروب" الظهر والعصر "ومن الليل فسبحه" – يعني– صلاة المغرب والعشاء الآخرة، وفي "أدبار السجود" تأويلان: أحدهما: أنهما ركعتان بعد صلاة المغرب، وهذا قول مجاهد".

(٢) سورة الروم:١٧–١٨.

(٣) سورة الطور:٤٨–٤٩.

(٤) سورة النور:٥٨.

ويبن الإمام الفراهي بأن أوقات الصلاة وقتت خلاف أوقات عبدة الشمس والنجوم، ويستدل بقصة إبراهيم عليه السلام حين قال: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ)(١). فجاء القرآن ينبه على هذه الحكمة، كما قال: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُوم).

وفي سورة طه قوله تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)(٢) ذكر صلاتي الفجر والعصر أولا لعظمتهما كما جاء في الحديث الصحيح تفسير ذلك(٣).

د- مفهوم قصر الصلاة في السفر عند الإمام الفراهي.

نقل الإمام الفراهي الرواية من تفسير ابن جرير الطبري عن عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: سمعت أبي يقول سمعت عائشة تقول: "في السفر أتموا صلاتكم"، فقالوا: إن رسول الله يصلي في السفر ركعتين، فقالت: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في خوف وكان يخاف، هل تخافون أنتم؟"(٤).

عن ابن جريح قال: قلت لعطاء: أي أصحاب رسول الله كان يتم الصلاة في السفر؟(٥)

قال الإمام الفراهي: يعلم مما بلغنا في هذه الرواية أمور نذكرها الآن:

١) علمنا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا في القصر.

٢) وإن هذا كان معلوماً للناس فقد علم عطاء اثنين فذكرهما، أو ذكر منهم من كان ذا مكانة.

٣) وأنه كان عمل الأكثرين على القصر، فاختلاف بعضهم عن الجمهور لا يكون إلا عن يقين.

---

(١) سورة الأنعام:٧٦.

(٢) سورة طه:١٣٠.

(٣) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب: فضل صلاة العصر، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج١، ص١١٥، رقم:٥٥٥، (عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون".

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ٢٢٤ – ٣١٠هـ، **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي – القاهرة، المطبعة: مطبعة المدني – ٦٨ شارع العباسية – القاهرة، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج١، ص٢٦٢، رقم:٤٣٧، وانظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١، ص١٢١، رقم:٢٨٠١.

(٥) الطبري، **تفسير الطبري**، ج٥، ص٢٤٥.

٤) وأن دليل الجمهور كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلتفتوا إلى رأي من استنبط من أمر برأيه. فإن العامة يخافون من تقواهم. وليس من مؤمن مستنبطاً في كل مسألة. والرأي لا يكون حجة إلا لمن فهمه أو قلد فيه أحداً.

٥) وإنه كان دليل عائشة رضي الله عنها من القرآن ظاهره. وإنها رضي الله عنها أجابت عما استمسكوا به من عمل النبي صلى الله عليه وسلم. فالقاصرون أخذوا بظاهر السنة والمتمون أخذوا بظاهر القرآن وصريحه وبينوا وجه عمل النبي صلى الله عليه وسلم.

أما جواب القاصرين عن ظاهر القرآن فبما روي عن عمر رضي الله عنه، حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن القصر عند الأمن فأجابه: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»[1].

ويرى الإمام الفراهي أن الصدقة لا تكون في الأمن إلا بأن يؤول القرآن عن ظاهره، والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم بتأويل القرآن، فرأيه أحق بالأخذ من غيره. ويستأنف الإمام الفراهي حديثه ويقول: إن الصحابة الذين أتموا صلاتهم لا يهتمون بمخالفة تأويل النبي صلى الله عليه وسلم بعد العلم به، وهم يدرون أن جواب النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا حسب السؤال الذي يوجه إليه عليه الصلاة والسلام. وجواب النبي صلى الله عليه وسلم مطابق للسؤال، فالسؤال كان عمن يتم مع مظنة الخوف وهو ليس بخائف. ثم يستدل بقوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا)[2]، يحمل على موقع الخوف لا على حالة المصلي. فإن الله رخص لهم لا على سبيل الانفراد. وهذا إذا اعتمدنا على ألفاظ الرواية وإلا ذكر الصدقة يناسب أن يكون السؤال عن الرخصة لقوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ)[3].

ومما سبق يتبين للباحث: أن الإمام الفراهي لا يقبل الأحكام الفقهية إذا كانت غير موافقة لصريح القرآن، كما بينت آنفاً في بعض المسائل الفقهية التي يتفرد فيها بآرائه.

المطلب السابع: منهجه في تفسير آيات العقيدة/ الكونية.

---

(١) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١، ص٤٧٨، رقم:٦٨٦.

(٢) سورة النساء:١٠١.

(٣) الفراهي، **الرائع في أصول الشرائع**، ص٨٥.

في العقائد علم الحق والباطل ومعرفة الخير والشر، فلا بد من فهم معاني الكلام في الإثبات والنفي، والمدح والذم، فإن الأمر الواحد ربما يكون باطلاً من وجه، وحقاً من وجه آخر، وكذلك خيراً من وجه، وشراً من وجه آخر.

وفي ذلك يقول الإمام الفراهي: "وهذا مذهب التوقف الذي حمدته يقتضي تفصيلاً وبياناً، فإن المؤمن لا يؤمن بباطل ولا يكون ما يعتقده عليه غمة..."(١)

والعقيدة ليست إلا ما يعتقده القلب، وذلك لا يكون اللفظ المحض، بل لا بد له معنى، وأقل ذلك المعنى المجمل(٢).

والذين اختلفوا في بعض الألفاظ المحضة كاليد والساق والعين والقدم وغيرها من الألفاظ فلا تدخل في العقائد، والقول بهذه الكلمات بدعة، إنما جاء الوحي بالمجملات، فلا يجوز لأحد أن يزيد عليها. هذا التوجيه بسبب أن اختلاف الأمة وتفرقهم في مسائل العقائد منبعه كثرة "قيل وقال" في فهم الألفاظ الواردة في القرآن.

ويقول: "قد رأينا اختلافاً عظيماً في العقائد، حتى نشأت فرق متضادة، واختلفوا كل الاختلاف، فكفر بعضهم بعضاً، ولم يكن ذلك إلا لخوضهم فيما لم يكن لهم إليه سبيل، فتقوّلوا بما لم يثبت، واستنتجوا من بعض النصوص ما يخالف بعضاً آخر منها، وقد نهوا عن ذلك، فالطريق القويم هو الانتهاء حيث انتهى النص والاعتصام في العقيدة والعمل بالمحكم"(٣).

ويقول: "ثم منهم من يتمسك بالعقل فيجعله أصلاً، ومنهم من يتمسك بالأحاديث، ومنهم من يتمسك بالقرآن، والطريق المثلى هي التمسك بصحيح النقل وصريح العقل، ثم الكف عن التأويلات البعيدة، والتوقف في ما لا علم له به"(٤). أمر الله بذلك والنبي صلى الله عليه سلم، والمحدثون والسلف الصالح اتخذوه طريقاً، كما قال تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(٥) وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا)(٦).

أ- موقف الإمام الفراهي في اثبات الصفات.

---

(١) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ط:٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٨.
(٢) المرجع السابق، ص٩.
(٣)الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١١.
(٤) امصدر السابق، ص١٢.
(٥) سورة البقرة:٣٢.
(٦) سورة الإسراء:٨٥.

يقول الإمام الفراهي في ذلك: "اعلم أن الصفات ترجع بعضها إلى بعض وتُؤوَّل إلى الذات، ولكن الذات المجردة من الصفات مفروضة لا حقيقة لها، مثلاً السمع والبصر من العلم، والعلم من القدرة، والقدرة من الحياة. وكذلك العلم من الحياة، والحياة من القدرة، والبقاء من القدرة، والخلق من القدرة، والمقصود ههنا أن النّزاع بين أهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة إنما هو نزاع لفظي"(١).

وهو يرى مثلما يرى غيره من علماء العقائد في مسألة الاعتقاد، ولكنه يبني منهجه في العقيدة من خلال نظم القرآن.

والمعتزلة لم ينكروا علم الله وقدرته وسائر صفاته، إنما أنكروا بكون هذه الصفات زائدة على ذاته، حتى يلزم تعدد الواجب والقديم، وكون الله في عين ذاته خالياً عن العلم والقدرة، فقالوا: إنه عالم بذاته لا بعلم يكون صفة زائدة عليه.

ويقول الإمام الفراهي عند تفسير قوله تعالى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٢): فالملك جهة الجلال، والقدوس جهة الجمال، ثم كذلك ثلاث صفات الجمال ثم ثلاث صفات الجلال. ومثل ذلك قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)(٣). فالعزيز الحكيم مثل الملك القدوس، الأول صفة الجلال والثاني صفة الجمال، فإن القدوس جمال الخلق والحكيم جمال العقل مثل قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٤)،وهكذا قوله تعالى: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ. ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ. فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)(٥)، وهكذا (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)(٦).

فاعلم أن الله تعالى جعل بعض صفاته ومظاهره كأنها هو، فمنها العدل والحق والعدالة، حتى إنه يجعلها بدلا عن نفسه كأنها هو كما قال: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)(٧). أي لما يعلم العدالة التي هي نائبة عنه تعالى أنهم مجاهدون، فحكم العدالة حكمه وعلمها علمه. وهذا ذكر عدالته في صورة الشريعة، ثم العدالة العامة وملكوته الواسع مثل ذلك تنوب

(١) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص٣٣.
(٢) سورة الحشر: ٢٣.
(٣) سورة الجمعة:١.
(٤) سورة التغابن:١.
(٥) سورة البروج: ١٤-١٦.
(٦) سورة الملك:٢.
(٧) سورة آل عمران: ١٤٢.

عنه كما قال: (الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ)[١]أي ليظهر أعمالهم في عالم الشهادة والخلق[٢].

ومنها الرحمة والمظلوم، فقال: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)[٣]، فجعل المستضعفين بدلاً عن نفسه كناية عن كون نصرتهم نصرة الله تعالى. ومثل ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[٤]، أي من ينصر الضعفاء والعدل والسلم.[٥]

فيقول: "وبالجملة فليكن الرب تعالى في قلبك كريما، رحيما، عفوا غفورا، ضاحكا، مبتسما، ملاطفا في كمال الجمال والرأفة، أكرم الكرماء وأرحم الراحمين، ناصرا لك، منتقما من أعدائك إليه وترغب في قربه وتشتاق للقائه"[٦].

ب- مفهوم رؤية الله عند الإمام الفراهي.

يقول: "هذه المسألة ليست من المهمات، ولكن اختلفوا فيها فلا بد من فصل"[٧].

أما الرؤية فهي درجات:

١) رفع الحجب والأستار كما نرى القمر والشمس ولا نرى إلا الضوء، وكذلك لا نرى شيئاً إلا بالاستدلال والواسطة، فبالحقيقة لا نرى إلا ضوءا منعكساً وهو آية على المضيء. فنقول إنا رأيناه. قال تعالى: (مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى)[٨].

---

(١) سورة الملك:٢.
(٢) المرجع السابق، ص٣٥.
(٣) سورة النساء:٧٥.
(٤) سورة الحج:٤٠.
(٥) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص٣٦ .
(٦) المرجع السابق، ص٣٩.
(٧) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢١.
(٨) سورة النجم:١٧-١٨.

٢) رؤية الشيء من غير واسطة، وهي رؤية الضوء المنعكس على الباصرة. وهذه الرؤية إحاطة بالمرئي وإدراك له. ولهذا الإدراك درجتان: انفعال وفعل، فإدراكنا هو انفعال والله هو الخالق لبصرنا(١).

٣) وأما الإدراك الذي هو فعل فليس للخلق، وهو مختص بالله تعالى ولا نعلم كيف يكون، ولكن نعلم أن الله تعالى أعلى علوا كبيرا عن الانفعال وأنه يرى كل شيء فإنه عليم وبصير. وبصره بالشيء هو جعله في محله من المكان والزمان، وهذا على حسب فهمنا القاصر والعاجز عن إدراك صفاته كما هي، وهذا كمال علم الراسخين.

فرؤيتنا لله بالمعنى الأول لا الثاني ولا الثالث. قال تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٢)، دليل على الجزء الأول. المدرك المحيط لا يكون محاطا. ولا شك أنه تعالى مدرك الأبصار فإنه خالقه، والخلق يلزم كمال اللطف والعلم لا سيما خلق البصر، فالبصر المخلوق كيف يدركه (٣).

وقال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)(٤)، إنه تعالى رفع الحجاب، فإن ذلك معنى التجلي، و(للجبل) أي رفع حجابا بينه وبين الجبال(٥). فهذا هو معنى التجلي، دكّ الجبل وموسى عليه السلام إنما رأى الجبل فخرّ مغشياً عليه كما قال تعالى: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ). رفع الحجب له درجات كما تعلم في رؤية الأشياء. وتجلي الرب لعباده ثابت(٦) كما قال تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (٧).

وتفسيره لقوله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(٨)، يقول: "فظَنَّ قوم أن الرؤية محالة، وقد جاء في صحيح الحديث: "المؤمنون يرونه"٩. وقد نطق القرآن بما

---

(١) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢٢
(٢) سورة الأنعام:١٠٣.
(٣) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢٣
(٤) سورة الأعراف:١٤٣.
(٥) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢٣
(٦) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢٣
(٧) سورة المطففين:١٥.
(٨) سورة الأنعام:١٠٣.
(٩) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح**، كتاب التوحيد، باب " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ٩م، ج٩، ص١٤٠، رقم:٧٤٣٥. (عن جرير بن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم عيانا»)

يؤيد ذلك، فقال تعالى في شقاوة الكفار: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)، فظَنَّ قوم إنهم يرونه يوم القيامة، وأن آية الإدراك مخصوصة بالدنيا، ثم تمسك كل واحد منهما بدلائله العقلية والنقلية، وتشاجرا فيما لا يغني في الدين. ومسلك الصحابة الإيمان بكل ما جاء به الرسول، واليقين بأن الكتاب والسنة لا يناقض بعضها بعضاً، فنعتقد بأن الله تعالى لا تدركه الأبصار ومع ذلك نعتقد بأن المؤمنين يرونه من غير حجاب [١].

المطلب الثامن: الذوق عند الإمام الفراهي.

قلتُ في بداية هذا المبحث إن أحب الكتب إلى الإمام الفراهي كان القرآن الكريم، وكان يحب تلاوته حينما كان لا يفهم معانيه ولا يدرك بلاغته، ولكنه كان يتلذذ بالصوت الجميل الحلو الذي كان ينبع من تنسيقه المعجز ونظمه البديع. وكان يسلي به همومه وأحزانه ويشبع بتدبره جوع قلبه وروحه.

وقد حكى لي بعض أساتذة "مدرسة الإصلاح" في أعظم كره عندما زرتها أنه -رحمه الله- لما كان يتلو القرآن يغرق في بحر معانيه فلا يعرف نفسه وعما حوله شيئاً، بل لا يحس بوجوده أو بشخصه.

وإن صحت هذه الحكاية، فكان –رحمه الله تعالى- يفكر في القرآن وللقرآن، فكل ما قرأ أو ألف، علّم أو تعلم ليفهم القرآن الكريم ويفهمه الناس. فمن كان هذا هو رأيه لا يستبعد أن يكون له ذوق خاص لا يشاركه فيه أحد. فيقول الإمام الفراهي في تفسير سورة الفاتحة: "إن هذه السورة لكونها أصل الصلاة، إذا قدمت على سائر القرآن؛ استنبطنا من موضعها أن الصلاة أول الأحكام، وتارك الصلاة نابذ للدين، ولما كان هذا الاستنباط بطريق الإشارة نظرنا في أحكام القرآن والسنة فوجدناه موافقاً لهما، فصحت هذه الإشارة عندنا، وعظمت لدينا منزلة الصلاة بأن الله تعالى جعلها فاتحة عهده بها. وأن عهد الرب بهذه الأمة إقامة الصلاة، فمتى تمسكنا بها تمسكنا بحبل الله عز وجل وعروته الوثقى، فينصرنا على أعدائنا ويحفظنا عن أعداء عدونا الذي بين جنبينا كما وعد بنا كثيرا في كتابه"[٢].

ويكشف الإمام الفراهي عن بعض رموز هذه السورة الدقيقة فيقول: "اعلم أنه -القرآن- لم يصرح بعدد آيات سورة غير هذه، بل سماها تعالى بعدد أياتها فدعينا إلى التدبر فيه. وأراد من هذا القول قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالقرآن الْعَظِيمَ)[٣] ويقول: "وللعدد اعتبار عظيم في الكتب المقدسة وكذلك عند الحكماء، فجميع أمور العالم مقدرة بالاعداد، بمثل ذلك جاء القرآن حيث قال

---

(١) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٢٣
(٢) انظر: الفراهي، **تفسير فاتحة الكتاب**، ص٤٥.
(٣) سورة الحجر:٨٧.

تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)(١)، ومثله (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)(٢).

ثم يحدث الإمام الفراهي بأن القرآن يخبر بأن عدد حملة العرش ثمانية، ويشير بذلك إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)(٣). ولكنه يقول: إن عددهم اليوم أربعة فقط فيزيد يوم تأتي القيامة، ثم يطبق بين هذه الأرواح العليا، أو حملة العرش الذين عددهم ثمانية وبين آيات سورة الفاتحة، فيقول: إن عدد آيات هذه السورة منازل ودرجات سبع وفوق كلها كالتاج المبارك آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤) في درجة ثامنة عليها تجليات أنوار الله التي عبر منها بالعرش، كما بين قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)(٥)، فهذه السورة كما هي جامعة للقرآن فهكذا هي جامعة لعوالم الأرواح وحاملة لعرش ربنا"(٦).

ومثال آخر عندما يستطرد الإمام الفراهي في الكشف عن حكم أخرى في سورة الفاتحة وهي أنها تبين درجات الأنبياء الكبار، فيقول: "إن الآية الأولى (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)(٧)، تشير إلى درجة محمد، والآية الثانية (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٨)،إلى درجة عيسى لما كان على غاية صفة الرحمة لوجوه ظاهرة وخفية. فمن الخفية أن اسم الرحمن يستعمل كثيراً في سورة خصت بذكره. ومن الوجوه الظاهرة أن الله ذكر خاصته في صفة اتباعه في قوله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)(٩).

والثالثة: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)(١٠)، تذكر لنا منزلة موسى لما كان على كمال العدل. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يعط الله نبيا قبله من الأحكام المفصلة ولا بعد -لأنبياء بني إسرائيل- مثل ما أعطاه كما شهد به القرآن. ومثل لهم دينونة القيامة وملكوته عزوجل. فكان الله تعالى عليهم ملكاً

---

(١) سورة القمر:٤٩.
(٢) سورة الرعد:٨.
(٣) سورة الحاقة:١٧.
(٤) سورة الفاتحة:١.
(٥) سورة القمر:٥٤-٥٥.
(٦) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٥٠-٥١.
(٧) سورة الفاتحة:٢.
(٨) سورة الفاتحة:٣.
(٩) سورة الحديد:٢٧.
(١٠) سورة الفاتحة:٤.

وأراهم آياته ليوقنوا بيوم الدين ومالكه. تأمل قوله تعالى: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ)(١).

والآية الرابعة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(٢)، تذكار لعهد داود عليه السلام؛ لأن شعب الله قد دارت عليهم الدوائر فتداركهم بعون جديد، وأعطاهم ملكاً عظيماً، وأقام فيهم بيتاً لنفسه ليعبدوه ويباركوا بهذا المقدس. وقد ذكر الله قصة داود في سورة البقرة بحيث تذكر عون الله ونصرته، وتعلم أن مقصده ليس غير العبادة وخلاص بيته المقدس فقال تعالى: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)(٣).

والآية الخامسة: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)(٤) ويقول عندها: ظاهرة الإشارة إلى درجة إبراهيم عليه السلام، فإن الصراط المستقيم هو التوحيد والتوجه إلى الله، وما من نبي إلا على هذا الصراط، ولكن إبراهيم هو رأس الموحدين، وكم في القرآن من الآيات تسمي هدى إبراهيم "صراطاً مستقيماً"، وهو أول من كسر الأصنام، وهو الذي رفع قواعد البيت للتوحيد، وهو أول من فرّ إلى الله تعالى بدينه، فصار رأس المهاجرين، ولذلك أمر الله نبينا باتباعه، وهو الذي سَمّانا "مسلمين" من قبل، فالمسلمون أحق بإبراهيم عليه السلام. اتل قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)(٥) وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٦)، فتبين لك أن الصراط المستقيم له دلالة خاصة على درجة إبراهيم لإقدامه، وتشميره، واستقامته(٧).

الآية السادسة (صراط الذين أنعمت عليهم)(٨)، إشارة إلى درجة نوح عليه السلام لما نرى في القرآن والتوراة أن لا نبي يذكر قبل إبراهيم إلا نوح كما في بيان المنعم عليهم من الناس تفصيل الدرجات الأربع، فكذلك جاء تفصيل درجات المنعم عليهم من النبيين حيث قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) سورة الأنعام:١٥٤.
(٢) سورة الفاتحة:٥.
(٣) سورة البقرة:٢٥١.
(٤) سورة الفاتحة:٦.
(٥) سورة آل عمران:٦٧-٦٨.
(٦) سورة الأنعام:١٦١.
(٧) انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرءان**، تفسير سورة الفاتحة، ص٩٤-١٠٧.
(٨) سورة الفاتحة:٦.

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)(١)، فقدم نوحاً في الذين أنعم عليهم، ولاشك أن نعم الله شاملة لجميع الخلق ومع ذلك فيه خصوصية، وقد جعل الله نوحاً أول من خصه الله بها. فصار قدوةً للذين أنعم الله عليهم من جهة، ولذلك عرفنا لهم مقام هذه الآية، والباقون من أهل الإنعام معه. وقد جعله الله مبشراً بأكبر نعمة وهو تكميل الدين بنبينا عليه الصلاة والسلام، حيث جعل الله ذرية "سلم" أهل الدين، وإن الباقي من نسله ينعم بهم ولم يصدق هذا إلا على نبينا عليه السلام، لأن بعثة من قبله لم تكن عامة لكافة الناس(٢).

والآية السابعة: (غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)(٣)، درجة الذين من المغضوب عليهم إلى المحرومين، ومن الضالين إلى المهتدين، وهم الذين تابوا من أهل الكتاب وغيرهم. فالمغضوب عليهم نبذ بالحق بعدما عرفه وتبين له كاليهود. والضال من أخلد إلى الباطل، وألح عليه كالنصارى، فالمنقذون من هؤلاء هم الملحقون الآخرون بأولئك الأربع، وبهم يكمل ويتم خاتم كمال آدم عليه السلام، وهناك يغلق باب الجنة. فالآية السابعة متعلقة بالتوابين من اليهود والنصارى اللاحقين بالذين أنعم عليهم الله. ولما كانت التوبة أودعت الفطرة وبها بدأ السلوك على الصراط وعلمنا أن آدم عليه السلام رأس التوابين فههنا من الآية السابعة درجته (٤).

هذا ما قاله الإمام الفراهي عن كشفه من الحكم واللطائف المودعة في هذه السورة، ومن الواضح أنه اعتمد إشارات ومعاني غير مباشرة، وليس بالضرورة أن ما ذكره صحيح.

بل إن هذا النوع من التفسير لم يقل به أحد من المفسرين وهذا تفسير بعيد من كل نواحي التفسير، وبالتالي أن ما ذهب إليه الإمام الفراهي لا دليل عليه لا من بعيد ولا من قريب ويؤخذ على الفراهي أنه ما قال به.

المطلب التاسع: عنايته بالشعر العربي.

ومن الأمور التي تميَّز بها أسلوب الإمام الفراهي في تفسيره للقرآن الكريم أنه يُكثِر من الاستشهاد بكلام العرب وشعرهم، ويتجنَّب من المعاني الشاذة التي أخذها بعض اللغويين والمفسرين. فالإمام الفراهي -مع اطلاعه الواسع على المعاجم والقواميس العربية كما هو ظاهر في تفسيره- لا

(١) سورة مريم:٥٨.
(٢) انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرءان**، تفسير سورة الفاتحة، ص٩٤-١٠٧
(٣) سورة الفاتحة:٧.
(٤) انظر: الفراهي، **تفسير نظام القرءان**، تفسير سورة الفاتحة، ص٩٤-١٠٧

يعتمد على ما قال اللغويون والمفسرون في شرح الألفاظ القرآنية؛ بل إنه يبحث عن معاني الألفاظ في تعبيرات العرب وشعرهم وخطبهم، ولا شك أن كلام العرب القديم خير معين لفهم تعبيرات القرآن الكريم لكونه نزل بلسانهم وأسلوبهم، يقول الإمام الفراهي في ذلك: "إن الألفاظ القرآنية، وأساليب حقيقتها ومجازها، والذي يؤخذ فيها الكلام العربي القديم والقرآن نفسه. وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيراً ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح والمولّد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى. فلا تدري ما الأصل وما الفرع، وما الحقيقة وما المجاز، فمن لم يمارس كلام العرب القديم، واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب ومن كلام العرب القديم الذي وصل إلينا، ما هو منحول وما هو شاذّ. ولكن لا يصعب التمييز بين المنحول والصحيح على الماهر الناقد؛ فينبغي لنا أن لا نأخذ معنى القرآن إلا مما ثبت، وكذلك يجب أن نترك المعنى الشاذ من اللغة"(١).

فالإمام الفراهي لم يضع هذه الأصول فحسب؛ بل التزمها بدقة تامة في تفسيره، مثلاً يقول في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)(٢): الحبك هو العقد، كما قال أبو دُاود(٣):

كأن الغضون من الفهدتين * إلى طرف الزور حبك العقد(٤)

ومنه: الإدماج والإحكام في النسج، ومنه الحباك، وجمعه الحبك للطرائق والأسرة التي توجد في الثوب المحكم النسج وغيره. وقال زهير بن أبي سلمى يصف ما مرت عليه الريح، فأنشأت فيه غضونا:

مكلّـــل بأصـــول النبـــت تنـــسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك(٥)

وقال الفراء في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)، تكسر كل شيء كالرملة إذا مرت عليها الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرت به الريح.

وفي حديث الدجال: «وإن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبُكٌ»(١).

---

(١) الفراهي، **مقدمة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص٢٢-٢٣.

(٢) سورة الذاريات:٧.

(٣) هو جارية بن الحجاج الإيادي، شاعر جاهلي قديم وصاف للخيل. كان على الخيل المنذر بن ماء الـسماء ملـك الحيرة (٥٠٥م-٥٥٤م)، وكان امرؤ القيس راويته. وانظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص١٠٦، و انظر: **معجـم الشعراء العرب**، ج١،ص٣٧٠، وانظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـــ)، **الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ج١، ص٢٣١.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (المتوفى: ٢٠٩هـ)، **الخيل**، البيت من ثلاثة أبيات وردت في الخيل، ص٢٠.

(٥) زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر المتوفى سنة (١٣ ق. هــ ٦٠٩م)، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، ج١، ص٣٣.

والسحاب يوصف بذلك، فإن الحبك فيه تجعّد قطعاته مثل الموج المزيد المتراكم أو كسبائب القطن. وقال امرئ القيس يصف القصور الشامخات المكللة بالسحب:

تلاعب أولاد الوُعُول رباعها ... دوين السماء في رؤوس المجادل
مكللة حمراء ذات أسرة ... لها حبك كأنها من وصائل[٢]

أي مكللة بسحب حمراء ذات طرائق. وهذا وصف سحاب الشتاء من جهة لونه وقطعاته. وقالت الخنساء تصف السحاب الشتوي:

حين الرياح بلائل ... نكب هوائجها صوارد
ينفين عن ليط السماء ... ظلائلا والماء جامد
مزقا تطردها الرياح ... كأنها خرق طرائد[٣]

وما قيل من أن المراد به السماء التي فيها النجم إما لإحكامها أو لكونها مجردة بالكواكب فلا يصح. فإن الحبك ههنا ليس بمصدر إنما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسر والغضون، فلا يكون وصفاً لهذا المكوكب لا من جهة إحكامه ولا من جهة نجومه[٤].

ولذلك لا يشعر قارئ مؤلّفات الإمام الفراهي العربية بأن صاحبها أعجمي، وخاصة ما ألّفه منها في التفسير وعلوم القرآن. وقال العالم الأديب السلفي الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رحمه الله من لسان المؤلف حينما زاره في رحلته الأولى إلى الهند سنة ١٣٤٢هـ. فقال في مذكراته: "سمعت منه خطة تفسيره للقرآن، فرقت منها عيناي لفصاحتها وحقيقتها"[٥]، وقد قلت عنها سابقاً: "كأنها قبسات من التنزيل"[٦].

---

(١) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: خلاف محمود عبد السميع، **غاية المقصد فى زوائد المسند**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، ج٤، ص٢٦٠، رقم:٤٥١٧.، و أيضا أخرج ابن كثير في جامع المسانيد، المحقق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، **جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن**، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، طبع على نفقة المحقق ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ج٨، ص٣٦٣، رقم: ١٠٥٦٠.

(٢) امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ج١، ص١٤٠.

(٣) الخنساء، ديوان الخنساء، ج١، ص٢٤.

(٤) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، (تفسير سورة الذاريات) ص١٢٥.

(٥) مقدمة الناشر لتفسيره نظام القرءان، ص٩.

(٦) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي** (بالأردوية)، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ط١–، ٢٠٠١م، ص٧٨٧.

إنما ذكرت ذلك لأبين أن الإمام الفراهي الهندي قد سبق العرب في فصاحته وبلاغته بفضل عشقه للقرآن الكريم ولغته لغة العرب، فأحب العرب وأقبل على لغتهم يلتهمها حتى برع فيها. وبلغ من حبه للعرب ما جعله يعد سيئاتهم إنما نبعت من الحسنات، وفي ذلك يقول: "إنما كان القرآن معجزا للعرب لما أنهم تأثروا له"(١).

وأختم هذه الجولة مع الفراهي في عنايته بالشعر العربي ببعض الكلمات من خطبته الجامعة المانعة التي أُعجِبْتُ بها أيما إعجاب، حيث قال بعد الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم: "إني تصفحت كتب التفسير وسبرتها سبراً، فما وجدتها إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، فلم تبرد غلتي، بل زادت قلبي حرّاً، وملأت كبدي جمراً، ففزعت إلى تدبر كتاب الله وسعةِ معانيه، وتركت أقاويل الناس هجراً، وكان بداية أمري أني بينما أجيل الطرف في نجوم الآيات، إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح، فما ازداد إلا سطوعاً وجهراً، فكشف الحجاب عن فؤادي أو طحر قذى عن عيني طحراً، فأبصرت قصدي، وتبينت رشدي، وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكراً، وقضيت على ذلك عصراً، ومن أحسن عمري شطراً، حتى وَلّى الشباب ظهراً، وأذاقني المشيب طعماً مُرّاً، وكرت علي الأوجاع والأقسام كراً، ونظر الحقود إلي شزراً، بأني قد ركبت وعراً، وتوليت أمراً إمراً، ولكني لم أزل مشتغلاً بخصيصاي لا أقصر عنها قصراً، كأن أمراً من السماء يسوقني إليها قسراً، لا أدري لعل الله وجد المسلمين في عمياء مظلمة فأراد أن يرفع عن خرائد القرآن خدراً، وأراد أن يصلح آخر هذه الأمة بما أصلح به أولها، فشرح من بعضهم لفهم كتابه صدراً، ولولا هذا الرجاء لما اقتحمت من هذا الخضم غمراً، ولولا حديث الألجام لما تصديت لأمر لو نزل على الجبال لهبطت لعظمته خراً(٢)، فتوكلتُ على الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)(٣).

فإن شاء ربي سيجلي لنواظرك نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سفراً، بديعاً في خصائصه بكراً، تجد أسفار القوم عن معظمها صفراً، كاشفاً لك عن بديع نظام القرآن ستراً، متمسكاً بآيت الله ونظامها، فلا أجاوز عنها شبراً، ناشراً بين يديك حبرات من معجز بلاغته نشراً، مطلعاً بك على ذروة الحكمة التي تعجز الحكماء دونها بهراً، معتصماً بأصول راسخة للتأويل يذعن لها أولي النهى إلا غمراً، منتحياً لتأويل واحد فتاركاً كل رثّ واهن، وآخذاً ما كان محكماً ممراً، مجتنباً غلواً في الدين، فلم

---

(١) الفراهي، **القائد إلى عيون العقائد**، ص١٨١.
(٢) الفراهي، **تفسير نظام القرآن** (خطبة نظام القرآن)، ص٩-١٠.
(٣) سورة الطلاق:٣.

أكن متخذ الباطنية بطانة ولا الظاهرية ظهراً، مفارقاً من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات، فكذّب ببينات القرآن، وحرّف آياته زوراً ومكراً، قائلاً للمبتدعة كلهم حجراً، وللملحدين جميعهم بهراً.

وذلك، وقد تبرأت من حولي وقوتي إلى توفيق ربي، فما أشدنا إليه فقراً، اللهم ربنا لا تؤاخذنا بما نسيت أو أخطأت فأنت الغني الحميد، وأنا عبدك الحقير الفقير فلا ترهقني من أمري عُسراً، واجعل اللهم ربنا عملي خالصاً لوجهك، واجعله لي في الأخرة وسيلةً ودُخْراً"(١).

(١) الفراهي، **مقدمة تفسير نظام القرءان**، ص٩-١١

المطلب الأول: تعريف "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" للفراهي.

تنقسم تعليقات الإمام الفراهي على القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام، هي:

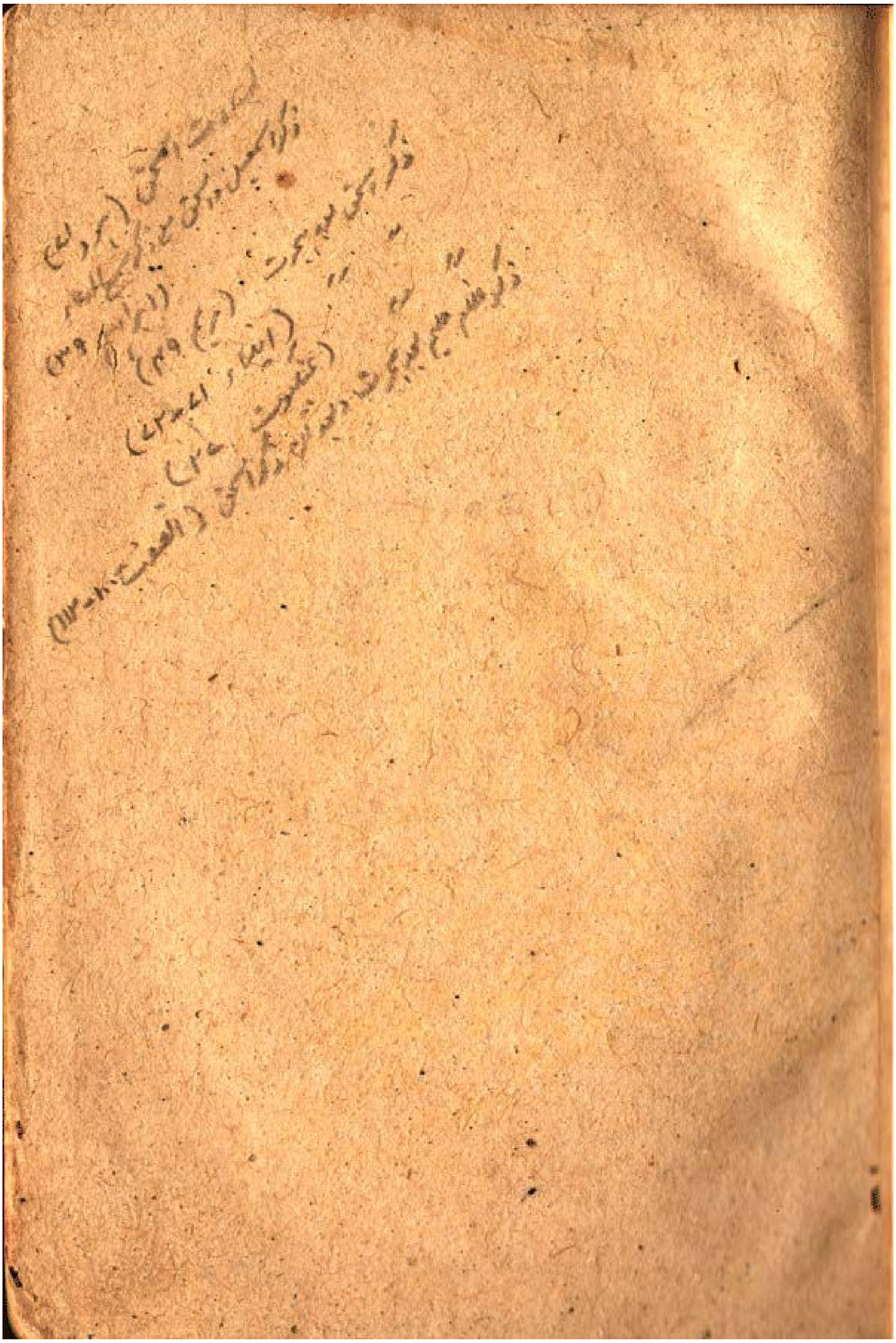
الأول: تفسير بعض السور التي أكملها في حياته، وطبع معظمها أمام عينيه وبعضها بعد وفاته، كل سورة في جزء على حدة بالخط الفارسي. وقد أعادت الدائرة الحميدية طباعتها جميعا في مجلد واحد.

الثاني: هناك سور قد بدأ الإمام الفراهي بتفسيرها لكن لم يتيسَّر له إتمام ذلك بسبب وفاته، وأهمها تفسير سورة البقرة، وقد وصل في تفسيرها إلى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[١] ومنها سورة آل عمران، وقد فسر قدرًا كبيرًا منها مرتين، وسور أخرى كتب في تفسيرها فصولا عديدة، ولم تطبع بعد.

الثالث: تعليقات مختصرة، وهي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وكان يكتب هذه التعليقات تذكرةً لنفسه لا للنشر، وقد نشرت هذه التعليقات. وقد تناولت هذه التعليقات سور القرآن كلها، وكان يضع بين كل ورقتين من مصحفه ورقة بيضاء أو أكثر، ويكتب فيها تأملاته بقلم الرصاص، وكان عنده ثلاثة مصاحف، وهذه نماذج من تلك التعليقات من أحد مصاحفه، وخاصة هذا المصحف موجودة في موقع الإمام الفراهي[٢]:

(١) سورة البقرة: ٦٢

(٢) http://www.hamid-uddin-farahi.org



الاستدلالات

(١) الاليم من خلق تابخته.

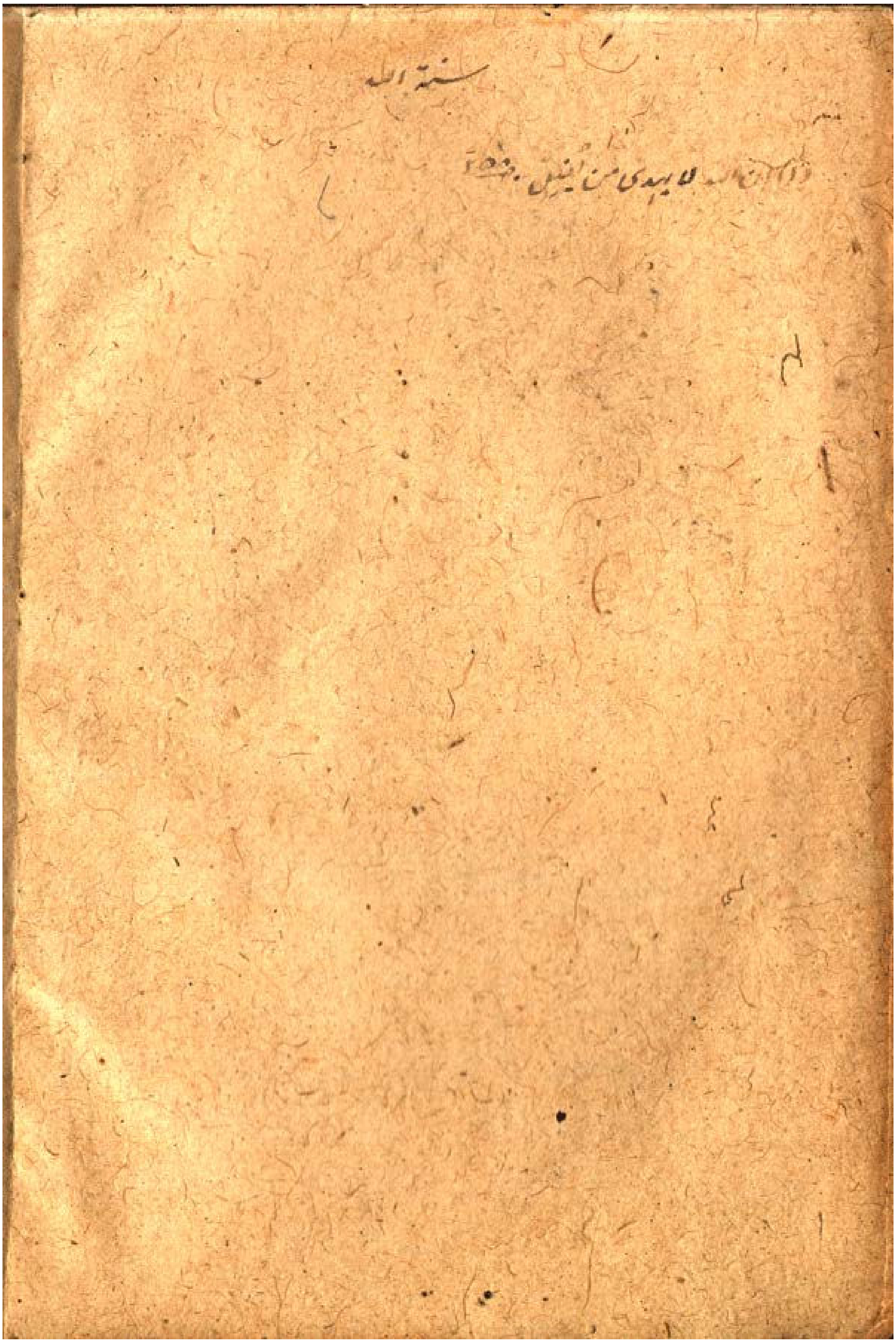
ترتيب نزول السور على حسب النزول

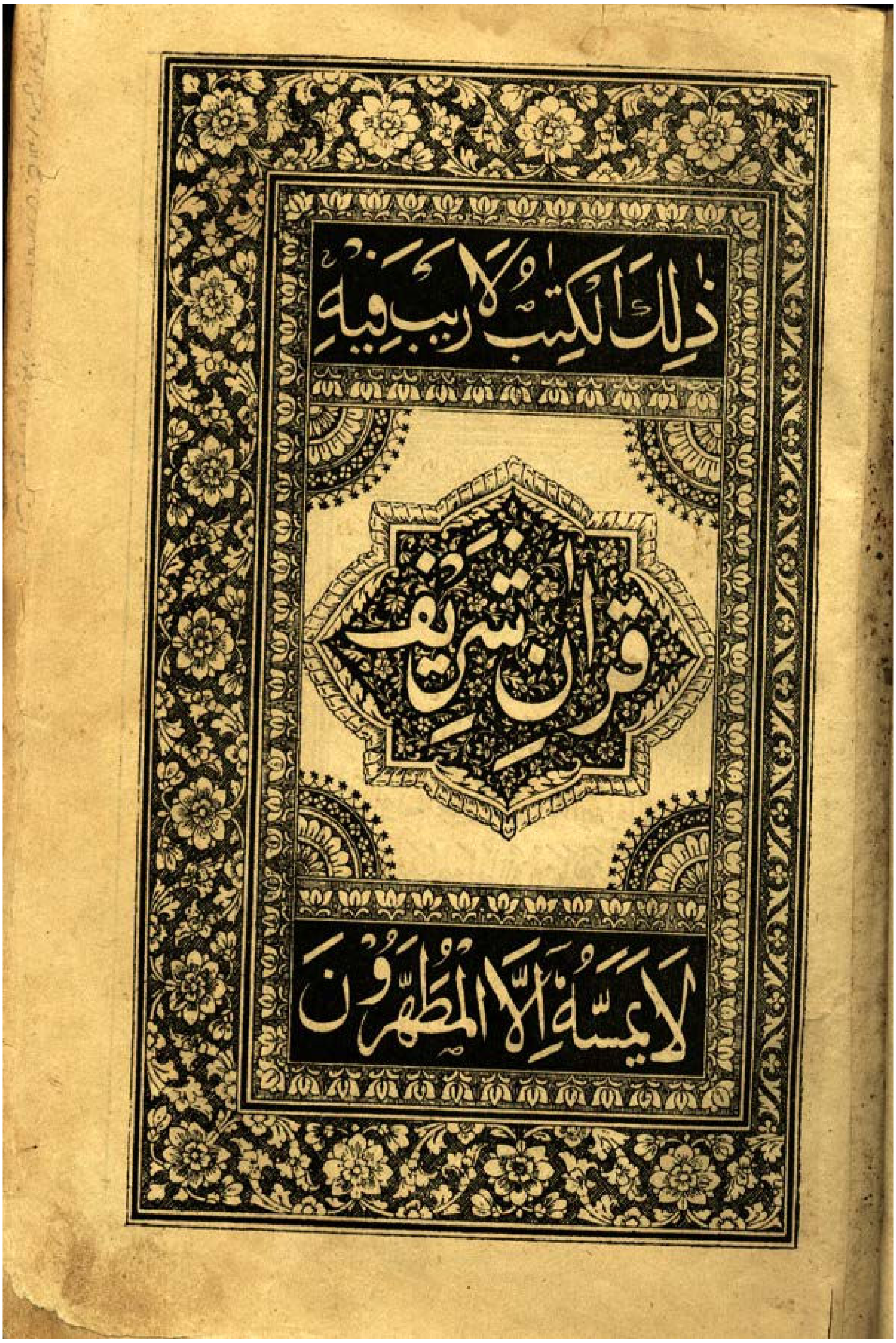
ومكية فيما اختلف فيه [illegible]

اقرأ - مزمل - مدثر - تبت - كورت - سبح اسم ربك الاعلى - والليل -
والفجر - والضحى - الم نشرح - والعصر - والعاديات - انا اعطينا -
الهاكم - ارأيت - قل يا ايها الكافرون - الم تر - فلق - ناس - قل هو
الله - والنجم - عبس - القدر - والشمس - والسماء ذات البروج - والتين - لايلاف
القارعة - لا اقسم بيوم القيمة - ويل لكل همزة - والمرسلات - ق - لا اقسم بهذا البلد
والسماء والطارق - اقتربت - ص - الاعراف - قل اوحي - يس -
فرقان - الملائكة - كهيعص - طه - الواقعة - طسم - الشعراء - طس
القصص - بني اسرائيل - يونس - هود - يوسف - الحجر - الانعام -
الصافات - لقمان - سبأ - زمر - حم المؤمن - حم السجدة - حمعسق
حم الزخرف - الدخان - الجاثية - الاحقاف - الذاريات -
الغاشية - الكهف - سأل سائل - عم يتساءلون - النازعات -
اذا السماء انفطرت - اذا السماء انشقت - الروم - العنكبوت - ويل للمطففين
تمت ما نزلت بمكة ثم المدينة - البقرة - الانفال - آل عمران - الاحزاب -
الممتحنة - النساء - اذا زلزلت - الحديد - القتال - الرعد - الرحمن
الانسان - الطلاق - لم يكن - الحشر - اذا جاء نصر الله - النور - الحج -
المنافقون - المجادلة - الحجرات - التحريم - الجمعة - التغابن - الصف - الفتح
المائدة - براءة

شان القرآن في الصلوات الجهرية حتى يتم مرة في كل شهر

ركعة	صلاة	سورة	آيات ركعة ١	آيات ركعة ٢
١	الفجر	البقرة	١-٦٢	٦٣-٨٢
	المغرب	"	٨٣-٩٤	٩٣-١٠٣
	العشاء	"	١٠٤-١٢٣	١٢٤-[illegible]

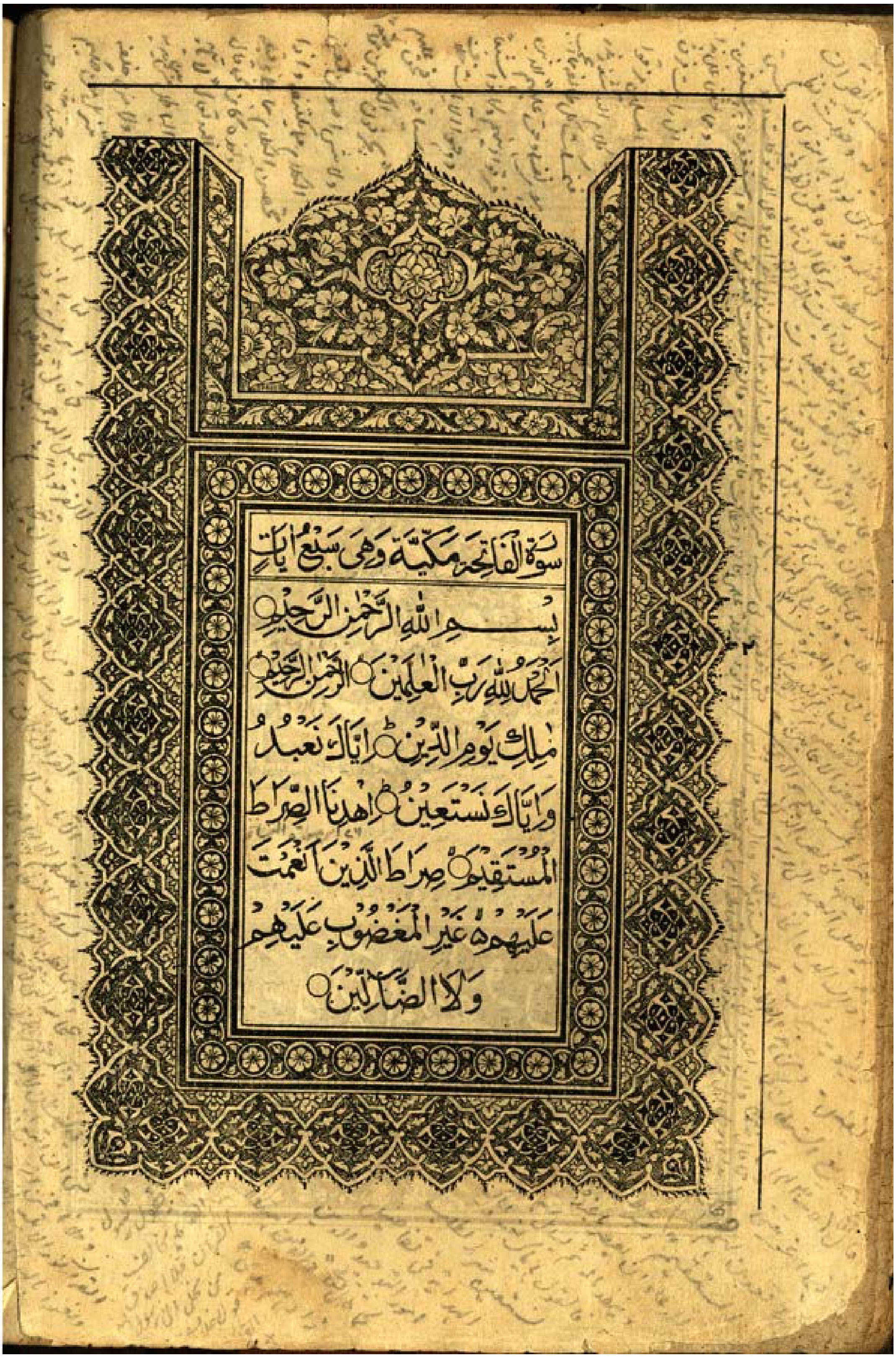

سنة الله
إن الله لا يهدي من يضل



ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ

قرآنِ شریف

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ



سورة الفاتحة مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ۝
الحمد لله رب العلمين ۝ الرحمن الرحيم ۝
ملك يوم الدين ۝ اياك نعبد
واياك نستعين ۝ اهدنا الصراط
المستقيم ۝ صراط الذين انعمت
عليهم ۝ غير المغضوب عليهم
ولا الضالين ۝

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية وأربعون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ذٰلك الكتٰب لا ريب فيه
هدًى للمتقين ﴿٢﴾ الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوٰة ومما
رزقنٰهم ينفقون ﴿٣﴾ والذين يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون ﴿٤﴾

أُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ
وَعَلٰٓى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْأٰخِرِ وَمَا هُم
بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوٓا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن
لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ
قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ
وَلٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلٰى شَيٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤ اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ

ع ١
وقف لازم
٣

المطلب الثاني: منهجه في تعليقاته.

أ- تعريف التعليقات لغةً:

التعليقات جمع تعليقة، وهي كلمة مشتقة من علق يعلّق تعليقا، العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي، ثم يتسع الكلام فيه، والمرجع كله إلى الأصل الذي ذكرناه. ونقول: علقت الشيء أعلّقه تعليقا"(١).

يقال:عَلَّقَ الرجلُ: ألقى زمام الرّكوبة على عنقها ونزل عنها، وعَلَّقَ الشيءَ بالشيء، أوعليه: وضعه عليه. وعلّق الثوبَ على المشجب أو باباً على داره: نصبه وركّبه. وعَلَّقَ أمرَه: لم يعزمه ولم يتركه. وعلّق القاضي الحكمَ: لم يقطع به. وعَلَّقَ على البهيمة: علقها العَلِيق(٢).

ب- تعريف التعليقات اصطلاحاً:

هي عبارة عن ما يُقال أو يُكتب تعليقًا على بحث أو حديثٍ أو مقال أو نحوه أو "ما يُذكر في حاشية الكتاب من شرحٍ لبعض نصِّه ك"تعليق المؤلّف على النصّ أو تعليقه على الهامش"(٣). ومن هذا النوع تعليقات الإمام الفراهي، فهي في الحقيقة فوائد ظهرت عند الإمام أثناء قراءة القرآن الكريم وتدبره. ومن طبيعة التعليقات أن صاحبها لا يشرح النص، ولا يقوم بتحليل النص، بل يذكر فوائد النص. وهذا هو منهج الإمام الفراهي في كتابة هذه التعليقات.

المطلب الثالث: نماذج من تعليقاته.

١) تعليقاته على سورة البقرة.

يعلق في سورة البقرة: الآية ١ إلى ١٥١ تمهيد الشرائع، ومن الآية ١٥٢ إلى ١٨٦ ثم عد هذه الشرائع ووضع في كل أمر منها الأرقام مثلًا: [١]الذكر، و[٢]الصلاة و[٣]الصبر، و[٤]الحج، و[٥]العمرة، و[٦]إحلال الطيبات، و[٧]تحريم الميتة، و[٨]لحم الخنزير، و[٩]ما أهل به لغير الله، و[١٠]إيتاء المال، و[١١]إيفاء العهد، و[١٢]القصاص، و[١٣]وصية المحتضر، و[١٤]الصوم، و[١٥]النهي عن الرشوة، و[١٦]القتال و[١٧]الحذر من التهلكة، و[١٨]نسك الحج و[١٩]التجارة في موسم الحج، و[٢٠]الدخول في السلم كافة، و[٢١]تحريم الخمر، و[٢٢]تعيين ما ينفقون، و[٢٣]معاملة اليتامى، و[٢٤]النكاح بالمشركات، و[٢٥]أحكام الحيض، و[٢٦]الطلاق،

---

(٢) ابن فارس، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، **المحقق:** عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٤، ص١٢٥.

(٢) مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، دارالشروق الدولية، القاهرة ٤،.١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج٢، ص٦٢٢.

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ج٢، ص١٥٣٨.

و[٢٧]حقوق المرضع، و[٢٨]العدة، و[٢٩]خطبة النساء، و[٣٠]مهر من لم تمسس، و[٣١]متاع المطلقة و[٣٢]أن لا إكراه في الدين، و[٣٣]كف المن والأذى من الصدقة، و[٣٤]وإبداء الصدقة وإخفاؤها، و [٣٥]تحريم الربا، و[٣٦]الكتابة في التداين، و[٣٧]الاستشهاد، و[٣٨]الرهن، و[٣٩]أن لا تكتموا الشهادة و[٤٠]أداء الأمانة. فقال هذه أربعون حكمًا إجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[(١)] وتصديقًا لما وصفه في التوراة حيث قال في سورة الأعراف: (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[(٢)].فإذا تلى آية من القرآن فيعلق عليها بخواطره ويذكر نظائرها من القرآن الكريم. يقول في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)[(٣)]: الصلاة هي أول نتيجة الإيمان، والثانية هي الزكاة. فإن الصلاة ذكر كما بينه القرآن. ومن أحب أو خاف أكثر الذكر. ويلزم التقوى رقة القلب، وخلع ما يثقله من حب الدنيا وشهوات النفس، فالمتقي يتزكى ويطهر، فيرجع إلى أصل الفطرة، وهي اتحاد النفوس كما بين في أول سورة النساء، فالتقوى جامعة للصلاة والزكاة معا، كما قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ)[(٤)] فعاهدنا بالذكر والشكر والصلاة والزكاة أولا. قال تعالى: (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[(٥)]، وعلى هذا شواهد كثيرة، ومنه قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ

---

(١) سورة البقرة:١٢٩.
(٢) سورة الأعراف: ١٥٦-١٥٧.
(٣) سورة البقرة:٣.
(٤) سورة البقرة:١٥٢.
(٥) سورة الأنعام:٧٠-٧١.

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)(١) وهكذا في الإنجيل(٢).

وأحيانًا يعلق على الآية بذكر رقم الآية التي هي نظيرها، كما يذكر في تعليق قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)(٣)، ويذكر الإمام هذه النظائر حسبما يأتي في ذاكرته.

٢) تعليقاته على سورة عبس.

يقول: "هذه السورة بضمها بالتي قبلها تدل على أن كفار قريش كفرعون في طغيانهم وعدم خشيتهم. [وفيها] مقابلة من استغنى ومن يخشى وبين من يزكي ومن لا يزكي. في أول السورة: (عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)(٤) فهذه الآيات خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التفات إلى جميع الناس. ثم ختم التكوير بالخطاب إليهم، وجرى الخطاب في الانفطار. وفي التطفيف وجه الكلام إليهم، ولكن أتى بالغائب لغلظة القول. فرجع في الانشقاق فخاطبهم، ثم في آخرها وأخر البروج والطارق خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وودع الكفار وداع المقت قليلًا"(٥).

٣) تعليقاته على سورة الفيل.

التعليق الأول: "من سورة الفيل إلى سورة اللهب ذكر نعمه ونقمه واحدة بعد أخرى متواليات. فالأولى والثانية في عظمة الكعبة، والثالثة في مقصدها وهو الصلاة والإطعام، وفرق بين المؤمن والمنافق. والرابعة مثل السادسة أمرًا للنبي فأتمه، متعلقًا بالكعبة، ووعد النصر وكثرة الداخلين في الدين وخسران أبي لهب الطاعن. والخامسة سورة الحرب. والسادسة سورة النصر. والسابعة تباب العدو. والثامنة سورة التمام والكمال. فإن الكعبة أصل التوحيد وإبراهيم عليه السلام إمامه، والقرآن كتابه، والتاسعة والعاشرة خاتمة الكتاب.

التعليق الثاني: "سورة" الفيل هنا ذكر نعمة عظيمة أنعم بها على بني إسماعيل. ولم يجعلها لبنبي إسرائيل لقتلهم الأنبياء. فكم من دائرة دارت على يروشلم تارة من الفرس وتارة من الروم، وجعل لها سورة كاملة لتعلم عظم شأنها"(٦).

---

(١) سورة البقرة:١٧٧.
(٢) الفراهي، **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص١٧-١٨.
(٣) سورة البقرة:٦.
(٤) سورة عبس:١-١٠
(٥) الفراهي، **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**، ج٢، ص٤١٨.
(٦) الفراهي، **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**، ج٢، ص٤٨٩.

وأتم الفائدة في الإيلاف. ولما كانت الكعبة أول بيت مبارك للأمن والعبادة حفظها الله تعالى. فالكعبة أصل لظهور التوحيد، فلا بد أن يحمى عنه.[1]

٤) تعليقاته على سورة المسد.

قال تعالى في محكم تَنْزيله:

"أتى بصيغة الماضي للتهويل وتصوير المستقبل. كانت قريش ذوي أنفة وإباء وعزة، حتى قال قائلهم: "النار ولا العار". والتكبر بجاه الدنيا قد سيط من دمهم قلما يؤثر فيهم إنذار عذاب الآخرة، وكانوا يباهون بكثرة المال. فخوف الكبرياء وذوي الأموال بعذاب الهون. وقد علمت أن الثواب والعذاب لهما مناسبة بأعمالهم.

وهذه السورة مثل "ويل لكل همزة" في المستهزئين بالفقراء والمتكبرين بالمال، فذكر الله تعالى عذاب الهون والذلة. وتجد في القرآن شواهد جمة في ذكر من طغى بماله، فمنها: (كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى)[٢](وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)[٣] (وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)[٤] (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)[٥] (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ)[٦] (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)[٧].

(تَبَّتْ يَدَا) جار في المزمور السابع والثلاثين الذي يطابق السور العشر (١٠٥-١١٤) "لأن سواعد الأشرار تنكسر"[٨].

كما ذكر في البداية أن هذه التعليقات تذكرة للإمام لنفسه خاصة لا للنشر، لذلك نرى أنه ما تبع فيها أي منهج، بل دونها حسبما جاءت الفكرة في خاطره أثناء التلاوة. ووجدت أن هذه التعليقات تحتاج إلى دراسة من حيث ترتيبها وتخريج ما فيها من الروايات والعبارات غير الواضحة. ولا أبالغ إذ أقول إنها أوسع من تفسير الجلالين من ناحية مضمونها وطريقة تحليلها. ولم يسع لي أن آتي أكثر من هذا لأن البحث فيه يطول.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٨٩.
(٢) سورة العلق:٦.
(٣) سورة الليل: ١١.
(٤) سورة الفجر: ٢٦.
(٥) سورة الهمزة: ٨-٩.
(٦) سورة البلد:٢٠.
(٧) سورة الحاقة:٣٠-٣٢.
(٨) الفراهي، **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**، ج٢، ص٥٠٥-٥٠٦.

المبحث الثالث: آراء الإمام عبد الحميد الفراهي من خلال رسائله وكتبه في بعض مسائل في القرآن الكريم.

اتضح للباحث ولكل من يقرأ كتب الإمام الفراهي أنه بدراسته العميقة للغة العربية وأدابها وعلومها قد صار عربيا في التعبير والتحبير، وصار ذوقه الأدبي كالعرب الخلص. ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد غلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم فوق كل شيء. لن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربيا خالصا. وفي هذا المبحث درست بعض المسائل التي تبرز فيها آراء الإمام الفراهي الدقيقة وأفكاره الدعوية إلى الحق. فمن هذه الآراء، رأيه في الذبيح والحجج في القرآن والحكمة.

المطلب الأول: رأيه في الذبيح من خلال كتابه: "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح".

تعرض الإمام الفراهي –رحمه الله– لإبطال ما زعمه اليهود من أن الذبيح إسحاق -عليه السلام- والكشف عن تحريفاتهم لإثبات ذلك في التوراة، وقد يظن بعض الناس أن هذه المسألة مسألة فرعية جزئية من التاريخ، وسواء إسماعيل كان الذبيح أم إسحاق، فكلاهما من أنبياء الله ورسله، فليست لذلك أهمية شرعية تستوجب اهتماماً كبيراً كهذا، ولكنه ظن لا نصيب له من الصحة.

نظرًا إلى أهمية قضية الذبيح الشرعية والتاريخية، نهض الإمام الفراهي لحسم الخلاف والإتيان بفصل الخطاب وإيضاح الحق، وألف كتاباً قيماً حافلا بالحجج والبراهين الساطعة، وسماه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، حاول فيه إثبات كون إسماعيل هو الذبيح لا غير، مستنداً في رأيه أولاً على التوراة واعترافات علماء أهل الكتاب أنفسهم، وثانياً على الاستدلال بالقرآن المجيد، وثالثاً بالروايات وأقوال علماء الإسلام.

وقد أثنى على هذا الكتاب القيم بعض رجال العلم والأدب، يقول الشيخ العلامة السيد سليمان الندوي(١): "لا مانع من أن أقول: ما رأيت في تاريخ الإسلام رسالة أحسن منها"(٢).

---

(١) الندوي، سليمان،: قاض، كان كبير علماء المسلمين في القارة الهندية. تفوق في الحديث وتاريخ الإسلام. نسبته إلى (دار الندوة) ولي القضاء في بهوبال. وتولى مناصب علمية أخرى. وأصدر مجلة (المعارف). وانتقل إلى كراتشي ١٣٧٠هـ، فكان فيها رئيسا لجمعية علماء الإسلام. له تصانيف أشهرها (السيرة النبويّة) في ١٠ مجلدات. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٣، ص١٣٧.

(٢) الفراهي، عبد الحميد، **مجموعة تفاسير فراهي**، فاران فونڈيشن، لاهور، ط٢، ١٩٩٨م، ص٤٣. وهو مجموعة أجزاء تفسير الفراهي التي ترجمها الإصلاحي إلى الأردية.

أ) قصة تأليف الكتاب.

وقد أشار العلامة السيد سليمان الندوي إلى خلفية تأليف الكتاب "سيرة النبي" فقال: "ساعدنا العلامة الإمام الفراهي مساعدة غالية في جمع المواد العلمية للباب الذي يتحدث عن مولد سيدنا إسماعيل ومسكنه وتقربه، وهو الباب القيم من السيرة النبوية، ثم قام بجمع هذه المواد العلمية وتهذيبها وتنسيقها، وبالغ في البحث والاستقصاء وأفرد لها رسالة أسماها "الرأي الصحيح في من هو الذبيح"[(١)].

ومما كتبه العلامة الندوي يتبادر إليه الذهن أن هذا السفر النفيس جاء عن اقتراح من العلامة شبلي النعماني[(٢)]. وأما الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي[(٣)] فإنه يرى أن تأليف الإمام الفراهي مصدر أصيل لكل ما ذكره العلامة النعماني في سيرته: في الباب الذي يشتمل على ذكر إبراهيم وولده إسمعيل عليهما السلام[(٤)].

وقد يبدو هذان القولان متناقضين بادي ذي بدء إلا أن المتأمل فيهما يجد طريق التقارب بسهولة.

ب) دوافع تأليف الكتاب.

هذا الكتاب مستخرج من تفسير الإمام الفراهي الشهير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وقد شرح العلامة الإمام الفراهي –رحمه الله– في مقدمة كتابه الأسباب الداعية إلى إفراده، وهي ثلاثة أمور:

أولها: هو مكانتها العظمى في ملتنا، وتكلم على خطر هذه المسألة في تاريخ الإسلام وأهميتها لفهم حقيقة الإسلام نفسه كلاماً في غاية النفاسة، يقول في آخر مقدمته: "فمن زعم أن هذا الابتلاء وقع

---

(١) الندوي، سيد سليمان ، **ياد رفتگان**، (كراتشي، مجلس نشريات إسلام، سلسله مطبوعات ٦٤)، ص١٤٠.

(٢) شبلي النعماني: باحث، من رجال الإصلاح الإسلامي في الهند. برهميّ الأصل، اعتنق الإسلام جده الثالث عشر (سيوراج سنك) وتسمى سراج الدين.وصنف كتبا جليلة بلغته، وبعضها بالعربية. وشارك في إنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لكهنو، وأنشأ (دار المصنفين) في بلدته (أعظم كره) قبيل وفاته، فأصدرت مئات من الكتب، ولها مجلة اسمها (معارف) . انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٣، ص١٥٥.

(٣) إصلاحي، أمين أحسن: من كبار العلماء، ولد في مديرية أعظم جره في عام ١٩٠٤، تولى التدريس في مدرسة الإصلاح سنة ١٩٢٥، ودرّس فيها الأدب العربي، والتفسير والفلسفة، والتاريخ وغيرها من المواد الدراسية، انتقل مع اعضاء الجماعة الإسلامية إلى باكستان لاهور، وله كتب مهمة في العقيدة والتفسير وعلومه. انظر: افتخار أحمد، **الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"**، رسالة مقدمة لنيل الدرجة الدكتوراهفي الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بهاولفور، باكستان.١٩٩٦م.

(٤) الفراهي، **مجموعه تفاسير**، ص٤٣.

على جبل أرشليم، وقرب عليه إسحاق -عليه السلام- كان في غطاء كثيف عن حقيقة هذه البعثة العظمى وحقيقة هذا الذبح ومكانته في ملتنا".

والأمر الثاني: "أن في القرآن آيات كثيرة يتوقف فهم تأويلها ونظامها على معرفة هذه المسألة وما يتعلق بهذا الذبح، واستيفاء البيان في كتابنا (نظام القرآن) تحت كل آية تشتمل على ذلك الأمر، يقضي إلى تكرار وإطناب، فأفردت له كتابنا هذا، وجعلنا من مقدمة تفسيرنا لكي نحول إليه عند الحاجة".

والأمر الثالث: "أن اليهود لم يبالغوا في كتمان أمر مثل مبالغتهم في ذلك، فإنهم قد ارتكبوا تحريفات وأكاذيب صريحة في أمر إسماعيل والكعبة، وقد بين الله قصة هذا الذبح في التوراة، ولكن اليهود قد دسوا فيها أهواءهم، فأصلحها القرآن، ... ومع أن الناقدين من علماء المسلمين من أهل العلم والنظر –كما ستعلم- قد استدلوا بنصوص التوراة نفسها على كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح، فإن اختلاف كلمتنا جعل هذا الأمر العظيم من الأمور التي لا يعتد بها، بل عدم اعتدادهم به أمكن اختلافهم فيه، فإنهم لو علموا ما لهذا الذبح من المكانة في ملتنا، لتحذروا عن الغفلة في أمره، فلهذه الأمور الثلاثة التي كلها على غاية الأهمية احتجنا كشف القناع عن هذه المسألة"(١).

وقدم الإمام الفراهي الاستدلال بالتوراة، لأنه أراد إقامة الحجة على أهل الكتاب من كتابهم، وجاء في هذا الفصل بثلاثة عشر دليلاً من التوراة التي عند اليهود على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، ومعظم هذه الدلائل –كما نظن– جديدة لم يسبق إليها. وسعى -رحمه الله- إلى كشف القناع عن تحريفات اليهود المغضوب عليهم في كتابهم، وفسر بعض نصوص التوراة مما استغلق عليهم، أو تجنبوا بيانه كتماناً للحق وظناً منهم أنه سيخفى على الباحثين والدارسين.

وقد مال بعض أئمة المفسرين إلى أن إسحاق -عليه السلام- هو الذبيح، واستدلوا بقول الطبري(٢)، وهو يقول: "اختلف أهل التأويل، في المفديّ من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق. وقال آخرون: الذي فُدِي بالذبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل. ثم قال: "وأولى القولين بالصواب في المَفْديّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن

---

(١) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص٣١-٣٥.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين. انظر: ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ج٤، ص١٩١.

الله قال: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)، فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) فإذا كان المفدِيّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنيّ به إسحاق، كان بيِّنا أن تبشيره إياه بقوله (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن"[١].

أما الذين صرحوا ببطلان هذا المذهب فمنهم ابن تيمية[٢]، الذي سئل عن الذبيح من ولد خليل الله إبراهيم عليه السلام هل هو: إسماعيل أو إسحاق؟ فأجاب: "هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السلف، وذكر أبو يعلى[٣] في ذلك روايتين عن أحمد[٤] ونصر أنه إسحاق اتباعاً لأبي بكر عبد العزيز[٥]، وأبو بكر اتَّبع محمد بن جرير. ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي[٦]: أن أصحاب أحمد ينصرون أنه إسحاق وإنما ينصره هذان ومن اتبعهما ويحكى ذلك

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢١، ص٧٩-٨٦.

(٢) هو تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج١، ص١٤٤.

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفَرَّاء، أبو يعلى: عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٦، ص١٠٠.

(٤) هو إمام المحدثين، صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعي – رضي الله تعالى عنهما – وخواصه. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج١، ص٦٤.

(٥) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، سمع من محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وموسى بن هارون، والحسين بن عبد الله الخرقي. وحدث عنه أحمد بن الجنيد، وبشرى ابن عبد الله، وتفقه به ابن بطة، وأبو حفص العكبري. وكان أحد أهل الفهم، موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة مذكوراً بالعبادة، وله مصنفات في العلوم المختلفات. انظر: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، د.ت، ج٥، ص٢٩٧.

(٦) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ؛ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة، منها " زاد المسير في علم التفسير " أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٣، ص١٤١.

عن مالك[١] نفسه، لكن خالفه طائفة من أصحابه. وذكر الشريف أبو علي بن أبي موسى[٢]: أن الصحيح في مذهب أحمد أنه إسماعيل، وهذا هو الذي رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: مذهب أبي أنه إسماعيل، وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب"[٣].

ومنهم ابن القيم[٤] فقال: "إسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله. وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)[٥] فمحال

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر، رضي الله عنهما، وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ثم أفتى معه عند السلطان. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٤، ص١٣٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف أبو علي الهاشمي البغدادي. كان سامي الذكر، شيخ الحنابلة عديم النظير، صاحب التصانيف المذكورة، له وجاهة عند الخليفتين القادر والقائم، صنف الإرشاد في المذهب، كانت حلقته بجامع المنصور، يفتي ويشهد. مات في يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، ج٦، ص١٢٣.

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحران، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م) ج٤، ص٣٣١.

(٤) هو الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وإمامها. المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، ج٨، ص٢٩٣.

(٥) سورة هود: ٧٠ – ٧١

أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب –عليه السلام- داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسياقه"[١].

ومنهم ابن كثير[٢] فقال: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)[٣]. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ)[٤].

وقال تعالى: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)[٥]، أي: يولد له في حياتهما ولد يُسَمَّى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر ذبحه صغيراً، وإسماعيل وصف ها هنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام"[٦].

وقد تناول عدد من العلماء مسألة الذبيح في كتاباتهم، فكتب مكيٌّ ابن أبي طالب القيسي[٧] (ت٤٣٧هـ) "كتاب الاختلاف في الذبيح من هو؟". وابن العربي[٨] (ت٥٤٣هـ) "تبيين الصحيح في

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ج١، ص٧١

(٢) هو الإمام العلامة، ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين، الحافظ الكبير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة سبعمائة، وقدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه. تفقه بالبرهان الفزاري والكمال بن قاضي شهبة، ثم صاهر المزي ولازمه وصحب ابن تيمية، وسمع من ابن عساكر. وكان رحمه الله جيد الحفظ والفهم، مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار ولا يتعصب لمذهب. انظر: المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، ج٨، ص٣٧٥.

(٣) سورة الصافات:١١٢.

(٤) سورة الحجر:٥٣.

(٥) سورة هود:٧١.

(٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، – ١٤١٩ هـ، ج٧، ص٢٧.

(٧) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. من أهل القيروان. ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها. ثم سكن قرطبة (سنة ٣٩٣) وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٧، ص٢٨٦.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٦، ص٢٣٠.

تعيين الذبيح"، والسبكي[١] (ت٧٥٦هـ) "القول الصيح في تعيين الذبيح"، والسيوطي[٢] (ت٩١١هـ) "القول الفصيح"، وابن طولون[٣] (ت٩٥٣هـ) "الميمون التصريح بمضمون الذبيح"، والحلبي[٤] (ت١٠٤٤هـ) "القول المليح في تعيين الذبيح" وغيرهم من العلماء.

ونلخص هنا بعض الأدلة التي ساقها العلامة الإمام الفراهي من التوراة على كون إسماعيل هو الذبيح.

ج) قصة الذبح حسب ما جاءت في صحف اليهود.

يقول الإمام الفراهي: "نذكر أولاً قصة الذبح حسب روايات اليهود في صحفهم، ثم ننظر فيها حسب الأصول التي قدمناها في الفصل السابق"[٥].

يبتدئ الإصحاح الثاني والعشرون من سفر التكوين بهذه القصة، ولكنها متصلة بالإصحاح السابق الذي يذكر مسكن إبراهيم الذي رحل منه مع ابنه ليقربه، وفيه أنه تغرب في بئر سبع، وجاء إليه ملك هذه الديار، وعاهد إبراهيم عليه السلام، ثم رجع إلى مستقره في فلسطين، وفي آخر قصة الذبح إشارة إلى مسكنه الذي ذهب منه إلى المكان الذي قرب فيه، فاحفظ هذه الأمور، والآن فانظر في القصة، جاء في سفر التكوين (٢٢: ١-١٨):

(١) وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم عليه السلام فقال له: يا إبراهيم، فقال: ها أناذا، (٢) فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك، (٣) فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه، وشق حطباً لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله، (٤) وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد.

---

(١) هو أحمد بن خليل بن إبراهيم، شهاب الدين السبكي: فاضل مصري. له حواش وشروح في الفقه وغيره و (مناسك) و (فتاوى) و (فتح الغفور بشرح منظومة القبور المسماة بالتثبيت عند التبييت للجلال السيوطي) في الرباط. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج١، ص١٢٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٣، ص١٣٧.

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد (المدعو محمد) ابن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقيّ الصالحي الحنفي، شمس الدين: مؤرخ، عالم بالتراجم والفقه. من أهل الصالحية بدمشق، ونسبته إليها. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٦، ص٢٩١.

(٤) سيأتي ترجمته في مكانه.

(٥) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٤٦.

بعد ذلك ذكر مجيئه وتقديمه القربان حتى ناداه الرب: "(١٢) فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، (١٣) فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، (١٤) فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يري، (١٥) ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، (١٦) وقال بذاتي أقسمت، يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، (١٧) أباركك مباركةً وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، (١٨) ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه فقاموا وذهبوا معاً إلى بئر سبع وسكن إبراهيم في بئر سبع".

وبعد هذه العبارة: "وحدث بعد هذه الأمور"، وليس فيه شيء من قصة الذبح فتركناه.

ولهجرة إبراهيم هذه، روايتان أخريان سنذكرهما في طي الكلام، فإنما المقصود في هذا الفصل الاقتصار على نص هذه القصة وعلى ما تتضمن من الأمور التي يستدل بها على حقيقة الواقعة، فنوجهك إليها، وهي هذه:

١) كان إبراهيم عليه السلام قد اتخذ برية بئر السبع مسكناً قبل التضحية وبعدها.

٢) أرض المريا على مسير ثلاثة أيام من بئر السبع.

٣) أرض المريا هي التي قرب فيها.

٤) ذلك الموضع كان يرى من بعيد.

٥) إنما قرب إبرهيم عليه السلام ابنه الوحيد.

٦) وكان هذا الابن محبوباً له.

٧) كان بقرب ذلك المذبح غابة.

٨) بارك الله إبراهيم عليه السلام لأجل أنه قرب ابنه الوحيد.

٩) ووعد أن يبارك في نسله جميع أمم الأرض.

١٠) يرث نسله باب أعدائه.

ولم يتفطن المحرف بوجه الاستدلال بهذه الأمور، فبقيت، ولله الحمد. وأما التصريح باسم إسحاق فلا يعتمد عليه، لأنه موافق لأهواء اليهود، فأدخلوه، وقد دلت عليه دلائل كثيرة بعضها من بيان هذه القصة، وبعضها من غيرها من نفس صحفهم، كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى[١].

د) الاستدلال بالتوراة.

الاستدلال الأول: بمسكن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

"لما بكر إبراهيم عليه السلام لأن يقرب ابنه لم يكن معه إسحاق عليه السلام، وإنما كان إسماعيل عليه السلام هو ساكناً معه، والذي أدخل اسم إسحاق لم يتفطن بهذا الأمر، فبقي دليلاً على إدخاله.

وتفصيل ذلك أن القصة تصرح بأن إبراهيم عليه السلام رجع بعد ما قرب ابنه إلى بئر السبع، وسكن فيها، والرجوع إلى بئر السبع يدل على أنها كانت مسكنه من قبل، وقد صرح بذلك في الإصحاح السابق.

وإذا علمت ذلك، فاعلم أن بئر السبع هي الموضع الذي سكن فيه إسماعيل عليه السلام مع أمه، فإنهم قد ذكروا ذلك في قصة إبعاد إسماعيل وأمه عن إسحاق وأمه، ولاشك أنهم أدخلوا في هذه القصة أكاذيب، وقد اعترف به علماؤهم لما فيها من الأمور التي تكذبها التوراة، ولكن بقي فيها الحق، فنأخذهم بما اعترفوا به، جاء في سفر التكوين (٢١: ١٤): "فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد، فمضت وتاهت في برية بئر السبع"[٢].

الاستدلال الثاني: بأن إسماعيل عليه السلام كان هو وحيد أبيه.

قد مرَّ في القصة أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه الوحيد، ولاشك أن إسماعيل عليه السلام ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة، فإنه جاء في سفر التكوين (١٦: ١٦): "وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام".

وفيه أيضاً (٢١: ٥): "وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه".

فثبت من ذلك أمران:

(أ) لم يكن لإبراهيم عليه السلام وحيد إلا إسماعيل عليه السلام حتى ولد له إسحاق عليه السلام.

---

(١) عبد الحميد الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٦-٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص٤٨-٤٩.

(ب) قرب هذا الابن الوحيد قبل ولادة إسحاق عليه السلام، فإنه لم يبق وحيداً بعد ولادة أخيه، وفي كلا الأمرين دليل مستقل على أن المقرب هو إسماعيل عليه السلام[١].

الاستدلال الثالث: بأن إسماعيل عليه السلام كان هو أحب إلى أبيه.

قوله: "الذي تحب" إنما يعرف به إسماعيل عليه السلام، لأن في صحفهم ما يبين أن إبراهيم عليه السلام كان أشد حباً لإسماعيل عليه السلام، وذلك من وجوه: أن إبراهيم -عليه السلام- كان قد دعا للولد، كما جاء في سفر التكوين (١٥: ٢-٤). فلما رزقه الله هذا الولد سماه (إسماعيل) أي سمع الله دعاءه، فإنه جاء في سفر التكوين (١٦: ١٥): "فولدت هاجر لأبرام ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل".

والآن فتصور شيخاً كبيراً أوّاهاً صبوراً قد ضاق صدره من عقمه، فدعا ربه، فأجابه الرب تعالى، حتى إذا رزق الولد جعل تلك الإجابة اسمه، يدعوه به، ولا يفارقه، حتى إنه يبلغ ثلاث عشرة سنة وحيداً لأبيه الكبير الذي لا رجاء له لابن آخر، فإذا تصورت ذلك فاقض ما أنت قاض في شدة محبته لابنه هذا[٢].

الاستدلال الرابع: بأن موضع الذبح هوالمروة التي عند الكعبة.

ومن أهم التحقيقات العلمية التي تضمنها هذا الباب تحقيقه لموضع الذبح، وقد تعرض اسمه في صحف اليهود لتحريف شديد في قراءته وتفسيره، فجاء في سفر التكوين (٢٢: ٢) حسب الترجمة السبعينية "إلى الأرض العالية" وحسب النسخة العبرانية "إلى أرض موره" وفي ترجمة أقيلا "الأرض المستعلنة" وترجمة سماخوس "أرض الرؤيا"، وفي السفر نفسه في مكان آخر (١٢:٦) في السبعينية "البلوطة العالية" وفي العبرانية "ميدان موره"، أما في القراءة فقرأوا "مرياه" و"مورياه" و"موره"[٣].

وقد أفاض الإمام الفراهي في ذكر هذه التحريفات، ثم أورد أقوال بعض علمائهم في الاعتراف بالتحريف في هذه الكلمة، والرد على زعم اليهود بأن هذا الموضع هو مكان هيكل سليمان في أورشليم، وزعم النصارى بأنه موضع صلب المسيح حسب معتقدهم، وأشار إلى اقتراح بعضهم أن هذا الموضع على جبل جريزيم، ورد عليه، ثم نبه الإمام الفراهي على مداخل التوهم والتحريف في الكلمة مستدلاً

---

(١) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٥١.
(٢) المصر السالبق، ص٥٣.
(٣) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ص١٣-١٤.

بقواعد اللغة العبرانية، ووجود التشابه الشديد بين الحروف في الخط العبراني، مما يسهل عمل التحريف لمن يتعمده[١].

ثم أثبت الإمام الفراهي: أن الصواب في اسم موضع الذبح هو "المروة" فقال: "إن ذلك الموضع هو الذي في مساكن بني إسماعيل ولم يزل مشهوراً باسم المروة، ويؤيد ذلك ما في صحفهم، فإنه قد جاء في سفر القضاة (٧: ١): "وكان جيش المديانيين شماليهم عند تل موره في الوادي، فتبين أن هذا التل موره كان معسكراً للمديانيين، ولاشك أن المديانيين هم العرب، واسم مديان يطلق عليهم وعلى أرضهم، وقد جاء التصريح في صحفهم بأن مديان هم الإسماعيليون"[٢].

ثم أورد الإمام الفراهي نصوصاً من التوراة وقال: "فبعد ذلك أي شيء يبقى من دعواهم بأنه على جبل أورشليم؟ أم أي شيء يدفع ما لم يزل الإسماعيليون يعرفونه بالمروة؟ وكانت عندهم أشهر من نار على علم، وكانوا يطوفون بها في حجهم، وحين خاطبهم القرآن في أمر الطواف لم يحتج إلى تعريفها، ولكن بين أنها من شعائر الله، وهناك أشار إلى تحريف أهل الكتاب في أمرها وسوء صنيعهم فيما يكتمون من آيات الله تعالى في كتابهم"[٣].

الاستدلال الخامس: بأن إسماعيل عليه السلام كان هو الأولى بأن يقرب.

قد صرحت التوراة بأن إسماعيل عليه السلام كان هو بكر أبيه والشريعة من لدن عهد آدم عليه السلام إلى موسى عليه السلام مؤكدة بأن البكر هو الذي يقرب، ولا يبطل فضيلة البكورية شيء[٤].

هذا ما استدله الإمام الفراهي من التوراة على إثبات التقرب في حق سيدنا إسماعيل عليه السلام، ثم أخذ يستدل بالقرآن المجيد وحده، وساق هناك ثلاثة عشر دليلا على صحة رأيه.

هـ) الاستدلال بالقرآن المجيد.

وقد نهج الإمام الفراهي -رحمه الله- منهجه في الباب السابق، فقد بدأه بذكر أصول ومبادئ للتدبر في قصص القرآن وحججه، وهي أمور مهمة لفهم منهج القرآن الكريم في إيراد القصص والاحتجاج بالمعقول والمنقول، والوجوه التي استدل بها المؤلف في هذا الباب جلها منثور في كتب السابقين ولكنها جاءت في هذا الكتاب على أحسن وجه من التحرير والتلخيص والتشييد. نذكر فيما يلي أهم أدلته المستمدة من القرآن المجيد.

---

(١) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ص١٤.
(٢) المصدر السابق، ص١٤.
(٣) المصدر السابق، ص١٤-١٥.
(٤) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٦٢.

الاستدلال الأول: بكون ذكر الذبيح موصولاً بالدعاء.

دعاء إبراهيم: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)[١]، إنما كان حين لم يكن له ولد، وإلا لقيل له: قد وهبنا لك من الصالحين، فذكر الله الإجابة في عقب الدعاء، ووصلهما بالفاء، فقال: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ)[٢]، فدل على أن ذلك ذكر الولد، الذي أعطاه الله إجابة لدعائه حين لم يكن له ولد، فلا بد أن يكون هذا الغلام الحليم أول مولود لإبراهيم عليه السلام، وصرح بكونه ذبيحاً، فلابد أن يكون إسماعيل عليه السلام الذي هو أول مولود لإبراهيم عليه السلام ذبيحاً[٣].

وليس الاستدلال بأن دعاءه لم يكن إلا لولد واحد كما زعم الرازي رحمه الله، فإنه كان دعاء عاماً محولاً إلى فضل الرب تعالى، سواء أعطاه واحداً من الصالحين أم أكثر، مع إشارة خفية إلى الكثرة، وهذا هو الأولى في موضع الدعاء، كما ترى في دعائه في موضع آخر: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)[٤] أي عدداً محولاً إلى فضلك[٥].

وبالجملة فنقول: إن الدعاء، وإن اشتمل على كل من يعطيه الله من الصالحين من ابن وابن ابن، فإنما المذكور في قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ)[٦]هو الابن الذي ولد له قبل سائر ذريته إجابة لدعائه، وهو إسماعيل عليه السلام، فإن ذكره وصل بالدعاء، وفرع عليه، فهو الذي وقعت به الإجابة، ثم من وهبه الله بعد ذلك كان فضلاً ونافلة[٧].

وقد صرح القرآن بذلك حيث قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً)[٨] أي نحلة نافلة من عندنا، ولذلك سمى إبراهيم عليه السلام أول أولاده "إسماعيل" أي سمع الله، فإسحاق ويعقوب عليهما السلام، وإن كانا داخلين في عموم الدعاء والهبة، فإن المذكور في قوله تعالى: "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ"[٩] لا يكون إلا من وهبه الله تعالى حين لم يكن له ولد، ولا فرق بين إسحاق ويعقوب في أن الله وهبهما نافلة، بل ذلك أظهر في إسحاق عليه السلام، فإنه ولد من غير دعاء ولا انتظار[١٠].

---

(١) سورة الصافات: ١٠٠.
(٢) سورة الصافات: ٣٧-١٠١.
(٣) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح:** ص٧٩.
(٤) سورة إبراهيم:٤٠.
(٥) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح،** ص٨٠.
(٦) سورة الصافات:١٠١.
(٧) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح،**، ص٨١.
(٨) سورة الأنبياء:٧٢.
(٩) سورة الصافات:١٠١.
(١٠)الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح،** ص٨٢.

وأما ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن المراد بالنافلة هو يعقوب عليه السلام خاصةً، لما توهم أن إسحاق عليه السلام كان إجابة لدعاء أبيه دون يعقوب عليه السلام، فإنما هو لما تلقى من أخبار اليهود، وبناء على هذا التأويل توهم بعضهم أن (النافلة) يقال لولد الولد، وأدخل المقلدون ذلك في كتب اللغة من غير سند من كلام العرب، وأئمة اللغة منكرون لهذا المعنى للنافلة، فلا تغرنك هذه الأقاويل[١].

الاستدلال الثاني: بنظير هذا الدعاء من جهة النظم.

كما أن الله تعالى ذكر الذبيح في هذه القصة متصلاً بالدعاء، وذكر إسحاق عليه السلام بعده، فكذلك ذكرهما في موضع آخر، حيث ذكر شكر إبراهيم على إجابة دعائه، وهو: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسحاق إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)[٢]. فالدعاء المذكور ههنا يشير إلى دعائه المذكور في قصة الذبح وهو: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)[٣]. وإذ قد تبين تطابق الموضعين في ذكر الدعاء والإجابة، فلا يخفى أن الله تعالى ههنا أيضاً ذكر الموهوب له أولاً بقوله: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ

---

(١) المصدر السابق، ص٨٣.
(٢) سورة إبراهيم:٣٩.
(٣) سورة الصافات:١٠٠.

حَلِيمٍ)[١]، والموهوب له ثانياً بقوله: ([٢]وَبَشَّرْنَاهُ بِإسحاق نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)[٣].

الاستدلال الثالث: بتطبيق النظيرين من جهة أخرى.

في الآية التي تلوناها آنفاً لم يكتف بتقديم إسماعيل في مقام الشكر، بل دل أيضاً على أنه إنما سمي (إسماعيل) لكونه هو إجابة دعائه، فقال: (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [٤]واسم (إسماعيل) معناه: سمع الله، كما مر، فكأنه قال: الحمد لله الذي وهب لي إسماعيل إجابةً لدعائي، ثم وهب لي إسحاق نافلة، كما مر. وهكذا في قصة الذبح دل بوصل الموهوب له أولاً بالدعاء على أنه إجابة لدعائه، فتطابق الموضعان في ذكر الدعاء والموهوب إجابة، ودل في الأول على أنه إسماعيل، وفي الثاني على أنه هو الذبيح، فدل بذلك على أن المراد في قوله: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)[٥] لا يكون إلا إسماعيل عليه السلام[٦].

الاستدلال الرابع: باستقراء النظائر في بشارة إسحاق عليه السلام.

لاشك في أن ههنا ذكر بشارتين: بشارة بغلام حليم موصولة بالدعاء، وبشارة بإسحاق غير موصولة بالدعاء، وقد جاء ذكر البشارة بإسحاق في مواضع من القرآن، وليس في أحد منها أنها كانت من انتظار أو دعاء فضلاً أن تذكر متعاقبة للدعاء وموصولة به بالفاء. وهكذا في التوراة، فإنها تذكر بشارة إسحاق عليه السلام حين لم يكن إبراهيم عليه السلام ليستشرف إليها ولا يرجوها بل تعجب منها لما سمعها، ففي سفر التكوين (١٧: ١٧): "ألا ابن مائة سنة يولد أو سارة ابنة تسعين سنة تلد". وقد وعد الله إبراهيم أن يرزقه ولداً، فلو كان إسحاق عليه السلام هو الموعود لم يتعجب إبراهيم عليه السلام من بشارته، فهذه البشارة التي وصلت بالدعاء إجابة له لا تكون في إسحاق عليه السلام، وهذا دليل مستقل بنفسه. ثم هي لا تكون في إسحاق لكونها خلاف سائر البشائر الإسحاقية التي لم تذكر متفرعة على الدعاء، وذلك حملاً للنظير على النظير، فلا بد أن تكون هذه في إسماعيل الذي جاء إجابة لدعاء أبيه، وقد صرح القرآن بكون صاحب هذه البشارة ذبيحاً، فإسماعيل عليه السلام هو الذبيح[٧].

---

(١) سورة الصافات:١٠١.
(٢) سورة الصافات:١١٢.
(٣) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٨١.
(٤) سورة إبراهيم:٣٩.
(٥) سورة الصافات:١٠٠-١٠١.
(٦) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٨٢.
(٧) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٨٢.

الاستدلال الخامس: بأن البشارة الأولى غير الثانية.

لا يخفى أن ظاهر العطف بين البشارتين يدل على كون المبشر بهما اثنين، والاعتذار بأن البشارة الأولى كانت من جهة كون إسحاق -عليه السلام- غلاماً حليماً والثانية من جهة كونه نبياً مخالف لظاهر القرآن من غير دليل. وهذا يتضح من النظر إلى الجملتين معاً، مثلاً تقول: "قال إبراهيم عليه السلام: رب هب لي من الصالحين، فبشره الله بغلام حليم، وكان من أمره كذا وكذا، وبشره الله بإسحاق نبياً من الصالحين"، وقد علمنا من غير خلاف بين أهل الكتاب والمسلمين أن غلاماً حليماً قد ولد لإبراهيم عليه السلام قبل إسحاق، فما المحوج إلى جعل المعطوفين واحداً خلافاً لظاهر الكلام؟ وعلى هذا فالمذكور في البشارة الأولى "وهو الذبيح" غير المذكور في البشارة الثانية "وهو إسحاق"[(١)].

يقول الأستاذ أمين الإصلاحي: "ومن عجيب ما استدل به المؤلف -رحمه الله- في هذا الباب عدم تسمية الذبيح في القرآن الكريم، فقد جعل ذلك حجة على كون إسماعيل هو الذبيح، فقال: "ليس لقائل أن يقول: إن كان إسماعيل عليه السلام هو الذبيح فلم لم يصرح القرآن به؟ فإن هذا السؤال عائد عليه في أمر إسحاق عليه السلام على سواء، مع أنه لم يكن مانعا لذكره، وأما إسماعيل -عليه السلام- فلعدم التصريح باسمه وجوه من الحكمة". ثم فصل القول في هذه الوجوه، وهي أربعة أولها: "أنه من عادة القرآن الصفح والإعراض عن اللجاج الذي لا ينفصم لكيلا يشتغل الخصم به، ويترك ما يلقى إليه من الحجة الدامغة، وقد أدخلت اليهود اسم إسحاق عليه السلام في قصة الذبح، فلو صرح القرآن بخلاف ذلك لتمسكوا بما في قصة الذبح، ولو صرح القرآن بخلاف ذلك لتمسكوا بما في كتبهم، وجادلوا بباطلهم، وأنكروا بما جاء به النبي لخلافه الصريح بما عندهم، فالقرآن يلزمهم ما كان موجوداً في صحفهم أو كان ظاهراً بينا عند العقل لكيلا يترك لهم متمسكاً وعذراً، وقد أشار إلى ذلك في غير ما آية تارةً يخاطب النبي ويأمره بالصفح عنهم، وتارةً يخاطب المسلمين بترك جدالهم إلا بحسن القول، وتارةً يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم إلى مسلماتهم"[(٢)].

ثم أورد أمثلة على ذلك وقال: "وبالجملة فإن القرآن قد اجتنب مجادلتهم فيما تمسكوا بظاهر الكتاب، وفي ذلك حكمة بينة لعدم التصريح باسم الذبيح، فلو كان هو إسحاق عليه السلام لم يكن مانع من تسميته ههنا"[(٣)].

---

(١)الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٦.
(٣) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ص٩١.

ومن أروع فصول هذا الباب الفصلان الأخيران اللذان استدل فيهما المؤلف -رحمه الله- بما صرح به القرآن من أحوال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبما جاء في القرآن على سبيل إبطال ما افترت اليهود في أمر إسماعيل عليه السلام، وكلاهما من جوامع الأدلة، وسترى فيهما كلاماً بديعاً في تفسير معاني الآيات وحسن نظامها ومحكم ترتيبها وبعيد مراميها ولطيف أسلوبها. وختم المؤلف -رحمه الله- هذا الباب بقوله: "ولنا دلائل أخر من صحف اليهود... فاقتصرنا في القسط الأول على هذه الثلاثة عشر رعاية لسني عمر إسماعيل عليه السلام حين قدمه الخليل عليه السلام حين قرب لربه وأفرزه لخدمة بيته. وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى لمن تدبر"[١].

و للإمام الفراهي -رحمه الله- كلام جميل في الدفاع عن العلماء الذين لم يتخذوا موقفاً قوياً في هذه المسألة، فاكتفوا بذكر القولين دون الجزم بأحدهما أو بمجرد الترجيح، وقد أحسن كل الإحسان إذ صير ذلك من مناقبهم فقال: "والسبب في ذلك –والله أعلم– أن علماءنا -رحمهم الله تعالى- براء من التعصب لنبي من الأنبياء، ثم إنهم لا يجترئون على القطع في تأويل القرآن ما لم يكونوا على بصيرة فيه، ثم إن المتأخرين منا على غاية مراعاة الأدب للسلف، فإذا وجد أحدهم اختلافاً من السلف في تأويل أمسك عن القطع بأحد وجوهه، واكتفى بالإشارة إلى ما هو المرجح عنده، ومع ذلك من كان على بينة من أمره جاء بقول فصل، وفي اختيار ابن جرير -رحمه الله- أن إسحاق -عليه السلام- هو الذبيح لأكبر شهادة على أن المسلمين لم ينظروا في هذه المسألة نظر المتعصب المعاند، وكذلك الشهادة في عدم القطع من بعضهم بأحد الجانبين"[٢].

يقول الإصلاحي[٣]: "وآخر فصول الكتاب في الاستدلال بأحوال العرب قبل الإسلام وأقوالهم تكملة للقرائن التاريخية التي وردت في البابين السابقين، وتفصيلاً للإشارات التي تضمنها قوله تعالى في سورة آل عمران في أمر بيت الله: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)[٤]. والكتاب كله من أوله إلى آخره نمط عال من التحقيق والتأليف، ومثل خليق بالاحتذاء في أدب الخلاف والمجادلة الحسنة، في أسلوب علمي يتميز ببراعة التحليل ودقة الاستنباط، وقوة الاستدلال، وحسن التأتي للمعضلات، ونقد الآراء في تواضع جم واحترام تام لأصحابها، مع إحكام النسج، ونهاية الإيجاز، ونصاعة البيان"[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص٧٣.
(٢) الفراهي، **الراي الصحيح في من هو الذبيح**، ١٠٩.
(٣) المصدر السابق، ١٠٩.
(٤) سورة آل عمران:٩٧.
(٥) الفراهي، **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ص١٧-١٨.

المطلب الثاني: رأيه في حجج القرآن من خلال كتابه "حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة".

أود أن أبدأ البحث هنا بعرض مفهوم الحجج لغة واصطلاحا.

لغة: الحجاج والمحاجة مصدر للفعل (حاجّ)، و ورد في لسان العرب لابن منظور ما يلي: حاججته أحاججه محاجا و محاجة حتى حججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. والمحجة: الطريق، وقيل: جادة الطريق... والحجة: البرهان، قيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدِل(١).

قال الأزهري: إنما سيمت حجة لأنها تحجّ أي تقصد، لأن قصد لها وإليها.

فعلى هذا يكون الحجاج دائرا حول: التخاصم والتنازع والتغالب واستعمال الوسيلة المتمثلة في الدليل والبرهان، أو هو النزاع والخصام بالأدلة والبراهين والحجج، فالمحاجج يشترك مع الطرف الآخر في نشاط ذي طبيعة فكرية تواصلية يعمد فيه إلى استعمال الدليل والبرهان لغاية معينة أو مقصودة لذاتها اثناء الحجج، ويكون مرادفا للجدل، حسب ابن منظور أيضا: "مقابلة الحجة بالحجة".(٢)

قال ابن فارس في مقاييسه : " ممكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا، لأنها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب".(٣)

وفي هذا الشأن كذلك يعرف الجرجاني في تعريفاته: " الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٥م، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٨.

(٣) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (المحقق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر،بيروت، ط–، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٦م، ج٢، ص٣٠.

وقيل الحجة والدليل واحد". (١)

وفي الاصطلاح: " إنه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة". (٢)

والذي لاحظت هنا أن الحجاج دلّ على معنيين: أولهما القصد، وثانيهما معنى الإقناع عن طريق الجدال الفكري.

فإن من أسمى العلوم وأغزر الهبات مما يمن الله به على من يشاء من عباده هو فقه حججه وبيناته، ما ينصرون به الحق، ويعلون رايته، ويكبتون به أهل الباطل، وينكسون غايته، كما قال تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)(٣)، فسماها حجتَه ونسبها إليه تعالى ذكره، وتلك الإضافة الشريفة تقتضي ما تقتضيه من علو شأنها، وثبات أركانها، وإحكام بيانها، وشرفها وفضلها.

وفي هذا الصدد ألّف الإمام الفراهي كتابه "حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة"، وذكر في مقدمته له عن أهمية هذا الموضوع بأن له أهمية من جهات كثيرة، منها:

١) من جهة كونه أساساً ومفتاحاً.

٢) من جهة أنه خطاب إلى أعلى ما فطر الإنسان من العلم والرشد.

٣) من جهة أنه الفارق بين الدين الحق الذي بني على الحكمة والهدى، والذي بني على محض التقليد والعمي(٤).

أما الأسباب التي دعت المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب فهي كما يلي:

١) الزعم أن طريق العقل مباين للتعليم الإلهي.

٢) ابتلاء كثير من الناس بعقليات سافلة زائغة عن طريق الفطرة والهدى مفضية إلى محض الحيرة وصريح العمى.

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، دار الإيمان، الإسكندارية، مصر، د.ط، ٢٠٠٤م، ص٧٣.

(٢) ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافرالعدواني البغدادي ثم المصري (المتوفى:٦٥٤)، **بديع القرآن**، (تحقيق: حفني محمد شرف)، مكتبة نهضة، مصر، ط:١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، ص١٧، وانظر: عبد الله صولة، **الحجاج القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، دار الفرابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص١٤.

(٣) سورة الأنعام: ٨٣.

(٤) الفراهي، عبد الحميد، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، الدائرة الحميدية، أعظم كره، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٨.

٣) أباطيل المنطق التي منعت الناس عن معرفة ما في دلائل القرآن من الرسوخ.

٤) الوهم بأن مسائل التوحيد والربوبية إنما يبرهن عليها بطريق الفلسفة، وأما الأنبياء فلم يأتوا إلا بالإقناعيات.

٥) الغفلة عما هو فوق الحياة الدنيا لشدة انهماك الناس في المشاغل المحسوسة الحاضرة.

٦) الظن بأن القرآن إنما خوطب به الأميون البسطاء فلا يكون موضعًا للتدبر وإمعان النظر.

٧) الظن بأن القرآن كثير الاقتضاب والانتقال من معنى إلى معنى من غير مناسبة بينهما[١].

ومحتوى هذا الكتاب منقسم إلى مقدمة وثلاث مقالات. أما المقدمة فقد ذكر فيها أهمية الموضوع والحاجة إليه. ثم في المقالة الأولى انتقد المنطق والفلسفة والكلام في ثلاثة أبواب. والمقالة الثانية في تأسيس العلم وهي أيضًا منقسمة إلى ثلاثة أبواب:

١) الميزان، وقد سماه المنطق الأعلى.

٢) الحكمة البازغة.

٣) طريق احتجاج القرآن.

أما المقالة الثالثة فهي تتعلق بحجج القرآن، وهي أيضًا تشتمل على ثلاثة أبواب. باب في أدلة الربوبية، وباب في أدلة المعاد، وباب في أدلة الرسالة.

أولا: رأيه في الحجج.

الحجة عند الإمام الفراهي ما يثبت به دعوى على خصم[٢]، ولا يلزمها أن يضطر المخاطب إلى التسليم، ولا كل ما أورث المخاطب إيقانًا بصحة دعواه[٣].

أكثر الحجج في القرآن عند الإمام الفراهي تتعلق بما يزيل أوهام مشركي العرب ومبتدعي اليهود والنصارى، وما كانوا ينكرون الرب بكونه متصفًا بصفات الكمال، ولكن ذهلوا عما يلزمه، ولهذا توجد أكثر حجج القرآن مبنية على صفات الله تعالى المسلمة عندهم، فهي كما قال الإمام الفراهي

---

(١) الفراهي، عبد الحميد، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص١٩-٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص١٦٧.

الأصول الموضوعة في الاحتجاج بهم. وهي كلها قاطعة[١] فالخطاب في هذه الحجج موجه إلى ثلاثة أنواع من الناس:

١) المنكر البعث، فيستدل فيها على وجود الإله الحق.

٢) المقر بالإله، فيستدل فيه على اتصافه بصفات الكمال.

٣) المقر بالإله المتصف بصفات الكمال، فيستدل فيه على بطلان معتقداتهم المناقضة لما أقروا به[٢].

فالإمام الفراهي يفرق بين الاستدلال الخاص والعام المطلق، بسبب كون الحجج بحسب المخاطب بها. والدليل على هذا قول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا)[٣] فهذا قد أقروا به، ثم نبه على ما يلزمهم من هذا الإقرار، فقال: (وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[٤] أي إن لم يقروا بذلك فقولوا لهم: إنا نقر به، فنحن مسلمون بالاتفاق[٥].

ثانيا: الحجج الآفاقية التي تستدل بها على الإله الخالق وصفاته الكاملة.

المراد بالحجج الآفاقية عند الإمام الفراهي، ما يشاهد الإنسان في الخارج من الأمور التي لا يشك فيها. وتضطر فطرة العقل أن تنسب هذه الأمور إلى ذات تكون مصدرًا لها. وهي على سبعة وجوه:

١) الحسن الرائق في المخلوقات التي تحف الإنسان من كل جانب.
٢) المرافقة والموافقة الدالة على الحكمة والرحمة والربوبية والقدرة والعلم.
٣) وجود الضد من الضد.
٤) وجود المختلفات من المتحدات.
٥) مظاهر العظمة والجلال في المسخر المقهور التي تدل على أن الألوهية لا تنتسب إلى هؤلاء، وإنما المتصف بها من يكون أعلى وأجل.

---

(١) الفراهي، عبد الحميد، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص ١٤٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٦ وانظر في نفس المصدر ص ١٦٧-١٧٠.
(٣) سورة آل عمران: ٦٤.
(٤) سورة آل عمران:٦٤.
(٥) الفراهي، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص١٤٧.

٦) التدبير القاهر المحيط.

٧) كون الحق والعدل والخير غالبًا على أضدادها(١).

ثالثا: ثلاثة أصول في إقامة الحجة.

وقد استنبط الإمام الفراهي ثلاثة أصول من القرآن الكريم:

١) الحق لا يبطل بباطل ولا العلم بجهل، وأصله في قوله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(٢).

٢) لا يبطل الفرع الأصل، وأصله في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)(٣).

٣) لا يبطل الحق من الباطل إلا بقدر ما هو باطل فلا عدوان، وأصله في قوله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(٤).

رابعا: العقل والعلم والعمل الصالح للحجة.

يقر الإمام الفراهي مكانة العقل في خلقة الإنسان وعده الأصل الأول للاحتجاج ولكن بشرط أن تتبع العقل إلى آخر ما يهدي إليه العلم الحق والعمل الصالح. فهي إذا ثلاثة أمور:

١) العقل الذي هو نور إلهي رفع الله به الإنسان على البهائم.

٢) العلم الحق الذي أنزله الله تعالى.

٣) العمل الصالح.

فطريق الفطرة للاحتجاج هو استعمال العقل وطلب العلم وتسديد العمل(٥).

---

(١) الفراهي، عبد الحميد، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص١٤٨-١٥٢.

(٢) سورة لقمان:١٥.

(٣) سورة لقمان:١٤.

(٤) سورة لقمان:١٥.

(٥) الفراهي، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص١٧٤-١٧٥.

خامسا: آراؤه في بعض المصطلحات المستخدمة في كتابه "حجج القرآن" وأصحابها.

الاستدلال الفطري:

يقول الإمام الفراهي: "في القرآن أصول للاستدلال والنظر أقرب إلى العقل وأرسخ في القلب من أصول منطق اليونانيين، ودلائل أصح وأثبت من أدلة الفلاسفة والمتكلمين"[١].

ويقول: "الاستدلال الفطري مبني على اليقين بما لا سبيل إلى إنكاره، وذلك بأن الإنسان مجبول على تسليم ما غرر في طبعه"[٢].

ويقول: "الحجج الفطرية مبنية على المبادئ الحاكمة على النفوس، وأن التسليم لها ليست بالاختيار حتى ينكر به منكر، وإنما هو مضطر إلى الإيقان بها بحكم فطرته التي ليست باختياره"[٣].

ويقول: "لما كان المقصود إتمام الحجة على كافة الناس أكثر القرآن من الحجج الفطرية التي بنيت على شهادة الفطرة الإنسانية"[٤].

ويقول: "جعل القرآن بناء الحجة على اليقين الضروري الفطري الذي لا يسع العقل أن يعصيه. وهو ينبوع جميع علومه وأعماله، ونظره واستدلاله. وهو مودع في غور فطرة النفس، مكنون كاللب وراء القشور"[٥].

رأيه في الإلهام:

يقول: "نوقن بنوع من الإلهام الذي أعطي للنفوس كما أعطي لجميع الحواس وقوى أخرى"[٦].

ويقول: "لليقين الفطري مجار إلى المدركات وتلك الإلهامات، لولاها لم يكن لنا علم ولا بداهة ولا نظر"[٧].

رأيه في التقليد.

يقول: "لو كان الإيمان جائزا بمحض التقليد لكان الوثنيون معذورين."[٨]

---

(١) المصدر السابق، ص٢١.
(٢) المصدر السابق، ص٧٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.
(٤) الفراهي، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص٧٢.
(٥) المصدر السابق، ص٩٣
(٦) المصدر السابق، ص٩٤
(٧) المصدر السابق، ص٩٣
(٨) الفراهي، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص٢١١

إن الإمام الفراهي لم يتفرد بقول عدم جواز التقليد في العقائد ولكن هناك من سبقه بهذا القول، منهم الإمام الرازي يقول: " لا يجوز التقليد في أصول الدين".[١] والزركشي يقول: " والعلوم نوعان: عقلي وشرعي، الأول: العقلي وهو المسائل المتعلقة بوجود الباري وصفاته، واختلفوا فيها، والمختار أنه لا يجوز التقليد، بل يجب تحصيلها بالنظر، لأن في العقائد العلم واليقين وذلك لا يحصل من التقليد."[٢] ويقول الخطيب البغدادي: " فأما العقلي فلا يجوز فيه التقليد لمعرفة الصانع تعالى وصفاته ومعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من الأحكام العقلية."[٣]

رأيه في الحكمة:

يقول: "مرادنا بالحكمة هي معرفة العلم الفطري الذي يهدي إلى السعادة الأبدية والعمل به."[٤]

ويقول: "فالحكمة عبارة عن:

(أ) أصول العلم الثابتة التي عليها بناء جميع العلوم.

(ب) أصول العمل التي عليها بناء الأعمال الصالحة كلها.

(ج) القوة التي بها يعرف الحق من الباطل، والحسن من السيئ.

(د) الكلمات متضمنة لأصول العلم والعمل، ومن هنا سمى القرآن "الحكمة".[٥]

---

(١) الرازي، أبو عبد الله بن محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى:٦٠٦هـ)، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٩، ص٣٨٥ و٤٦١.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(المتوفى:٧٩٤هـ)،البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٨م، ج٨، ص٣٢٤.

(٣) انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي(المتوفى:٤٦٣هـ)، الفقه والمتفقه، (تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢م، ج٢، ص١٢٨.

(٤)الفراهي، عبد الحميد، **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ص٢٢٦.

(٥) المصدر السابق، ص١٢٣-١٢٤.

سادسا: خلاصة آرائه.

خلاصة ما ذهب إليه الإمام الفراهي في هذا الباب هو:

١) أنه يحارب من تبنى أفكاره على منهج الفلسفة اليونانية.

٢) ويدافع عن منهج القرآن في فهم تأويل القرآن دون الرجوع إلى العلوم الغربية. والفهم من خلال مذهب الغرب يطفئ نور القرآن ويبعد العالم من فهم القرآن ومراده.

٣) العقل السليم يدرك حقيقة القرآن ولكن لا بد لهذا العقل من أن يقبل نور القرآن، فإن القلب السليم سلطان بين الجسم والعقل.

٤) الذين اعتمدوا على الفلسفة اليونانية ومنطقها قد أخطأوا في كثير من تأويل القرآن.

المطلب الثالث: رأيه في حكمة القرآن من خلال كتبه ورسائله فيها.

عرَّف العلماء "الحكمة" بتعاريف مختلفة، فمنهم من عرفها باسم الإحكام، أي وضع الشيء في موضعه [(١)]. ومنهم من عرفها بفعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[(٢)]. وبعضهم عرفوها بالعلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك[(٣)].

وتطلق الحكمة على معان عدة، منها: الحكمة بمعنى السنة، وبيان الشرائع[(٤)]، قال تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم)[(٥)].

---

(١) **الأنصاري، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي** ، منازل السائرين، **دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٧٨.**

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**،(المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـــ - ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٤٩.

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التــراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هــ، ج٢، ص٣٣.

(٤) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٢. وانظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٣، ص٨٦-٨٧، وانظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٤، ص٥٩، وانظر: عزالدين عبد السلام، أبو محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (المتوفى:٦٦٠هــ)، **تفسير القرآن**، (تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هــ - ١٩٩٦م، ٣م، ج١، ص١٦٣.

(٥) سورة البقرة: ١٢٩.

وقال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ)[١].

الحكمة بمعنى النبوة[٢]: قال تعالى: (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[٣]. وقال تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[٤]. وقال تعالى: (وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)[٥].

الحِكْمَة بمعنى الفِقْه[٦]: قال تعالى: (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[٧].

الحِكْمَة بمعنى الفَهْم، وحُجَّة العقل وفقًا للشَّريعة[٨]: قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[٩].

---

(١) سورة البقرة: ١٥١.

(٢) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٤. وانظر: عزالدين عبد السلام، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٧٥، وانظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى:٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٥، ص٢٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٥١.

(٤) سورة ص: ٢٠.

(٥) سورة الزخرف: ٦٣.

(٦) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٤، وانظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٧، ص٥٨، وانظر: عزالدين بن عبد السلام، تفسير القرآن، ج١، ص٢٤٣.

(٧) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٨) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٤، وانظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط:-، (٣٠م)، ج٢١، ص١٥٢، وانظر: ابن عباس، عبد الله -رضي الله عنهما-(المتوفى: ٦٨هـ)، **تنوير المقابس من تفسير ابن عباس** (جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ))، ط١، ١م، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٣٤٤، وانظر: الآلوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٥م، ١٤١٥هـ، ج١١، ص٨٢.

(٩) سورة لقمان: ١٢.

الحِكْمَة بمعنى العِظَة[1]: قال تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)[2].

وللإمام الفراهي كتاب في هذا الموضوع، وله ثلاث مسودات. وقد سَمَّى الأولى بالحكمة البالغة في الحكمة الإسلامية يعلمها القرآن ويتقبلها أولو الألباب بما أنها تبلغ قلوبهم وتخاطب عقولهم"، وسَمَّى الثانية "بحكمة القرآن"، وأبقى هذا العنوانَ في المسودة الثالثة.

ويقصد الإمام الفراهي بالحكمة أنها "إعمال الفكر ثم العمل بمقتضى الفكر، فيزداد علمًا وعملًا."[3] وقد عرفها بمعناها المعروف كما عرفها جماعة من السلف، وكما وردت في القرآن والحديث في مواضع متعددة.

يقول في كتابه "مفردات القرآن: "الحِكْمَة" اسم للقوة التي منها ينشأ القضاء بالحق. قال تعالى في نعت داود عليه السلام: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[4] فذكَر الأثر بعد القوة التي هي مصدر ذلك الأثر. وكما أن القول الفصل من آثار الحكمة، فكذلك طهارة الخلق وحسن الأدب من آثارها.

ولذلك كانت العربُ تطلِق اسمَ الحكمة على قوة جامعة لرَزانةِ العقل والرأي، وشَرافةِ الخلق الناشئة منها. فسَمّوا الرجلَ العاقلَ المهذبَ "حكيما".

وكذلك يطلقون اسم الحكمة على فصل الخطاب، وهو: القول الحق الواضح عند العقل والقلب[5].

وكل هذه الوجوه من معاني الحكمة جاءت فى كلام العرب. فاستعملها القرآن والنبي -صلى الله عليه وسلم- بما عرفوه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مِنَ الشَعْر لحِكْمَة"[6] أي ليس كل شعر غواية، بل منه ما يتضمن على الحق والحث على الخير. ثم استعملها الله تعالى في أكمل أفرادها، فسمى الوحي "حكمة" كما سماه "نوراً"، و "برهاناً"، و "ذِكراً" و "رحمة". ومن هذه الجهة سَمَّى القرآنَ

---

(1) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٥، وانظر: المراغي، أحمد بن مصطفى(المتوفى: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ٣٠م، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج٢٧، ص٧٩، وانظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي(المتوفى:٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز**، (تحقيق: عبد السلام بن عبد الشافي بن محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٥، ص٢١٢.

(٢) سورة القمر: ٥.

(٣) الفراهي، عبد الحميد، **حكمة القرآن**، ص١٣.

(٤) سورة ص:٢٠.

(٥) انظر في تعريف "الحكمة" وأسمائها كتاب حكمة القرآن للفراهي، ص٢٥-٢٩.

(٦) أخرج البخاري عن أبي بن كعب في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه. انظر **فتح الباري** ١٠: ٥٣٧. وفيه "حكمة" بدون اللام. أما باللام "لحكمة" فانظره في حديث أبي أيضاً في سنن ابن ماجه: ١٢٣٥. وانظر النهاية ١: ٤١٩.

"حكيماً" أي ذا حكمة، كما سمَّى نفسه حكيماً وعليماً. فهذه وجوه. فإذا سمّى القرآن "كتاباً" و "حكمة" معاً، فذلك من جهتين: سمي "كتاباً" من [جهة] كونه مشتملاً على الأحكام المكتوبة، و "حكمة" من جهة اشتماله على حكمة الشرائع من العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة. واستدللنا على هذا الفرق من تتبع استعمال الكلمتين معاً، ومما علمنا من استعمال "الكتاب" للأحكام و "الحكمة" لأصولها."(١)

وقال الإمام الفراهي في تأويل قول الله تعالى: (ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(٢) في حاشية الكتاب: "فاعلم أن المخاطب على ثلاث مدارج: خالي الذهن، ومعترف، ومنكر. وبعبارة أخرى: تخاطب أولاً، أو بعد اعتراف، أو بعد إنكار. فأولاً تخاطبه بما يتقبل عقله من الحق الواضح والخير المعروف، فهذا هو الدعوة بالحكمة. فإذا رأيت أنه مقِرٌ بحسن ما تدعو إليه، ولكنه لا يوافق عمله علمه، فتحثه على العمل بالموعظة الحسنة. وإذا رأيت أنه يخالف دعوتك فتجادله بالطريق التي هي أحسن.

فالأول: إلقاء العلم، وهذا يكفي للسابقين. والثاني: جذب إلى العمل. وهذا ينفع الصالحين الذين جاء فيهم: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ)(٣). والثالث: إزالة العوائق، وبهذا هُدِي خلقٌ، وتمت الحجة على الآخرين. كما جاء في قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(٤). وبعبارة أخرى: الدعوة بالحكمة عامة للناس، ثم هم يفترقون: فمنهم من يستمع ويميل، ومنهم من يجادل. فللأول "الموعظة"، وللثاني "حسن المجادلة"(٥). والإمام الفراهي هو أول من فرق بين هذه الأصناف الثلاثة.

ثم قال الإمام الفراهي: إنَّ بعض أهل العلم تسامحوا في هذا المقام، وتبعهم الإمام الشافعي رحمه الله، وتبعه أكثر المحدثين، فظنوا أن "الحكمة" أريد بها الحديث(٦)، فإنّ الكتاب كتاب الله.

---

(١) الفراهي، عبد الحميد، **مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية**، (المحقق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي)، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة الذاريات: ٥٥.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

(٥) الفراهي، عبد الحميد، **مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية**، ص١٧٤.

(٦) روي تفسير "الحكمة" بالسنة عن قتادة. انظر الطبري، ج ٣، ص٨٧، وانظر: يحي بن سلام (٢٠٠هـ)، **التصاريف تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه**، المحقق: هند شلبي، الشركة التونيسية لتوزيع، ١٩٧٩م، ط:–، ص٢٠١. وفسرها الإمام مالك فيما رواه الطبري عن ابن وهب عنه بالمعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له. وقال الإمام الشافعي رحمه الله في رسالته (٧٦ – ٧٩) بعد نقل الآيات التي قرن الكتاب فيها بالحكمة: "فذكر الله الكتاب –وهو القرآن– وذكر الحكمة، فسمعتُ مَن أرضى مِن أهل العلم بالقرآن

نقل الإمام الفراهي كلام الإمام الشافعي في كتابه "حِكمة القرآن" ثم عقب عليه بقوله: "فهذا كلامه فيما يتعلق بمعنى الحكمة في الآيات التي زوجت فيها بالكتاب أو الآيات. وهذا الذي ذهب إليه الإمام -رحمه الله- مذهبا في التأويل، فإن العام ربما يستعمل في بعض أفراده. ولما كانت "الحكمة" بمعنى الفهم، وقد خصَّها بفهم الكتاب من تقدمه من علماء التأويل، كما روي عن مجاهد وغيره، وقد رأى الإمام في عهده من مدعي فهم الكتاب من كان يؤوّله إلى العقليات الزائفة ويظن أنها هي الحكمة، نبه الإمام على أن فهم الكتاب إنما يكون بالسنة، واستدل على ذلك:

(١) بما بينه من كون السنة مبينة للكتاب.

(٢) من أن الله لم يفرض علينا اتباع قول أحد غير السنة، ومَنّ علينا بتعليم الكتاب والحكمة، فلا نجد شيئاً يكون جديراً بأن يقرن بكتاب الله غير سنة نبيه. فلم يذهب الإمام إلى ما ذهب إليه إلا على حسن نية ونصيحة للمسلمين فجزاه الله عنا خير جزاء. وأما في غير هذه المواضع فهو على ما هو المعنى المشهور كما قال في خطبة كتابه هذا ما نصّه"[(١)].

ثم نقل الإمام الفراهي كلام الإمام الشافعي مع تفسير بعضه بين قوسين. ومما نقله: "فكل ما أنزل الله جل ثناؤه في كتابه رحمة وحجة، علمه من علِمه وجهله مَن جهله، لا يعلم مَن جهله ولا يجهل

يقول: الحكمة: سنة رسول الله. وهذا يشبه ما قال، والله أعلم. لأن القرآن ذُكِرَ وأُتبعته الحكمة، وذكر الله مَنَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجُز -والله أعلم- أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله وحتّم على الناس اتباع أمره. فلا يجوز أن يقال لقول: فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله، لِما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به. وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد: دليلاً على خاصّه وعامّه، ثم قرن الحكمة بها بكتاب فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله".

(١) الفراهي، **حكمة القرآن**، ص٥٨. وعلق الفراهي كذلك على كلام الإمام في حاشية نسخته من الرسالة: ١٣ فقال: "كل ما ذكر الإمام من مكانة الإيمان بالرسول واتباعه، فلا شك فيه. وأما قوله رحمه الله في تفسير الحكمة فضعيف -والله أعلم-. وإنما أراد الإمام رحمه الله أن يجعل السنة حيث يسوغ بها تخصيص الكتاب وصرفه عن ظاهر معناه لكي يوفق بين الكتاب والسنة والآثار. والمجتهد قد يخطئ، وإنما الأعمال بالنيات. فاعلم أن قوله تعالى: {وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} وقوله تعالى: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}، وأمثال ذلك يبين أن الحكمة شيء نزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان يتلوه، ويعلمه الناس، فلا يكون أحكاماً جاءت بها السنة. وقد ذُكِر معنى الحكمة مجملاً على صفحة ٧".يعني تعليقه في حاشية الصفحة المشار إليها: "الحكمة لها معنيان: الأول ما أنزل الله، والثاني ما آتاه الله عباده. كما أن العلم والمعرفة والذكر وأمثالها يراد بها ما يعبّر عنها، وما هو صفة العقول. والقرآن يستعمل هذه الألفاظ في كلا المعنيين".وقال في حاشية الصفحة نفسها تعقيباً على قول الإمام الشافعي في (البيان الرابع): "أفاد الإمام رحمه الله تعالى: كل ما سنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس فيه كتاب فهو المراد من الحكمة في قوله تعالى {ويعلمهم الكتاب والحكمة}. قال الفراهي: "الكتاب": ما شرع لهم، و "الحكمة": ما أودع صدورهم من العلم وذكر في القرآن وكتبه". وانظر تعليق المؤلف على كلام الإمام ابن تيمية في حاشية "معارج الأصول" (مجموعة مقالات ندوة الفراهي: ٢١٠). الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١٧٦-١٧٧.

مَن علمه. والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به. فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خيرا إلا بعونه. فإنّ من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً. ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه. وانتفت عنه الريب. وَنوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة".[١] ثم قال: "هذا الكلام يشتمل على فوائد عظيمة، ولمتانته يستدعي شرحاً وتنبيهاً، وقد دل فيه على أصل عظيم في الحكمة فنذكر بعض ما يستفاد منه"[٢].

وقد بين سبب الخطأ فقال: "ومثار الخطأ أنهم أخطأوا معنى "الكتاب" حيث جاء مع الحكمة. والدليل على ما قلنا آيات: فمنها قوله تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ)[٣]. وهكذا قوله تعالى: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)[٤]. وكلمة (يتلى) و (أنزل) لم يستعملها القرآن للحديث"[٥].

فالإمام الفراهي لا ينكر أن يكون معنى الحديث الحكمة، بل هو يخالف لتخصيصه بالحديث. فقال: "نعم إن الحديث ربما يتضمن الحكمة، ولا شك أن الحديث ربما يبيّن ما في القرآن من الحكمة. ولعل مراد الذين تبعهم الإمام رحمه الله كان هذا. ولكن الحديث يشتمل على الأحكام، كما أنه يشتمل على الحكمة، فلا وجه لتخصيصه باسم (الحكمة)"[٦].

ووضح الإمام الفراهي الأمر فقال: "وجاء أوضح من ذلك حيث قال تعالى بعد ذكر ما قضى من أصول الدين: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ)[٧]. وقال تعالى في صفة عيسى عليه السلام: (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ).[٨] وكتب المؤلف رقم (١) تحت الكتاب والتوراة ورقم (٢) تحت الحكمة والإنجيل؛ فسمى التوراة "كتاباً"، لأن معظمها الأحكام، والإنجيلَ "حكمة" لما كثر فيه من الدلائل والمواعظ، كما قال تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

(١)الفراهي، **حكمة القرآن**، ص٥٨-٥٩، انظر **الرسالة**، ص١٩- ص٢٠.
(٢) المصدر السابق، ص٦٠.
(٣) سورة النساء: ١١٣.
(٤) سورة الأحزاب:٣٤.
(٥) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١٧٧.
(٦) المصدر السابق، ص١٧٧.
(٧) سورة الإسراء :٣٩.
(٨) سورة المائدة: ١١٥.

التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)[١]. فكان الإنجيل مشتملاً على هدى ونور، وهدى وموعظة، وعلى قليل من الأحكام وتصديق التوراة. ولغلبة الأمر الأول سمي "حكمة". ويؤيد هذا التأويل[٢] قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)"[٣].

ثم بيَّن الإمام الفراهي رأيه في الحكمة في القرآن فقال: "فاتضح أن تأويل "الحكمة" إلى الأحاديث غير صحيح، وأن اسمَ "الكتاب" إذ يُتبَع بالحكمةِ فالمراد منه الأحكام."[٤] ولا أرى بأسًا في هذا التأويل إذ يوجد الاختلاف في تأويل الحكمة عند أهل التفسير وهذا مشهور. يقول القرطبي: "الحكمة": المعرفة بالدين، والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى، قاله مالك، ورواه عنه ابن وهب، وقاله ابن زيد. وقال قتادة: "الحكمة" السنة وبيان الشرائع. وقيل: الحكم والقضاء خاصة، والمعنى متقارب"[٥].

---

(١) سورة المائدة: ٤٦.

(٢) الفراهي، **مفردات القرآن**، ، ص١٧٨

(٣) سورة الزخرف:٦٣.

(٤)الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١٧٨.

(٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج٢، ص١٣١.

المبحث الرابع: بعض تفردات الإمام الفراهي في بعض سور القرآن الكريم عن جمهور المفسرين.

في واقع الأمر فإن تفردات الإمام الفراهي عن باقي المفسرين كثيرة، والمقام ليس مقام تفصيل، فاخترت ثلاثة مواضع من تفسيره لأبين تفرداته وطبيعة أقواله، وهي من سور: عبس والفيل والمسد.

وحتى تتبين حقيقة هذه التفردات فقد قمت بمقارنتها ببعض أمهات كتب التفسير وهي غالبا كتب الطبري والبغوي والزمخشري والرازي والقرطبي.

المطلب الأول: سورة عبس.

تكاد تجمع كتب التفسير على أن هذه السورة نزلت في مكة في شأن عبد الله بن أم مكتوم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مشغولا في دعوة جماعة من قريش، فيهم الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، والعباس، وأبو جهل، وكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم شديد الحرص على إسلام قريش وأشرافهم. فجاء عبد الله بن أم مكتوم وجعل يتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجعل رسول الله يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا، فنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى)[١].

فذكر الطبري اتفاق المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم عوتب بسبب ابن أم مكتوم، ويروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أمّ مكتوم قالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يُعْرِض عنه، ويُقْبِل على الآخر ويقول: "أتَرَى بما أقُولُهُ بأسًا؟ فيقول: لا، ففي هذا أُنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى). وكذلك روي عن ابن عباس قوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى) قال: "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا

---

(١) انظر: الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، **سنن الترمذي**،كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس، ج٥، ص٤٣٢، رقم:**٣٣٣١**، انظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ج٢، ص٢٨٤، رقم:٦٩٢، وانظر، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، ج٢، ص٢٩٣، رقم:٥٣٥.

جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدّى لهم كثيرا، ويَعرض عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبيّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، علمني مما علّمك الله، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبس في وجهه وتولّى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خَفَق برأسه، ثم أنزل الله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه، وقال له: "ما حاجَتُك، هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيءٍ؟" وإذا ذهب من عنده قال له: "هَلْ لكَ حاجَةٌ فِي شَيْءٍ؟" وذلك لما أنزل الله: (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى)(١).

وذكر البغوي القصة نفسها،(٢) وكذا الزمخشري(٣) والرازي إذ قال: "أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى، هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم،.... واعلم أن في الإخبار عما فرط من رسول الله ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانيا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ وإلزام الحجة"(٤)، والقرطبي(٥).

موقف الإمام الفراهي من هذه القصة:

أما الإمام الفراهي فهو لا ينكر هذه القصة، بل هو ينظر إليها بعين غير عيون جمهور المفسرين، مثلا عند جمهور المفسرين عوتب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات، ولقد تأدّب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا، ولكن الإمام يقول بناء الكلام في هذه السورة على كفّ النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة الوقت بالذين أصروا على كفرهم وعصيانهم، وما قال المفسرون عن هذه القصة فقد عده من زلل القلم منهم(٦).

أما موقع هذه الآيات عند الإمام الفراهي فهو أن الله تعالى منع رسوله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة الوقت بالمصرّين على الكفر وحثه على التزام المؤمنين. ونظيره لذلك عند الإمام هو قوله

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٤، ص٢١٧-٢١٨.
(٢) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٥، ص٢٠٩-٢١٠.
(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص٧٠٠-٧٠١
(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص٥٣.
(٥) الطبري، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٩، ٢١١-٢١٢.
(٦) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٢٧٣-٢٧٤.

تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)[١]. يعني بذلك أن الله تعالى أمره أولًا الدعوة لرؤساء قومه وبالأعراض عنهم إذ تبين إصرارهم على الكفر.

تصوير هذه القصة عند الإمام الفراهي:

أما تصوير هذه القصة عند الإمام الفراهي فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتغل بدعوة رؤساء قومه، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم منهم شدة الأنفة والكبرياء، ومن شدة رحمته كان عليه السلام يصبر على ذلك، رجاء انتفاعهم بذلك. فكلما زادوا جماحًا زاد عليه السلام إلحاحًا. ولكن لما كان في ذلك بعض شغل عن الذين هم أحق بعنايته وتنزل عن سمو محله، فإن الله تعالى لم يأمره بالخضوع بل أرسله بالعز الشامخ والشرف الباذخ. فقال الله تعالى له لا لوم عليك إن لم يؤمنوا، فإنك قد أوفيت بما كان يجب عليك. والآيات في هذا المعنى كثيرة. فكلما وجد الله تعالى نبيه قد غلا في هذا المنهج أوحى إليه بعض ما يصرف عنانه إلى التوسط، حتى وقعت هذه القصة -قصة عبد الله بن أم مكتوم- فجعلها الله تعالى سببًا لزجر الأغنياء ومدح الفقراء بأبلغ ما يكون من أساليب الكلام، فأخرج الكلام مخرج العتاب حسب الظاهر، ولكنه في الحقيقة زجر للكافرين وثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، وتطييب لقلوب المؤمنين[٢].

أما الروايات التي وردت في هذه القصة عن مجاهد وعائشة وعن ابن عباس رضي الله عنهم فهي عند الإمام الفراهي مبنية على الظنون والأوهام وناشئة مما توهموا من التأويل فوضعوا له قصة وخبرًا افتراءً على ما أسندوها إليه. وذلك بوجوه:

أ- أن الآية لا تقول إنه عليه السلام عبس من الأعمى أو عبس في وجهه كما قيل.

ب- أن قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) صريح في أنه عليه السلام لم يعلم أن الأعمى جاء إليه ليطهر قلبه أو ينور عقله بالذكر.

ت- أن قوله تعالى: (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد غلا في أمر الدعوة.

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤-٢١٩.

(٢) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٢٧٨-٢٨٠.

ث- أن قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) صريح في تعليم الاستغناء عن الذين استغنوا عن ذكر الله وفي منع النبي صلى الله عليه وسلم عن التنازل إلى هذا القدر من الالتفات إليهم(١).

ثم يقول الإمام: "بالجملة إذا نظرت في نفس هذه الآيات وما قبلها وما بعدها تبين لك أن الكلام ليس لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم الاستغناء والترفع، حسبما يليق بعزته وعزة دعوته. وأسلوب العتاب ههنا أبلغ ما يكون في منعه عن الإفراط في أداء فريضة الدعوة، وفي تطييب نفسه ونفوس الضعفاء من المؤمنين، وفي زجر الأغنياء من المنكرين"(٢).

المطلب الثاني: سورة الفيل.

هذه القصة معروفة بين الناس فقد روى أن أبرهة حلف ليهدمن الكعبة، فخرج من الحبشة ومعه فيل اسمه محمود، وكان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيره، فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى، وعبأ جيشه وقدم الفيل، وكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن هرول، فأرسل الله طيراً مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا(٣). فهذه هي قصة الفيل نقلها المفسرون. والآن ننظر آراء جمهور المفسرين في هذا الصدد.

يقول الطبري عن هذه القصة بأن الله تعالى أرسل على أصحاب الفيل طيرا من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

"أيْنَ المَفَرُّ والإلهُ الطَّالِبْ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الغَالِبْ"

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثُّ قيحا ودما، حتى قَدِموا به صنعاء،

---

(١) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٢٨١-٢٨٤

(٢) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٢٨٤.

(٣) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، (حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، ج٣، ص٣٨٠-٣٨١.

وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون[١]. فالطير الحامل ثلاثة أحجار يدل أنهم جاءوا لرميها، فرموها، فما يصيب منهم أحدًا إلا هلك.

وذكر البغوي القصة بشيء من التفصيل[٢]، ورواها الزمخشري[٣]، أما الرازي فقال في كيفية الرمي وجوها "أحدها: قال مقاتل: كان كل طائر يحمل ثلاثة أحجار، واحد في منقاره واثنان في رجليه يقتل كل واحد رجلا، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ما وقع منها حجر على موضع إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره وثانيها: روى عكرمة عن ابن عباس، قال: لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده وثار به الجدري، وهو قول سعيد بن جبير، وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدسة، وأكبرها مثل الحمصة"[٤]، ونقل القرطبي قريبا مما ذكروا[٥].

موقف الإمام الفراهي من هذه القصة:

ذهب الإمام الفراهي إلى: أن العرب لم يتخلوا عن بيت الله، بل نافحوا عنه، وقاتلوا جيش أبرهة بما استطاعوا وبما تيسر لهم، وهو أنهم رموهم بحجارة من سجيل، ولكن رميهم هذا لم يكن ليدفع ذلك الجيش الجرار، فأرسل الله سبحانه عليهم حاصبًا أهلكهم، كما أهلك به الأمم الطاغية الأخرى، وكانت تلك آية عظيمة من آيات الله. وهذا مما انفرد به الإمام تفسيره لسورة الفيل.

فهو يقول: "إن النظر في الروايات في هذا الصدد يبين تصويرًا متبايناً، والأخبار بشكل الطير ولونها، وأن مناقيرها الصفر كانت تختلف على الرواة اختلافًا لا يكون إلا برؤية العين. وأما الأخبار بحملها الحجارة في مناقيرها وأظفارها فقصارى أمره أن يكون إما ممن رأى نزول الحجارة من السماء فظن من بعيد أنها تأتي من الطير، أو ممن ظن أن الضمير في قوله تعالى [ترميهم] يرجع إلى الطير، فروي القصة حسبما فهم من تأويل الآية وليس له معول على علم بالواقعة"[٦].

يقول عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني فيما ذكر الإمام الفراهي في تفسير سورة الفيل: "فقد شبَّه الإمام رمي العرب جيش أبرهة بالحجارة ورمي الله إياهم بالحاصب في الوقت نفسه بما وقع في غزوة بدر إذ أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشًا"، ثم قال:

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٤، ص٦١٤.
(٢) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٥، ص٣٠٦-٣٠٧.
(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص٧٩٧.
(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص٢٩٢.
(٥) الطبري، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص١٩١.
(٦) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٥٠-٤٥١.

"شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها وقال لأصحابه: شدّوا. فلم يبق كافر إلا شغل بعينه كما جاء في سورة الأنفال: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى]... فكان هناك رميان: رمي من النبي -صلى الله عليه وسلم- رأوه ورمي من الله تعالى لم يروه ولكن رأوا أثره ولذلك جاء النفي والإثبات معاً... وكما نسب الله الرمي في بدر إلى نفسه في قوله: [وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى] فهكذا ها هنا نسب إلى نفسه أنه جعلهم كعصف مأكول، فلا شك أنها كانت من الآيات البينات فإن منافحة قريش كانت أضعف من أن يفل هذا الجيش، فكيف يحطمهم حتى صاروا كعصف مأكول؟"(١)

واستدل في ذلك أيضًا بكلام العرب الذين شهدوا الواقعة، وذكروا في شعرهم ما رأوه من "جنود الإله بين ساف وحاصب". وأيد ذلك أيضًا بقول ذي الرمة

وأبرهة اصطادت صدورُ رماحنا * جهارًا وعُثنونُ العجاجةِ أكدَرُ

تنـحَّى له عمروٌ فشكَّ ضلوعَه * بنافذةٍ نجلاءَ والخيلُ تَضْبِرُ(٢)

فقال: "فصرح بأنه طعنه رجل من قومه وبأنه كان في يوم ذي غبار كثير مرتفع إلى السماء، وذلك بأن الله أرسل عليهم ريحًا حاصبًا فحصبتهم(٣)".

وقوله تعالى: [تَرْمِيهِمْ] عند الإمام حكاية حال ماضية، والضمير المستتر في [ترمي] للخطاب راجع إلى الخطاب العام في [ألم تر] أي كنت ترميهم أيها المخاطب، ولكن رميك لم يكن ليغني شيئًا، فالله سبحانه هو الذي جعلهم كعصف مأكول. وأما الطير فأرسلت عنده لأكل الجثث، وأيد ذلك بما ورد في كلام الشعراء وما فهمه من بعض الروايات. ثم ذهب إلى أن رمي الجمرات في الحج تذكار لرمي جيش أبرهة، وخصص لبيان ذلك الفصول الثلاثة الأخيرة(٤).

الأمور التي دعت الإمام الفراهي إلى هذا التفسير:

يقول المعلمي اليماني: إن هناك أمرين مهمين دعوا الإمام إلى أخذ هذا الموقف وهي:

الأول: "أن بيت الله كان أعز شيء عند العرب ولا سيما عند قريش، وكل شرفهم وفخارهم منوط به، والأمم مهما كانت من الذلّ والضعة لا ترضى بإهانة معبدها، بل تضحي بنفسها ونفيسها في الدفاع عنها، فكيف يتخلى العرب عن بيت الله، ويفرِّطون في محاربة العدو القادم لهدمه ويفرُّون إلى

---

(١) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٤٦.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان (المتوفى:٢٥٥هـ)، **الحيوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ج٧، ص١١٨.

(٣) الفراهي، **تفسير نظام القرآن** ، ص٤٤١.

(٤) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٦٥-٤٧٨.

شعف الجبال، وهم الذين يضرب المثل بإقدامهم وبسالتهم وأنفتهم وحمايتهم للجار، وقد نشبت الحروب المتطاولة لأدنى سبب من ذلك.

والثاني: الرواية التي وردت في لقاء عبد المطلب لأبرهة تعظّم أبرهة، وتصفه بالحلم، وتلصق كل مهانة وذل بعبد المطلب سيد قريش. فبدا للإمام أن الرواية مما وضعه أعداء العرب. ثم وجد بعض الشعراء الذين شهدوا الواقعة يذكرون السافي والحاصب، فتأكد عنده أن الله تعالى أرسل عليهم الرياح الذاريات وأمطر عليهم الحجارة كما فعل بقوم لوط وغيرهم. ورأى في كلام العرب أيضًا ذكر الطير التي كانت تصحب الجيوش لتأكل القتلى كما قال النابغة:

"إذا ما غزوا بالجيش حلَّق فوقهم * عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب"[1]

وفهم من قول سعيد بن جبير: "إن الطير كانت خضرًا لها مناقير تختلف عليهم" أنها كانت تأكلهم، فذهب إلى ما ذهب في تفسير السورة"[2].

تعقيب المعلمي على موقف الإمام الفراهي:

عقد الإمام الفصل السادس بعنوان "إجمال القصة حسب ما نص عليه القرآن"، وقال: "إن قصة أصحاب الفيل لها إجمال وتفصيل، أما مجملها فهو الذي نص عليه القرآن، وأما تفصيلها فأخذوها من الروايات المختلفة المتفاوتة في الصحة والضعف، والمفسرون يذكرون تفاصيل القصص من غير بحث عما ثبت وعما لم يثبت، وهذا ربما يعظم ضرره، وربما يصرف عن صحيح التأويل. فلا بد أولاً من الفرق بين المنصوص وبين المأخوذ من الروايات، ثم لا بد ثانيًا من التمييز بين ما ثبت وبين ما لم يثبت"[3].

ثم نظر الإمام في الروايات ثلاث نظرات:

الأولى: فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة ومما جرى بينه وبين أهل مكة.

والثانية: فيما كان من رمي أصحاب الفيل.

والثالثة: في أمر الطير.

---

(١) النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوعبن مرّة بن عوف بن سعد الذبياني الغفطاني (المتوفى:٦٠٥م)، **ديوان النابغة**، ج١، ص١.

(٢) المُعَلّمِيّ، عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّميّ اليَماني، **آثار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني**، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (رحمه الله تعالى)، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ، ص١٤-١٦.

(٣) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٣٧.

وافتتح النظرة الأولى بقوله: "كل ما ذكروا من سبب مجيء أبرهة لغضبه على العرب ومن فرار أهل مكة ومما جرى بين أبرهة وعبد المطلب لم يثبت من جهة السند، فإن كل ذلك لا يجاوز ابن إسحاق، ومعلوم عند جهابذة أهل الحديث أنه يأخذ الروايات من اليهود وممن لا يوثق به. ثم يبطل هذه الأمور روايات أخر، ويبطله ما ثبت عندنا من عادات العرب. ومما يدل على كونها من أكاذيب الأعداء أنها ما تعمدت إلا غضاضة من العرب وحميتهم، وإهانة لرئيسهم عبد المطلب القرشي، وتنويهًا بحسن خلق أبرهة الحبشي ومسبة على من هيجه على هدم الكعبة، وبسطًا لعذره إذا انتصر لكنيسته. فلم يترك الكذابون شيئًا من الذلة والمنقصة والعار والشنار إلا نسبوها إلى العرب وقريش ورئيسها، فلا نكتفي ها هنا بإرسال القول فيها بل نذكر لك الوجوه التي تدل على كذب هذه الروايات"[١].

ثم ذكر سبعة وجوه تدل عنده على كذب الرواية، والسادس منها أنهم زعموا أن أبرهة كان رجلاً حليمًا، وإنما هيجه أحد بني فقيم إذ دخل كنيسته ونجّسها. وعلّق المعلّم رحمه الله على ذلك بأنه يبطل "هذه الرواية سائر أحوال أبرهة وتعصبه في دينه"[٢].

من هنا بدأ الشيخ المعلمي رسالته بنقد هذا الوجه السادس، فقال: إن ابن إسحاق لم ينفرد بقصة تقذير الكنيسة، وأنه ليس فيها ما يُعدّ غضاضة من العرب أو عذرًا لأبرهة، غير أن القضية لم تثبت من جهة الرواية[٣].

وقد استدل الإمام الفراهي في الوجه الثاني بما ورد في القصة أن أبرهة أكرم عبد المطلب غاية الإكرام، لكن لما كلمه عبد المطلب في إبله قال له أبرهة: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، فلا تكلمني فيه! وعلق المعلّم عليه قائلاً: "فهل يمكن أن يترك عبد المطلب التكلم في أمر البيت بعد ما رأى وسمع من أبرهة ما يستيقن به أنه لو سأله الانصراف عن هدم البيت لفعل، ثم إنه لم يترفع عن المجيء إليه والسؤال لإبله"[٤].

فقال المعلمي على هذا الوجه في الفصل الثاني: "ليس في القصة ما يحصل به الاستيقان بل ولا الظن..."، وذكر احتمالات أخرى تكون سببًا لما جرى بينهما، وأخيرًا لم يستبعد أن في القصة مبالغة في تصوير احترام أبرهة لعبد المطلب. والوجوه الأخرى التي تدل عند المعلّم رحمه الله على كذب الرواية، ومنها ما استدل به على وقوع القتال بين العرب وأبرهة. قد تكلم عليها المعلمي رحمه الله فيها

---

(١) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص٤٤٢.
(٣) المُعَلّمِيّ اليَماني، **آثار الشّيخ العلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني**، ص٢١.
(٤) المُعَلّمِيّ اليَماني، **آثار الشّيخ العلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني**، ص٤٤٠

وردّها، وكشف عن وهم الإمام الفراهي في بعضها. ثم ذكر هو عدة أدلة على أن أهل مكة لم يقاتلوا أبرهة، ومنها: "أن كل من له إلمام بأخبار العرب يعرف شدة حرصهم على رواية أخبار أيامهم وحفظها وتردادها في الأسمار وتقييدها بالأشعار... وبين أيدينا أخبارهم في حرب البسوس[١] وحرب داحس والغبراء[٢] وغير ذلك نجدها مروية بالتفصيل بأسماء فرسانهم وخيلهم وقاتلهم ومقتولهم، وكيف كان القتال، وكم استمر، إلى غير ذلك من الجزئيات... فكيف يعقل مع هذا أن يكونوا قاتلوا أبرهة، وقتلوه في المعركة، ثم لا يوجد لذلك في أخبارهم وأشعارهم أثر؟... "[٣].

وقد ذهب الإمام الفراهي إلى أن الطير أرسله الله تعالى لتطهير ناحية مكة من جيف القتلى، وقال: إن النظر في الروايات يكشف عن فريقين متباينين في تصوير هذه القصة، ثم ذكر مواضع الاختلاف، ورجح ما نسبه إلى الفريق الأول، وأيَّده مستدلاً بكلام العرب على أن الرمي كان من السماء والريح. واستعرض المعلمي رحمه الله الروايات المذكورة، وأثبت أن الرواة ليسوا فريقين مختلفين، وإنما وقع الاختلاف في بعض الأمور الجزئية، ورمي الطير قد أشار إليه الفريقان معًا، بل لم ينفه أحد قبل المعلّم رحمه الله. ثم أورد من مخطوطة كتاب "المنمق" لابن حبيب شعرًا فيه تصريح برمي الطير كقول نفيل بن حبيب الذي شهد الواقعة:

حتى رأينا شعاع الشمس يستره	طيرٌ كرَجْلِ جرادٍ طائر منتشر
يرميننا مقبلاتٍ ثم مدبرةً	بحاصب من سواء الأفق كالمطر

وكان الإمام الفراهي قد استدل بما جاء في رواية سعيد بن جبير أنها "طير خضر لها مناقير صفر تختلف عليهم" بأنها أكلت جثث الموتى، فردّ عليه المعلمي رحمه الله بأن الجملة (تختلف عليهم) صفة للطير، وليست صفة للمناقير، والمقصود باختلافها مجيئها وذهابها.

---

(١) حرب البسوس هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل الجساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة التغلبي ثارا لخالته البسوس بنت منقذ التميمية بعد أن قتل كليب ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرمي، ويذكر المكثرون من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاما من سنة ٤٩٤م، ويذكر المقللون أنها استمرت بضعة وعشرين سنة. انظر: محمد جاد المولى وصاحباه، **أيام العرب في الجاهلية**، ص١٤٢.

(٢) داحس والغبراء:هي حرب من حروب الجاهليةوقعت في منطقة نجد بين فرعين من قبيلة غطفان هما :عبس وذبيان وتعد هي من أطول الحروبالتي عاشها وخاضها العربفي الجاهلية، و داحس والغبراء هما اسما فرسين وقد كان " داحس" حصانا لقيس بن زهير العبسي الغطفاني، و" الغبراء" فرسا لحذيفة بن بدر الذبياني الغطفاني. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ج٣، ١٥٥.

(٣) آثار الشيّخ العلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّميّ اليَماني، ص٢٢.

فقال المعلمي لبيان ما يكون -فيما يظهر له- باعثًا للمعلّم رحمه الله على إنكار رمي الطير. وذكر ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يتهيأ له دعوى أن قوله تعالى: {تَرْمِيهِمْ} للخطاب، فيستدل بذلك على أن أهل مكة قاتلوا.

الأمر الثاني: ما ذكره الإمام بقوله: "من ينظر في مجاري الخوارق يجد أن الله تعالى لا يترك جانب التحجب في الإتيان بها، كما هي سنته في سائر ما يخلق، لأن حكمته جعلت لنا برزخًا بين عالمي الغيب والشهادة، وسنَّ لنا التشبث بالأسباب مع التوجه إلى ربها، ليبقى مجال للامتحان والتربية لأخلاقنا"[١].

وعلق المعلمي على ذلك بقوله: "تحقيق هذا البحث يستدعي النظر في حكمة الخلق، وقد أشار إليها الكتاب والسنة، وتكلم فيها أهل العلم، وأوضحتُ ذلك في بعض رسائلي..... وأن الخوارق كلها لا يكون فيها حجاب، بل منها ما يكون مكشوفًا لحكمة تقتضي ذلك، ومن ذلك الآيات القاضية التي تقترحها الأمم المعاندة على أن يعاجلها العذاب إن لم تؤمن. ومن ذلك الآيات التي يقع بها العذاب، فإنها ليست لإقامة حجة فيناسبها الحجاب. ودلل على أن الرمي في واقعة الفيل لم يكن لإقامة حجة، وإنما كان آية عذاب. ومثل ذلك لا يستدعي الحجاب، بل كان هناك مانعان من الحجاب والتسبب والمباشرة."[٢].

الأمر الثالث: الذي يرى المعلمي أنه قد يكون باعثًا على إنكار رمي الطير "أن بعض فلاسفة الإفرنج وكُتَّابهم وأذنابهم من الملحدين ينكرون الخوارق، ويسخرون منها، ويعدّون ذكرها في القرآن برهانًا على اشتماله على الكذب. وعلماء المسلمين شديدو الغيرة على القرآن، والحرص على تبرئته عن المطاعن، فقد يحمل بعضهم ذلك على أن يتأول بعض النصوص القرآنية، ويحمله على معنى لا ينكره القوم". ثم قال: "لست أقول: إن المعلّم رحمه الله تعالى ممن يمكن أن يختار تأويلًا يعلم ضعفه، ولكن قد لا يبعد أن تكون شدة غيرته على القرآن، وحرصه على دفع الطعن عنه، مما قرّب ذاك التأويل إلى فهمه"[٣].

المطلب الثالث: سورة المسد.

أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء، فَصعد إلى الجبل فنادى: "يا صباحاه " فَاجتمعت إليه قريش، فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟" قَالُوا: نعم، قَال: "فَإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فَقَال أبو لهب: ألهذا

---

(١) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٤٤٥.

(٢) المُعَلِّمِيّ اليَماني، **آثار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني**، ص٢٣.

(٣) المُعَلِّمِيّ اليَماني، **آثار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني**، ص٢٤.

جمعتنا تبا لك، فأنزل اللّه عز وجل: [تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ][١] " إلى آخرها[٢]. هذا الحديث صريح في الدعاء على أبي لهب ولكن الإمام الفراهي يصرفه إلى بشارة فتح مكة، فلننظر إلى آراء المفسرين أولا ثم نذكر ما قال الإمام في هذا الصدد.

ذهب الطبري إلى أن هذه السورة نزلت في أبي لهب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما خص بالدعوة عشيرته، إذ نزل عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[٣] وجمعهم للدعاء، قال له أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا؟ ثم نقل الطبري حديث ابن عباس الذي ذكر آنفًا[٤]، وفعل البغوي الشيء نفسه،[٥] وكذا الزمخشري وزاد ببيان بعض المعاني، فقال: "التباب: الهلاك. ومنه قولهم: أشابة أم تابة، أى: هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى: هلكت يداه، لأنه فيما يروى: أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وَتَبَّ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته، كقوله تعالى بما قَدَّمَتْ يَداكَ، ومعنى وَتَبَّ: وكان ذلك وحصل، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وقد تب: "روي أنه لما نزل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) رقى الصفا وقال: يا صباحاه، فاستجمع إليه الناس من كل أوب. فقال: يا بنى عبد المطلب، يا بنى فهر، إن أخبرتكم أنّ بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقىّ؟ قالوا: نعم، قال: فإنى نذير لكم بين يدي الساعة، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت[٦]، وذكر الرازي قريبا من هذا[٧]، وكذا القرطبي[٨].

موقف الإمام الفراهي منها:

موقف الإمام الفراهي من هذه السورة هو أنها بشرى لفتح مكة، وليس دعاء على أبي لهب، وقد قرر هذا الرأي على الأصول التي أقامها في نظم القرآن. فيقول: "قد ذكرنا في سورة النصر أن الله تعالى كما ختم هذه البعثة بفتح مكة، فكذلك ختم كتاب هذه النبوة بذكر هذا الفتح العظيم. وذلك إنباء بان الحق بلغ مركزه، لأن فتح مكة مركز هذه البعثة، لكون الكعبة مركزًا للتوحيد والإسلام... فلم يبق إلا

---

(١) سورة المسد:١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢] المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٦، ص١٨٠، رقم:٤٩٧٢.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٤) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٤، ص٦٧٥.

(٥) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٥، ص٣٢٧

(٦) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص٨١٣.

(٧) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص ٣٤٩.

(٨) الطبري، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٢٣٤.

الاستقامة عليه والاعتصام به، فجاءت السور الثلاثة الأخيرة للتنبيه على أن غاية هذه البعثة هو التوحيد. فسورة "الإخلاص" جامعة لمعرفة التوحيد والمعوذتان لأجل الاستقامة...... فلا يخفى أن هذه السور كلها مربوطة. فوضع سورة اللهب بين هؤلاء لابد له من سبب، لكيلا يكون قاطعًا لربط بعضها ببعض. فاعلم أن سورة اللهب تؤكد وتوضح معنى النصر المذكور قبلها وتبشر به، فكأنه قيل: "قد نصر الله نبيه وأهلك عدوه"[١].

ثم يقول: "والدليل على تأويلنا....أن مفهوم تبت يداه: إنه صار عاجزًا عن الانتصار، لأن كسر اليد كناية واضحة عن كسر القوة والعجز". واستشهد من بيت الفند الزماني حيث قال:

وتركنا ديار تغلب قفرا   وكسرنا من الغواة الجناحا

فتبين من ذلك أن المكسور اليد هو العاجز الذي لا يستطيع أن يأخذ سيفه. فهذه الآية ليست بدعاء عليه ولا في شيء من الشتم، بل ذكره بالكناية أقرب إلى الإكرام"[٢].

بعد هذا التأويل يقول: "فبعد ما اتضح لنا التاويل لا نرى سبيلاً إلى اختيار قول من قال: إن هذه السورة نزلت شفاء لغيظ النبي، تشتم أبا لهب وامرأته لما أنه شتم النبي حيث قال له: "تبًا لك ألهذا دعوتنا"[٣].

---

(١) الفراهي، **تفسير نظام القرآن**، ص٥٧٥-٥٧٦.
(٢) المرجع السابق، ص٥٧٦-٥٧٧.
(٣) المرجع السابق، ص٥٨٤.

الفصل الثالث
جهود الفراهي وآراؤه في علوم القرآن والموازنة بين كتبه وكتب بعض المؤلفين السابقين فيها.

المبحث الأول: "مفردات القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي.

المبحث الثاني: "أقسام القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين ما ورد في "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي.

المبحث الثالث: "الناسخ والمنسوخ في القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي بن أبي طالب.

المبحث الرابع: "أساليب القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين ما ورد في "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

المبحث الخامس: "البلاغة عند الفراهي".

توطئة:

ستتم في هذا الفصل دراسة بعض علوم القرآن التي اعتنى بها الفراهي، وحتى تتم الفائدة المرجوة في بيان فضله وإسهامه في هذه العلوم، كانت المقارنة مع بعض الذين كتبوا فيها من مشاهير العلماء، وربما اشتملت المقارنة على أكثر من دراسة متخصصة في الشأن ذاته.

المبحث الأول: "مفردات القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي.

المطلب الأول: تعريف "مفردات القرآن" للفراهي.

لم يتأخر التصنيف في غريب القرآن عن النصف الأول من القرن الثاني الذي يعزى إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ويرجح أن يكون العلماء قد دونوا فيه رواياته في تفسير القرآن بعد وفاته. وأول كتاب ألف بعد ذلك في غريب القرآن، هو كتاب أبي سعيد، أبان بن تغلب بن رباح البكري [١]، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ومن ثم فنحن لا نعرف شيئاً عن منهجه. أما الكتاب الذي وصل إلينا من القرن الثالث فهو "غريب القرآن" لابن قتيبة[٢]، وهو يفسر ألفاظ القرآن في سورها، كذلك وصل إلينا من القرن الرابع كتاب "نزهة القلوب" لمحمد بن غزيز السجستاني[٣]، وفيه شرح الألفاظ الغريبة، وهومرتّب على الحروف الأبجدية.

---

(١) هو أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريريّ بالولاء، أبو سعيد: قارئ لغويّ، من غلاة الشيعة. من أهل الكوفة. كان جده رباح مولى لجرير بن عباد البكري (من بكر بن وائل) فنسب إليه و توفي سنة ١٤١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥،٢٠٠٢م، ج١، ص٢٦.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي صاحب كتاب " المعارف " و " أدب الكاتب "؛ كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وله تصانيف مفيدة، منها " غريب القرآن الكريم " و " غريب الحديث " و " عيون الأخبار " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " و " طبقات الشعراء " و " الأشربة " و " إصلاح الغلط " و " كتاب التقفية " و " كتاب الخيل " و " كتاب إعراب القراءات ". وكانت ولادته سنة ٢١٣هـ، وتوفي في ذي القعدة سنة ٢٦٧هـ. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١، ١٩٩٤، ج٣، ص٤٢-٤٤.

(٣) هو محمد بن عُزيز السجستاني، أبو بكر العُزيزي: مفسر، اشتهر بكتابه "غريب القرآن" على حروف المعجم، صنفه في ١٥ سنة. وكان مقيماً ببغداد. وقيل: اسم أبيه "عزير" بالراء. وتوفي سنة ٣٣٠ هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٢٨٦.

وهناك دراسات أخرى اتجهت إلى معاني القرآن، وممن ألف في هذا الموضوع أبو عبيدة(١)، والمبرد(٢)، وابن الأنباري(٣) وغيرهم ممن ذكرهم ابن النديم (٤)، وكذلك ألف الأصمعي(٥)، وأبو زيد(٦)، كتباً تحت عنوان "لغات القرآن".

ثم توالت التصانيف في الغريب على مر القرون فأغزرت حتى قال السيوطي "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون"(٧) نذكر منهم:

١) محمد بن عزيز السجستاني(٨) سماه "نزهة القلوب".

٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(٩)، سماه "المفردات في غريب القرآن".

---

(١) معمر بن المثنّى التيمي البصري. النحوي اللغوي، مولى بني تيم، تيم قريش. وُلد في البصرة سنة ١١٠هـ، وهو أول من صنّف في غريب الحديث. كان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية. وله نحو مائتين من المصنفات منها: مجاز القرآن؛ إعراب القرآن؛ الأمثال؛ في غريب الحديث؛ ما تلحن فيه العامة؛ نقائض جرير والفرزدق؛ أيام العرب؛ الخيل، وغيرها. وتوفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٢٧٢.

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة سنة ٢١٠هـ، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٤٤.

(٣) هو محمد بن عمر بن يعقوب، أبو الحسن ابن الأنباري: شاعر مقلّ، من الكتاب. كان أحد العدول ببغداد، وكان صوفياً واعظاً. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير (ابن بقية) التي أولها: "علو في الحياة وفي الممات"، قال صلاح الدين الصفدي: لم يسمع في مصلوب أحسن منها وتوفي بعد سنة ٣٩٠هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٣١٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم: صاحب كتاب (الفهرست – ط) من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. وهو بغدادي، يظن أنه كان وراقا يبيع الكتب. وكانت وفاته سنة ٤٣٨هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٢٩.

(٥) هو محمد عبد الجواد بن أحمد بن إبراهيم، الأصمعي: أديب باحث مصري. من أهل القاهرة: اشتهر بكتابه "العرب وأطوارهم". ولد سنة ١٣١٢هـ وكانت وفاته بعد سنة ١٣٨٧. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١٨٦.

(٦) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. كان يرى رأي القدرية. وهو من ثقات اللغويين. من تصانيفه كتاب "النوادر" في اللغة، و "لغات القرآن". ولد سنة ١١٩هـ وتوفي سنة ٢١٥هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٩٢.

(٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٩٧٤م، ج١، ص١١٣.

(٨) سبقت ترجمته.

(٩) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل "أصبهان"، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. وكانت وفاته ٥٠٢هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٢٥٥.

٣) أبو الفرج ابن الجوزي[١]، سماه "الأريب بما في القرآن من الغريب".

ومما يجدر التنبيه إليه أن بعض هذه التصانيف في غريب القرآن لم تذكر في عناوينها كلمة "الغريب" صريحة. فالفراء[٢] أطلق على كتابه "معاني القرآن"، وأبو عبيده[٣] يسميه "مجاز القرآن" وهكذا، فالمعنى القائم بعرف هؤلاء هو الغريب وتحمل كل هذه العناوين بين طياتها شرحاً للكلمة الغريبة في القرآن والاستدلال عليها وتوضيح معانيها.

وعلى كل فقد جاءت هذه المصنفات على اتجاهين:

الأول على ترتيب السور في القرآن الكريم، كتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن، عبدالله بن يحيى بن المبارك اليزيدي.

والثاني على ترتيب حروف المعجم، كالتبيان في غريب القرآن، المسمى: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم لأبي بكر محمد السجستاني، المفسر اللغوي، وكتاب الغريبين، غريبي القرآن والحديث" لأبي عبيد الهروي.

فمن أراد معرفة معنى الكلمة القرآنية وهو يعرف موضعها منه قدمها له الفريق الأول ميسرة، ومن أراد معرفة الكلمة متتبعاً اشتقاقاتها ودورانها في كتاب يجد مبتغاه في المجموعة الثانية، ومهما تباينت الأساليب فإن كلاً منهم قد أسدى لقراء كتاب الله خدمة وبسط لطلابه طريق الاطلاع والمعرفة[٤].

<u>(أ) "مفردات القرآن" للفراهي:</u>

إن كتاب "مفردات القرآن" من الكتب الخمسة الرئيسية التي ألفها العلامة الفراهي تمهيداً للسبل إلى معرفة أسرار القرآن ولتكون خير مرشد للقارئ إلى بواطن الحكم القرآنية الدقيقة الغامضة التي لا

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ببغداد سنة ٥٠٨هـ، ووفاته فيها سنة ٥٩٧هـ، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاثمائة مصنف،. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣١٦.

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد سنة ١٤٤هـ، وتوفي ٢٠٧هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص١٤٥.

(٣) هو معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر، أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني: حافظ واعظ. كان معظماً في أصبهان. قال الذهبي: صنف كثيراً في الحديث والتواريخ والمعاجم. ولد سنة ٤٩٤هـ وتوفي ٥٦٤هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٢٧٢.

(٤) انظر للتفصيل: عوض بن حمد القوزي، **معاجم غريب القرآن: مناهجها – أنواعها**، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد (٧٨) الجزء (٤).

يتكشف عنها إلا اللبيب الحاذق البصير، ولعلك على علم أن الألفاظ للمعاني بمثابة اللباس من الجسد والقشر من اللب، فلولا القشر لما صان اللب، ولولاه لما حلا التمر، فمعرفة الألفاظ المفردة هي البداية لمعرفة المعاني المستمدة من مجموعها، والاطلاع على الحكم والأسرار التي حصلت من بطونها، وكتاب الفراهي هذا من خير الكتب وأعزها لديه وأكرمها عنده.

صرح المؤلف -رحمه الله- أن هناك روابط تجمع مؤلفاته القرآنية في اتجاه خاص وهدف محدد، وذكر نفسه سبب تأليفه وموضوعه فيقول في مقدمة كتابه: "أما بعد! فهذا كتاب في مفردات القرآن جعلته مما نحول إليه في كتاب (نظام القرآن) لكيلا نحتاج إلى تكرار بحث المفردات إلا في مواضع يسيرة يكون فيها الصحيح غير المشهور، فنذكر بقدرما تطمئن به القلوب السليمة، ولا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بيانًا وإيضاحاً، إما لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه، فإن الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيبعد عن التأويل الصحيح أو في بعض وجوهه، فيغلق باب معرفة النظم. وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به، ومع ذلك تجد هذا الكتاب -إن شاء الله تعالى- محتوياً على جل ما يقتضي الشرح من ألفاظ القرآن"(١).

ثم أشار المؤلف إلى هدف الكتاب والفكرة الأساسية المسيطرة عليه عند تأليفه، كما أشار أيضاً إلى أهمية فهم الألفاظ المفردة في تدبر كتاب الله عز وجل فقال: "لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام...، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة.....، وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها...، وهكذا ترى الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهباً باطلاً، وأضل به قوماً عظيماً، وجعل الملة الواحدة بدداً.....، فإن معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الاطلاع على معاني كلماتها المفردة"(٢).

لا ريب أن المعرفة بمعاني الكلمات المفردة تلعب دوراً رئيسياً في فهم مقصود الآيات القرآنية، وبدون العلم بمعاني الألفاظ لا يقدر الإنسان على التدبر في القرآن والتوصل إلى كنه الحكم اللطيفة المختفية في طي النظام القرآني، وربما يتغافل عنها الكثير، ولا يعتنون بأهميتها حق الاعتناء.

ثم أكّد المؤلف على أهميته وجلالة قدره لذكر هذه الحقيقة مرتين فقال: "والخلاص من ذلك بأمرين:

الأول: معرفة معنى الكلمة ووجوهه وأحواله.

والثاني: الاعتصام بنظم الكلام...

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٣.

(٢) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٤-٥.

فوضعت هذا الكتاب للأمر الأول، وفيه عون على الأمر الثاني، فإن من عرف معنى الكلمة وأحاط بوجوهه، وما يتعلق به من الأحوال؛ مكنه أن يطلع على ما هو أكمل رباطاً وأحسن تأويلاً"(١).

يحتل هذا الكتاب مكانة مرموقة بين كتب الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، ويسد فراغاً كبيرا في المكتبات الإسلامية، وذلك لأنه كان أهم العناصر التكوينية لطريقة الفراهي في فهم القرآن، وأعظم الكتب التي تمثل مدرسته منهجاً وغايةً، أسلوباً وطريقة، لكن المنية عاجلت الشيخ وحالت دون أن يكمله، أو يحقق بغيته، فلم يجد الكتاب من التنقيح والكمال مثل ما نالته كتبه الأخرى، ولا من الاهتمام بالطبع مثلما حظيت به دراساته القرآنية الأخرى، فلم نعثر على المراحل التي مر بها المؤلف في تأليفه، والمشاكل التي واجهها وعالجها في الكتاب، كما لم نعثر على ذكر زمن التأليف، ولم يشر المؤلف ولا القائمون على طبعه إلى ذكر ذلك، واكتفى الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي عند ذكره في مجلة "الإصلاح" بقوله: "نقوم بعد ذلك بطبع (أصول التأويل ومفردات القرآن)، والكتاب الثاني يشتمل على شرح معاني الألفاظ القرآنية، وطريقة المؤلف تختلف في ذلك عن طريقة المتقدمين وتحقيقاتهم، وتحمل مسئولية ترتيب الكتاب وتهذيبه الأستاذ أختر أحسن، وهو الآن مشتغل بعمله ذلك، ونرجو أن يقوم بذلك في أقرب وقت، ثم يقوم العلامة السيد سليمان الندوي(٢) بعملية التصحيح والتنقيح، ولما كان المؤلف –رحمه الله– يرى هذه الكتب الثلاثة: مفردات القرآن، أساليب القرآن، وأصول التأويل حلقة واحدة من سلسلة الكتب في علوم القرآن، فنرى من الأجدر أن تظهر إلى النور في وقت واحد"(٣).

وطُبع الكتاب سنة ١٩٤٠م باعتناء الأستاذ عبد الأحد الإصلاحي في مكتبة الإصلاح بسرائ مير بأعظم جراه.

وقد ظهرت في الكتاب براعة المؤلف اللغوية الأدبية، وعلمه العميق، وقدرته الفائقة على الشرح والتحليل والتطبيق، وشجاعته النقدية في هدوء وأدب واحترام للمتقدمين، ويساعده في معالجة القضايا اللغوية الدقيقة العويصة إلمامه الكامل باللغة والأدب، واطلاعه الواسع على أساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبديع وتذوقه للكلام العربي والشعر الجاهلي، ووقوفه على تعبيرات الصحف السماوية والأحاديث والآثار، وتضلُّعه من اللغات الأجنبية من الإنجليزية والفارسية والعبرانية.

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٨.
(٢) سبقت ترجمته في المبحث الثاني من الفصل الأول.
(٣) مجلة "الاصلاح" **(الصادرة عن مدرسة الإصلاح، عدد يناير)**، عام ١٩٣٦ تا ١٩٣٩، ١٩٣٩م، ص٣٢٦

أما منهج المؤلف في تأليف هذا الكتاب فهو كذلك يمتاز بالرصانة، والجمع بين الإتقان والضبط والتدبر العميق، وشرح الدلالات الاستدلالية، وبين إظهار مكنونات الضمير بشجاعة نقدية دون خجل واكتراث بوجاهة أحد وجلالة قدره، كذلك يمتاز هذا الكتاب بما ظهر فيه ذكاء المؤلّف الحاد، وقوة تحليله، وبسط الشرح، واطلاعه العجيب النادر على المصادر الأدبية القديمة.

ونقدم فيما يلي نموذجاً من تحقيقه العلمي الرصين على سبيل المثال لا الحصر؛ ليتضح به المنهج وطريقة معالجته للقضايا، يقول المؤلف وهو يشرح معنى "الآلاء" الواردة في القرآن، وهي أول كلمة بدأ بها المؤلف كتابه، يقول:"(الآلاء): أجمعوا على أن معناه النعم ولكن القرآن وأشعار العرب يأباه، والظاهرُ أنَّ معناه: الفعال العجيبة فارسيته كَرِشْمَه.

لما كان غالب فعاله تعالى الرحمة؛ ظنوا أن (الآلاء) هي النعم، والرواية عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما- حملتهم على هذا، ولكن السلف إذ سئلوا أجابوا حسب السؤال والمراد المخصوص من موضع المسئول عنه"[(١)].

ثم أكد الفراهي على رأيه ذلك بذكر الأدلة اللغوية والشواهد الشعرية كما كانت عادته في جميع كتبه، وتحدث الفراهي عن معنى كلمة الآلاء في صفحتين تقريباً، وتوسع في ذكر الأدلة العلمية، واستعمال الكلمة في كلام العرب توسعاً مما لا يدع مجالاً للخروج على رأيه، ويدعو القارئ إلى التوقف عند رأيه والاعتراف بتحقيقه.

قبل أن يشرع المؤلف في شرح الكلمات المفردة فقد ذكر في خمس مقدمات بعض الأصول العامة والمعارف الكلية التي تزيد القارئ بصيرةً، فأكد في المقدمة الأولى مقصد الكتاب وحاجة الناس، وأشار إلى أهميته بتقديم الأدلة، ثم توجه في المقدمة إلى ذكر بعض الثوابت والكليات التي تتعلق بعلم اللسان، فأرشد هناك إلى بعض الأمور والضوابط الحسنة التي يكون القارئ عند مراعاتها بمنجاة من الزلل والزيغ في تحديد المعاني المستنبطة من الألفاظ.

وأما في المقدمة الثانية فأكد فيها على أن القرآن نزل باللغة العربية الفصيحة، وكما بذل جهده فيها لإزالة ما يطرأ على الأذهان في تصنيف كتب غريب القرآن فأوضح السبب، وبين الغاية.

وأما المقدمتان الثالثة والرابعة فإنهما تشتملان على تعريف ألفاظ القرآن، والعام والخاص، والمجاز والحقيقة وحكمة الحروف المقطعات وغير ذلك.

ويبدو من ترتيب الكتاب وبيان محققه أن المؤلف يريد أن يأتي هناك ببعض المعارف الضرورية في فهم القرآن إلا أنه اشتغل عنه لوجوه مجهولة، يقول المحقق: "ولكنه اقتصر على هذا

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١١.

القدر في هذا الفصل، وترك البياض، وأتى ببعض التفصيل في مقدمته على التفسير فمن شاء التفصيل فليراجعها"[١].

وأرى من المستحسن أن أذكر هنا باختصار بعضَ أهمِّ المزايا التي تفرد بها هذا الكتاب القيم النفيس، وهي كما يلي:

١) مقدماته التي تناول فيها مسائل مهمة تتعلق بلغة القرآن.

٢) منهجه في تفسير الألفاظ.

٣) تقديمه لبعض تفسيرات جديدة لبعض الألفاظ.

٤) كشفه عن أصول جديدة ترجع إليها مشتقات المواد اللغوية.

٥) تأصيله لبعض الكلمات التي زعم الطاعنون أن القرآن أخذها عن اليهود والنصارى.

طُبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور أيوب الإصلاحي في دار الغرب الإسلامي ببيروت.

المطلب الثاني: "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي.

أولاً: نبذة عن ترجمة المؤلِّف:

هو أحمد بن يوسف من عبد الدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين المقري النحوي، أجمع المؤرخون على أن وفاته -رحمه الله- كانت سنة ٧٥٦هـ. ولكنهم لم يذكروا تاريخ ولادته، كما لم نجد تفاصيل حياته، سوى مقتطفات يسيرة مبعثرة في كتب التراجم والسير ومن خلال تتبع آثاره يتضح لنا أنه قرأ على: أحمد بن محمد أبو العباس المرادي القرطبي المعروف بالعشاب[٢]، والشيخ أبي حيان الأندلسي[٣]، والشيخ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم[١]، والشيخ يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الكناني المعروف بالدبوسي[٢]، والشيخ تقي الدين أبي عبد الله الصائغ المصري الشافعي[٣].

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد أبو العباس المرادي القرطبي المعروف بالعشاب إمام كامل مقرئ ثقة نزل بالثغر، وروى القراءات من التيسير عن عبد الله بن يوسف بن عبد الأعلى الشبارتي صاحب الحصار، روى عنه التيسير شيخنا عبد الوهاب القروي وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي زكنون، توفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة. انظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٣٥١هـ، ج١، ص١٠٠.

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة. ولد في العشر الأخير من شوال سنة ٦٥٤هـ أربع وخمسين وستمائة بغرناطة. وتوفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالقاهرة ودفن بتربته بالبرقية. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٥٢.

وقد أثنى عليه الأسنوي[٤]، فقال: "كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات، ويتكلم في الأصول خيراً ديناً"، وقال ابن تغرى بردي[٥] في كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة": "كان إمامًا عالمًا أفتى ودرس وأقرأ عدة سنين"[٦].

يتضح لنا باستعراض ما تفرق من تراجمه أنه عاش في العقود الأخيرة من القرن السادس وبدأ حياته العلمية مع مطلع القرن الثامن، وله آثار علمية حسنة قد تعرض معظمها للضياع بسبب الكوارث الطبيعية التي داهمت العالم الإسلامي حينذاك، ولعل من الأسباب التي ساهمت في ضياع مؤلفاته عدم وجود وريث له، ومن أهم مؤلفاته: تفسير القرآن، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، وأحكام القرآن، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.

ثانياً: تعريف موجز بالكتاب:

يتحدث هذا الكتاب عن معاني كلمات القرآن الكريم، فيذكر معاني الألفاظ وشرحاً للآية الكريمة التي وردت فيها تلك اللفظة، إلا أنه لا يقتصر على معاني الكلمات الواردة في القرآن فحسب، بل يتطرق لآراء من سبقوه، ومن عاصروه، فيفند أخطاءهم، ويثني على صوابهم موضحاً مواضع الإصابة والخطأ، منتصراً للمحق على المخطئ، مبيناً وجه الحقيقة ومواقع الخطأ.

---

(١) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات. وكانت ولادته سنة ٦٤٠هـ ووفاته ٧٣٢هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج١، ص٥٥.

(٢) هو يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الكناني العسقلاني ثم المصري، فتح الدين الدبابيسي ويقال أيضا الدَّبوسي: عالم بالحديث، مسند معمر، توفي بالقاهرة. له " معجم" الجزء الأول منه بخط ابن حجر العسقلاني، في معهد المخطوطات. ولد سنة ٦٣٥هـ وتوفي سنة ٧٢٩هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص٢٦٠.

(٣) الشيخ الصالح الكبير المعمر الرجل الصالح، تقي الدين ابن الصائغ المقرئ المصري الشافعي، آخر من بقي من مشايخ القراء، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي، توفي في صفر سنة ٧٢٥هـ، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة، وقد قرأ عليه غير واحد، وهو ممن طال عمره وحسن عمله. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ج١٤، ص١١٩.

(٤) هو محمد بن الحسن بن علي بن عمر الإسنوي (أو الإسنائي) عماد الدين: فاضل، من الشافعية. ولد بإسنا سنة ٦٩٥هـ. وتفقه بها وبالقاهرة والشام. واستوطن حماة مدة، وعاد إلى مصر، فناب بالحكم في القاهرة ومنوف، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٦٤هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٦، ص٨٧.

(٥) هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥ هـ ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفى سنة ٨٢٤) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتأريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٨، ص٢٢٢.

(٦) انظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المشتهر بالسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٦م، ص٥-١٦.

منهجه في هذا الكتاب:

ومما صرح به المؤلف في مقدمة الكتاب بيان منهجه وغايته والفكرة المسيطرة عليه عند تأليفه، يقول: "أذكر المادة -كما ستعرف ترتيبه- مفسراً معناها، وإن عثرت على شاهد من نظم أو نثر أتيت به تكميلاً للفائدة، وإن كان في تصريفها بعض غموض أوضحته بعبارة سهلة -إن شاء الله- وإن ذكر أهل التفسير اللفظة، وفسروها بغير موضوعها اللغوي كما قدمته تعرضت إليه، لأنه والحالة هذه، محط الفائدة، ورتبت هذا الموضوع على حروف المعجم بترتيبها الموجودة هي عليه الآن، فأذكر الحرف الذي هو أول الكلمة مع ما بعده من حروف المعجم إلى أن ينتهي ذلك الحرف مع ما بعده، وهلم جرا إلى أن تنتهي -إن شاء الله- حروف المعجم جميعها، وما اعتمدت إلا على أصول الكلمة دون زوائدها، فلو صدرت بحرف زائد لم اعتبره، بل أعتبر ما بعده من الأصول"(١).

يظهر من كلام المؤلف -رحمه الله- أنه كان يشعر بحاجة شديدة، رغم وجود تصانيف حسنة في الموضوع، إلى تأليف كتاب فريد جامع شامل ليكون فيه كفاية للدارسين والباحثين عن الدراسات القرآنية، ولعل ذلك هو الدافع القوي الذي حفز المؤلف إلى حمل هذا العبء العلمي، يقول المؤلف: "قد وضع أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في ذلك تصانيف حسنة، وتآليف محررة متقنة كغريب الإمام الحبر الرباني أبي عبيد الله بن محمد الهروي(٢)، وكغريب محمد بن أبي بكر بن عزيز السجستاني(٣)، وكمفردات الألفاظ لأبي القاسم الراغب الأصفهاني(٤)، غير أنهم لم يتمموا المقصود من ذلك لاختصار عبارتهم وإيجاز إشارتهم، على أن الراغب -رحمه الله- قد وسع مجاله وبسط مقاله بالنسبة إلى من تقدمه، وحذا بها الحذو رسمه، غير أنه -رحمه الله- أغفل في كتابه ألفاظاً كثيرة لم يتكلم عليها، ولا أشار

(١) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ج١، ص٣٩.

(٢) هو أبو عبيد أحمد بن محمد بن أبى عبيد العبدىّ الأديب الهروىّ، صاحب أبي منصور الأزهرىّ، كان مؤدّباً بهراة. وصحب أبا منصور الأزهرىّ، واستفاد منه وأكثر، وصنّف كتاب «الغريبين القرآن والحديث» وهو كتاب قد سار مسير الشّمس في الآفاق، وأخذ عنه العلماء، وتزاحم على روايته الفهماء. وتوفى سنة ٢٣٠هـ، انظر: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط١، ١٩٨٢م، ج٤، ص١٥١.

(٣) هو محمد بن عُزيز السجستاني، أبو بكر العُزيزي: مفسر، اشتهر بكتابه (غريب القرآن) على حروف المعجم، صنفه في ١٥ سنة. وكان مقيما ببغداد. وقيل: اسم أبيه (عزير) بالراء. وكانت وفاته سنة ٣٣٠هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٦، ص٢٦٨.

(٤) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. وتوفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٢، ص٢٥٥.

في تصنيفه إليها مع شدة الحاجة إلى معرفتها، وشرح معناها ولغتها مع ذكره لبعض مواد لم ترد في القرآن الكريم، أو وردت في قراءة شاذة جداً"[١].

إن المتتبع لما كتبه السمين يكتشف ما وقع فيه الراغب من أخطاء وسهو، فبالإضافة إلى الإشارة إلى المواد التي لم يذكرها الراغب أشار إلى الأخطاء، حيث نراه مال إلى رأي المعتزلة، مثل الذي ذكره الراغب في مادة: ضل، ومادة: رسل، ويرد رأي الراغب ورأي الزمخشري[٢] في مادة: خلق، ويستشهد برأي ابن الأعرابي ورأي الفراء لرد ذلك.

ميزات الكتاب:

يتكشف لنا من استعراض هذا الكتاب بعض مميزاته التي تفوق بها على كثير من الكتب المؤلفة في مفردات القرآن، ومن أهمها:

١) الترتيب البديع.
٢) الإحاطة بالألفاظ القرآنية، وشرح معناها اللغوي، الحقيقي منها والمجازي.
٣) الاستشهاد بالشعر والنثر إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
٤) الإشارة إلى معنى اللفظة القرآنية الحقيقة، وذكر خلاف المفسرين.
٥) الانتقاد على آراء العلماء وتمحيصها في ضوء الأدلة الشافية.
٦) التعرض لآراء المتكلمين والفقهاء والمحاكمة بين راجحها ومرجوحها.
٧) ذكر الروايات الإسرائيلية وتفنيدها.
٨) تفصيل مذهب أهل السنة والجماعة على المذاهب الأخرى.
٩) ذكر أسباب نزول الآيات القرآنية.
١٠) التعرض لذكر الفرق وعقائدها.
١١) الاستناد إلى الآراء اللغوية.
١٢) الاستمداد من القواعد الصرفية والنحوية في تحليل الألفاظ المفردة وشرحها.

---

(١) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ج١، ص٣٨

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ، سافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٧، ص١٧٨.

المطلب الثالث: الموازنة بين "مفردات القرآن" للفراهي وبين "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي.

بالموازنة بين كتاب ابن السمين الحلبي وبين كتب أقرانه؛ يتضح لنا أن هناك فؤائد جمة في جميعها، وكان هدفُ كل واحد من خلال تأليفهم الكتب هو خدمة كتاب الله وشرح معانيه وتوضيح مراميه، بغضِّ النظر عما فيها من اختلاف في أسلوب العرض بين إسهاب واختصار وحروف المعجم وترتيب السور.

وإذا قمنا وازنا بين"عمدة الحفاظ" لابن السمين الحلبي و "مفردات القرآن" فإننا نجد بينهما بعض التقارب والشبه، كطريقة الشرح، والتحليل اللغوي، ومنهج الاستدلال، واستنباط المعنى المراد من بطون الألفاظ، فلا يقتصران في كتابهما على ذكر المعنى اللغوي وما يتعلق بالمعنى القرآني مباشرةً، بل يذكران الشواهد واختلاف الآراء، ويشيران إلى الآية الكريمة التي وردت فيها الكلمة من القرآن الكريم، كما أنهما يعزوان الأقوال إلى قائليها، وها هنا نموذجان من كتابيهما لنكون على بصيرة بطريقتهما ومنهجيهما.

يفسِّر الفراهي كلمة "الأبتر" الواردة في سورة الكوثر فيقول: "الأبتر" هو صفة من (البتر) وهو القطع، وللكلمة استعمالات شتى، والنظر فيها يعينك على استنباط المعنى المراد في سورة الكوثر، فنذكر استعمال هذه المادة حسب ترتيب معانيها.

يُقال: (سيف باتر) أى قاطع، و(بتار قطاع)، و(بتر فلان) رحمها قطعها، (الأباتر) قاطع الرحم، (أبتر الرجل) إذا أعطى ثم منع، (الحجة البتراء) القاطعة، في حديث الضحايا أنه نهى عن المبتورة وهي ما قطع ذنبها(١)، (الأبتر من الحيات) نوع منها قصير الذنب، (الأبتر) من لا عقب له، في الحديث: «كل أمر ذي بال لم يبدأ بذكر الله والصلوة على رسوله سميت بتراء»(٢). (الأبتر) ما لا عروة له من المزاد والدلاء، (الأبتران) العير والعبد. (البتيراء) الشمس إذا بُهرَتْ وذَهَبتْ قُرونُها ونَبلُها.

---

(١) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج١، ص٩٣.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت: ٣٠٣هـ)، **سنن الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، (تحقيق: عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن)، ٦م، باب ما يقول إذا هم بالأمر، ج١، ص١٢٨، رقم:١٠٣٣٢.

فالنظرُ في هذه الأنحاء يدلّنا على أن "الأبتر" هو المقطوع عما يُفخّمه ويمدّه، حتى إن الشمس إذا بُهرت، وذهبت عنها نَبلُها، وانجردَتْ قرصاً صغيراً سميت: بُتَيْرَاءَ.

وكذلك من بتر رحمه وانقطع عن عصبته وأنصاره سمي: (أبتر).

ولذلك سموا العير والعبد: (الأبترين) لقلة ناصريهما.

وعلى هذا الأصل قال قتادة: (الأبتر) الحقير الدقيق الذليل.

فتبيَّن مما سبق: أن معنى هذه الكلمة تدرج من المقطوع إلى الصغير القصير وإلى المخذول الحقير"[١].

أما ابن السمين فيقول في تفسير قوله تعالى: "(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)[٢]، و(الأبتر) الذي لا عقب له ولا نسل، وأصله من البتر، وهو القطع، ومنه نهى عن المبتورة في الضحايا وهي التي انقطع ذنبها، وفي الحديث: «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر»[٣]، أي اقطع وروعاً جذم وذلك أن العاص بن وائل كان يقول: «إنما محمد أبتر فإذا مات انقطع ذكره»، أي ليس له ولد يذكر به، فأكذبه الله تعالى ورفع ذكره وجعله هو الأبتر، إذا ذكر لا يذكر إلا بشرّ، وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وقد سُئل عن صلاة الضحى فقال حين ...... البتيراء للأرض، أي تنبسط الشمس، فالبتيراء اسم للشمس، سميت بذلك لأنها تُكلُّ الأبصار أي تتعبها إذا حدقت نحوها. فجعل ذلك قطعاً مجازاً.

وقال الراغب في هذا كلاماً حسناً: "نبَّه الله تعالى أن الذي ينقطع ذكره هو الذي يسوء فأما هو فكما وصفه الله تعالى بقوله: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)[٤]، لكونه جعل أباً للمؤمنين وفي الحديث معنى رفعنا لك ذكرك لا أذكرك إلا ذكرت معي وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وأثارهم في القلوب موجودة، هذا في العلماء الذين هم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف هو وقد رفع ذكره وجعله خاتم رسله"[٥].

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) سورة الكوثر:٣.

(٣) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص٩٣، "لا يبدأ فيه بحمد الله" وكذا في **اللسان العرب**،(بتر)، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١) **لسان العرب**، فصل الباء الموحدة، دار صادر، بيورت، ١٤١٤هـ، ط٣، ج٤، ص٣٧. وانظر: كلاماً وافياً في طرق هذا الحديث وألفاظه، في أول طبقات السبكي.

(٤) سورة الشرح:٤

(٥) انظر: الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ. ج١، ص١٠٧.

وقال الراغب: "البتر يقارب ما تقدم، لكن يستعمل في قطع الذنب، ثم أجري قطع العقب مجراه، فقيل: فلان أبتر إذا لم يكن له عقب يخلفه، وجل أبتر وأباتر: انقطع ذكره عن الخير، ورجل أباتر: يقطع رحمه"(١).

فقد تبيَّن فيما سبق: أن بين الكتابين تشابهاً قوياً وتقارباً شديداً في طريقة العلاج، والغاية والمنهج كما يتضح لك إذا أنعمت النظر في نموذج الفراهي، كأنه اطلع على منهج ابن فارس(٢) في كتابه "المقاييس" فأخذ عنه طريقة التحليل اللغوي وشرح المفردات ،حيث يذكر أولاً أصول استعمالات الكلمة، ثم يخوض في ذكر المعاني المتفرعة من ذلك الأصل القديم، ويذكر الشواهد الشعرية كما أنه يهتم بذكر تدرج الكلمة من معنى إلى آخر.

كما يتضح لنا من استعراض الكتابين ومقابلتهما أن صاحب العمدة أكثر من الاستفادة من كتاب الراغب والزمخشري، يمحص آراءهما فينتقدها أحياناً ويستحسنها أخرى.

أما صاحب المفردات فلم يجعل نصب عينيه نقد كتاب مخصوص أو تمحيص رأي مصنف بعينه إلا ما جاء عفواً للخاطر، ومن توقد الذهن الذكي، وإنما يهدف إلى إزالة ما طرأ على المعتقدات والثوابت الإسلامية من الشبهات بناءاً على زيغ الفكر والخطأ في فهم المعنى اللغوي من الألفاظ القرآنية، انظر –على سبيل المثال- ما ذكره العلامة الفراهي في كلمة "ابن الله، والرب والأب"(٣).

لما كان الفراهي متضلعاً من اللغات الأجنبية من الإنجليزية والعبرانية بحكم ثقافته العامة، فتلمس آثار هذه الثقافة الواسعة ومظاهرها في جميع كتبه وأبحاثه العلمية، وكتابه هذا، حظي بهذه الخصيصة أكثر من غيره، فنجد في ثنايا بحثه الاستشهاد باللغة العبرانية، واستعمال الكلمة فيها، والشواهد الشعرية، والإشارة إلى تحريف اليهود والنصارى الكلمة عن مواضعها الصحيحة، يقول رحمه الله: "كلمة الابن في العبرانية تستعمل المعنيين للنسبة كابن السبيل وابن الليل، أو كابن صبح وابن حول وسنة وللعبد كالرجل والفتى والغلام، ولفظ الابن ليس كلفظ الولد، فإن الولد صريح في الابنية، ولذلك ترى في القرآن لم يشنع إلا على لفظ الولد، وبين أن في استعمال لفظ الابن مضاهاة

(١) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ج١، ص١٥٦.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة. وتوفي سنة ٣٩٠هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٥، ص٢٧٤ج١، ص١١٨.

(٣) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٢٤٩

بالكفر، فينبغي أن يتجنب، كما أن لفظ الرب يشابه المعبود، فبين في القرآن أنهم أفرطوا في هذين اللفظين، وبيان ذلك تحت آيته.

وههنا نورد أمثلة من كتب اليهود والنصارى لكي يتبين ما ذكرنا ونورد ترجمتهم الباطلة بإزاء الترجمة الصحيحة:

ترجمتهم الباطلة		الترجمة الصحيحة
الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي. حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار. اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجّوا المسكين والفقير. من يد الأشرار أنقذوا. لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشّون. تتزعزع كل أسس الأرض. أنا قلت إنكم آلهة وبنوا العليّ كلكم. لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون. قم يا الله دِنِ الأرض، لأنك أنت تمتلك كلّ الأمم. [المزمور:٨٢]		الله قائم في مجمع الحكّام. يقضي بين الأمراء. حتى متى تقضون جوراً وتراعون جانب الشرّير. احموا المسكين واليتيم. أقسطوا للفقير والمعترّ. نجّوا المسكين وأنقذوا الفقير من يد الشرّير. لا يعلمون ولا يفقهون. وفي الظلمة يذهبون قد فسدت الأرض إلى بنيانها. أنا صيّرتكم حكاماً وخلفاء الله ولكنكم مثل العامة تغوُون وكرؤسائهم تعثرون. قم يا ربّدِنِ الأرض. فإنّك ترث الأمم كلها.

هل ترى كيف خلطوا بين الحاكم والله، والقضاء والحماية، والوصل والفصل، والموت والغواية، والابن والخليفة الخادم؟. كلّ ما نجد في الإنجيل من "ابن الله" فهو "عبد الله" في المعنى وكلّ ما فيه من "أبونا" أو "أبونا وأبوكم"، فهو: ربّنا وربكم، كما ترجمه القرآن. وقد منع المسيح عليه السلام عن استعمال كلمة الربّ لنفسه، وقال: "ربّنا واحد -وهو الله- وأنا وأنتم إخوة". وقد بدّلت النصارى هذا التعليم الواضح. وكذبُهم بادٍ مكشوف.

في متى باب ٢٣ (٦ - ١١):

"ويحبّون المتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس: ربي ربي (*). وأما أنتم فلا تُدعَوا: ربّي، لأنّ ربكم واحد. المسيح وأنتم جميعاً إخوة.

ولا تدعوا لكم ربّاً (**) على الأرض لأن ربكم واحد. الذي في السموات. ولا تُدعَوا معلّمين، لأنّ معلمكم واحد: المسيح. وأكبركم يكون خادماً لكم" [(١)].

وقد قام الأستاذ أحمد حسن فرحات[(٢)] بمقارنة بين المفردات للراغب وأربعة من المعاجم التي تعتبر الأشهر والأجدر من غيرها وهي: "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي، و"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" للفيروز آبادي[(٣)] (ت٨١٧هـ)، و"مفردات القرآن" للفراهي، و"معجم ألفاظ القرآن الكريم"[(٤)]، فقال عن المفردات للفراهي: "ومن كل ما سبق نستطيع أن نقرر بأن ما جاء في مقدمة الراغب وما جاء عند الفراهي في مقدماته هو الأغنى من كل تلك الكتب التي تحدثنا عنها"[(٥)].

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص١٦-١٨.

(٢) هو عالم، باحث، أديب، أخذه البحث العلمي والجامعة من الأدب، ولد في بلدة التل، من ضواحي دمشق، في ١٩٣٧/٩/١١م. وله كتب كثيرة منها مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن – رسالة دكتوراه – طبعت في عمان عام ١٩٨٣ في دار الفرقان ودار عمار ودار البيارق ١٩٩٧م. و"الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – تحقيق– طبع في دمشق عام ١٩٧٣م، دار الكتب العربية، وعمان عام ١٩٨٤م، دار عمار. وله بحوث محكمة. انظر: فرحات، أحمد حسن. "رابطة أدباء الشام." موقع رابطة أدباء الشام . يوم الزيارة ٢٠١٥/٠٣/١٥م.

(٣) الفيروز آبادي، هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر. ولد في فيروز آباد (بفارس) وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها. وله تصانيف كثيرة، منها (التنبيه – ط) و (المهذب – ط) في الفقه، و (التبصرة – خ) في أصول الشافعية، و (طبقات الفقهاء – ط) و (اللمع – ط) في أصول الفقه، وشرحه، و (الملخص) و (المعونة) في الجدل. مات ببغداد وصلى عليه المقتدى العباسي. وكانت ولادته سنة ٣٩٣ه، ووفاته ٤٧٦ه. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج١، ص٥١.

(٤) وقد أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة – أجزاء متفرقة بين عامي ١٩٥٣-١٩٧٠. ثم طبع كاملاً مرتين عام ١٩٧٠م من قبل الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

(٥) فرحات، أحمد بن حسن، **معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)**، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢١هـ) ص٣٥.

المبحث الثاني: "أقسام القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين ما ورد في "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي.

المطلب الأول: تعريف "أقسام القرآن" للفراهي.

ألّف الإمام الفراهي كتابين في أقسام القرآن، الأول كان عبارةً عن رسالة صغيرة سماه "أقسام القرآن"، والثاني أوسع من الأول، وسماه: "الإمعان في أقسام القرآن".

ولما طبع كتابه الأول "أقسام القرآن" تداولته الأيدي بالقبول والاستحسان، وعكف عليه العلماء والباحثون يثنون على المؤلف بأسلوبه العلمي الرصين، وطريقة تدبره في القرآن، والاشتغال به، وسلامة فكره، ورجاحة عقله، وشجاعته العلمية النقدية، فكان ذلك حافزاً قوياً له أن ينهض لتناول هذا الموضوع من جديد في ضوء الدراسات القرآنية التي لا نهاية لها ولا تحديد، وليصل منه ما كان منقطعاً ويكمل منه ما كان ناقصاً، ويبسط في الكلام ما كان وجيزاً مجملاً، فألّف كتاباً آخر سماه: "الإمعان في أقسام القرآن"، الذي يختلف عن الأول في اسمه وحجمه ومباحثه اختلافاً كبيراً، إلا أن بعض الباحثين والدارسين اختلط عليهم الكتابان، فاعتبروهما واحداً لوحدانيتهما في الموضوع حيناً، ولتقاربهما في المباحث، يقول الدكتور معين أحمد الأعظمي في أطروحته للدكتوراة بعد أن ذكر "الإمعان في أقسام القرآن": "وله رسالة أخرى مطبوعة في القسم المسماة بأقسام القرآن"،وهذه الرسالة طبعت أولاً في مطبعة أصح المطابع بلكناؤ، ومطبعة فيض عام عليكره"(١).

وهذه قائمة المباحث التي تناولها كتاب "أقسام القرآن" بالبحث والتحليل؛ لكي يتسنى للباحث المقارنة بين الكتابين، ويتيسر به التمييز والتمحيص، ويتبين له الفرق بينهما.

١) أصل القسم هو الإشهاد.
٢) القسم بغير الله هو الإشهاد بلسان الحال.
٣) القرآن دل على هذا الأمر.
٤) القسم في القرآن تعبير عن الآية الدالة.
٥) هذا الرأي ملمح للمفسرين من قبل.
٦) الفرق بين القسم وما يشبه به مما لا يليق بالله.
٧) القسم من أساليب البلاغة.
٨) لا حرج في غموض جهة الإشهاد.

---

(١) الأعظمي، معين أحمد، **الفراهي وأثره في التفسير**، ص٤٦، لم يطبع.

وقد أثنى العلامة سيد سليمان الندوي في مقاله القيم عن الفراهي، على الكتابين "أقسام القرآن" و"الإمعان"، وقال رحمه الله تعالى: "بعد الفراغ من تأليف "أقسام القرآن" شرع [الفراهي] في تأليف الإمعان في أقسام القرآن"، ويتجلّى في ذلك دقته وبراعته العلمية وعبقريته في البحث والتحليل، فسبق به الأولين، وتطفل على مائدته الآخرون"[١].

ويتضح ذلك جلياً بما صرح به الدكتور عبيد الله الفراهي في مقدمة طبعته المصرية، حيث قال: "وقد كتب -رحمه الله- أولاً جزءاً صغيراً في هذا الموضوع، يوم كان مدرساً في مدرسة الإسلام بمدينة كراتشي (١٨٩٧م – ١٩٠٧م). وطبع في "أصحّ المطابع" بمدينة (لكنؤ) سنة ١٩٠٦م وكان يقع في ٣٨ صفحةً، ثم توسَّع فيه، واستكمل جوانبه، وصاغه صياغة جديدة، وطبع سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) في المطبعة الأحمدة بمدينة (عليكره) في ٥٥ صفحة، والطبعة الثانية لهذه الصياغة الجديدة صدرت في القاهرة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) على نفقة دار المصنفين بمدينة (أعظم كره).

ومن عجائب المقادير أن كل ما ألفه الإمام الفراهي في علوم القرآن كان باللغة العربية، وذلك لأنه كان يكتب لعلماء العالم الإسلامي، ولكن لم تصل كتبه إلى أيديهم إلا نادراً، فإنها طبعت في الهند وبالخط الفارسي، وإن كتابه هذا في أقسام القرآن هو الوحيد الذي طُبع في بلد عربي، فاطلع عليه من اطلع من العلماء والباحثين، وقد أرسل للطبع إلى القاهرة في حياة المؤلف رحمه الله، ولكنه توفي بعد ذلك بشهرين، فكتب صديقه العلامة السيد سليمان الندوي -رحمه الله- ترجمة موجزة له ألحقت بآخر الكتاب"[٢].

وقد تبين مما سبق أن للمؤلف كتابين في موضوع أقسام القرآن، ولكليهما قيمة علمية فنية، ولهما الفضل على العلماء والباحثين في الدراسات القرآنية.

أما كتابه "الإمعان" فهو أيضاً جزء من مقدمة تفسيره مثل معظم الكتب التي أفردها في علوم القرآن كما صرح بذلك في فاتحته، وهو يتناول قضية القسم في القرآن تناولاً أصولياً عاماً، وتهدف إلى رفع الشبهات الباطلة الواردة عليه، وأكبر الشبه التي كانت سداً منيعاً دون تدبر أقسام القرآن وفهمها على الوجه الصحيح: أن القسم يقتضي شرف المقسم به وعظمته لا محالة، فأزال المؤلف –رحمه الله– هذه الشبهة، وقضى عليها قضاء تاماً[٣].

مباحث الكتاب:

---

(١) الندوي، السيد سليمان، **ياد رفتكان**، مجلس نشريات إسلام،، كراچی، ط١، ١٩٥٤م، ص١٣٦
(٢) الفراهي، **الإمعان في أقسام القرآن**، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، ص٦.
(٣)الفراهي، **الإمعان في أقسام القرآن**، ص٧.

ذكر المؤلف أولاً الشبهات الثلاث على أقسام القرآن، وهي شبهات رئيسية تدور في خواطر أوساط الناس والسطحيين من القراء، فقال: "اعلم أن الشبهة على أقسام القرآن من وجوه:

أ- القسم نفسه لا يليق بجلالة ربنا، فإن الذي يحلف على قوله يهين نفسه، ويضعها موضع من لا معول على حديثه، وقد جاء في القرآن الكريم: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)[١]، فجعل الحلف من الخلال المذمومة، ونهى المسيح الحواريين عن الحلف مطلقاً، "ليكن قولكم نعم نعم أو لا لا، ولا تحلفوا".

ب- القسم في القرآن جاء على أمور مهمة كالمعاد والتوحيد والرسالة، ولا فائدة فيها للقسم إلا لمنكرها، فإنه يطلب الدليل والبرهان، والقسم ليس في شيء منه، ولا للمؤمنين فإنه قد آمن بها.

ج- القسم يكون بالذي عظم ورجل، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٢]، فنهى عن القسم بغير الله، فكيف يليق بجلالة ربنا أن يقسم بالمخلوق لاسيما بأشياء مثل التين والزيتون"[٣].

وقد ذكر الفراهي أولاً ما أجاب به العلامة الرازي[٤]، وقد انتقده وذكر عدم ارتياحه إلى وجاهته، وعدم إصابته الهدف، وأثنى على طريقة العلامة ابن القيم ثناءاً إجمالياً، وقد ناقشه مناقشة علمية هادئة أدبية مما يدل على إنصافه واتزانه، وشجاعته العلمية والنقدية.

وقد عقد باباً مستقلاً بعنوان "طريق هذا الكتاب في الجواب على سبيل الإجمال، وقد ذكر بعد ذلك بالإجمال: "أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة؛ وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية".

وقد تناول تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً، وطرقه المتنوعة وبين معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من الإكرام والتقديس والاستدلال المجرد، وعقد لذلك باباً مستقلاً بعنوان "تاريخ القسم وحاجة الناس إليه، وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر"، وهو باب يدل على اطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب، وأساليب غيرهم من الشعوب

---

(١) سورة القلم:١٠.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، برقم:٢٦٧٩.

(٣) الفراهي، **إمعان في أقسام القرآن**، ص ٢٢٨.

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكانت ولادته سنة ٥٤٤هـ، ووفاته سنة ٦٠٦هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٣١٣.

والأمم، والآداب واللغات، والثقافات والديانات، ونوه ببعض الأخطاء في بعض الترجمات للصحف القديمة، مما يدل على دراسته المقارنة العميقة للصحف السماوية والديانات المختلفة، واطلاعه الواسع على كلام العرب الأولين، فهو يرى أهمية تقدير المقسم به في كل موضع، أما إذا ضم إليه المقسم به فإنما هو للإشهاد، ولا يراد منه التعظيم إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره.

وذكر أنواع القسم، منها القسم على وجه الإكرام للمقسم به والمتكلم والمخاطب، والقسم على وجه التقديس للمقسم به، استشهد في هذا الباب بأبيات كثيرة للشعراء الجاهليين مما يدل على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي، ومنها القسم على وجه الاستدلال بالمقسم به، وهو الأقرب إلى نوع الأقسام القرآنية، وأبعد عن الشبهات والتساؤلات، واستشهد في ذلك بأبيات العرب الأولين، وعرض في ذلك نماذج من كلام الأولين من بلغاء اليونان، ثم شرح دلالات القسم الاستدلالي، وذكر الأدلة المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الأقسام الاستدلالية، وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب، والمحور الذي يدور حوله، وتوسع المؤلف في ذكر الأمثلة من القرآن، وتطبيقها على الغايات، ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن، وذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.

<u>سمات الكتاب:</u>

إذ قمنا باستعراض ما تضمن هذا الكتاب من المزايا والسمات البارزة وجدنا الشيء الكثير الذي زانه، وفضل مؤلفه على كثير من العلماء والدارسين، نذكر من أهمها ما يلي:

١) الشمول والاستيعاب والإحاطة.
٢) الاستشهاد بأقوال السلف.
٣) تفسير السورة التي ورد فيها القسم إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
٤) الإشارة إلى الرباط الذي يربط آي السورة بعضها ببعض.
٥) ذكر اللطائف العلمية، وحل الغوامض التفسيرية والتأريخية.
٦) الاستشهاد بأشعار العرب الأولين.
٧) إثبات الإعجاز القرآني.
٨) الاحتواء على النكت المستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي.
٩) الاستدلال بالكتب السماوية الأخرى، والاستشهاد باللغات الأجنبية من الإنجليزية والعبرانية.
١٠) المقارنة بالديانات العالمية.

<u>ثناء العلماء عليه:</u>

ألف الفراهي في علوم القرآن عشرات من الكتب التي نالت قبولاً وإعجاباً لدى الباحثين والدارسين، ولكن كتابه "الإمعان في أقسام القرآن" يحتل الصدارة من بين هذه الكتب. ومما يمتاز به أنه طبع في حياة المؤلف مرتين، واسترعى اهتمام المتدبرين في القرآن والمعنيين بتفسيره، فأكبوا عليه دراسة وأثنوا عليه ثناءاً عاطراً، وأقبلوا عليه استعراضاً وشرحاً واختصاراً، وكذلك مما يدل على أهمية الكتاب وقيمته الفنية أنه حمل مسؤولية اختصاره وتلخيصه العلامة شبلي النعماني، وهو أول اختصار للكتاب سنة ١٩٠٦م، ثم قام باختصاره الأستاذ عبد الأحد الإصلاحي، وقد نشرته مجلة "الإصلاح" سنة ١٩٣٦م، ثم الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي.

وأما التعليقات على الكتاب فهي كثيرة، وقد أصبح بذلك الكتاب مرجعاً أساسياً في هذا الموضوع حتى لا يمكن لأحد يكتب أو يؤلف في علوم القرآن التغافل عن ذكره والاستفادة منه.

وممن أثنى على هذا الكتاب وأعجب به إعجاباً شديداً، العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي(١)، الذي قال في مقدمته له: "جاءت هذه الرسالة -على قصر قامتها وكبر قيمتها- تنوب عن المكتبة القرآنية في موضوع أقسام القرآن بصفة خاصة مع احتوائها على لطائف مفتقة للقريحة ومنيرة ومثيرة لإمعان الدراسة في القرآن والتدبر من جديد"(٢).

ثم أشار الشيخ الندوي في المقدمة نفسها إلى مزايا الكتاب البارزة فقال: "وقد جمع هذا الكتاب بين التدبر العميق في دراسة القرآن والتشبع بروحه، والاطلاع الواسع على أساليب البيان والبلاغة، والتعبير عن مكنونات الضمير في لغات مختلفة، والاطلاع على تعبيرات الصحف السماوية والأساليب الدينية البيانية مع دراسة مقارنة للديانات، واطلاع واسع وتذوق للكلام العربي والشعر الجاهلي، فجاء هذا الكتاب –على صغر حجمه– يجمع بين إزاحة بعض الحجب التي طرأت على هذا الصنف من الإعجاز القرآني وبين مادة ثرية من الأصول الأدبية، ونكت مستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي، ولا يتأتى ذلك إلا لمن جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، وبين التذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، والتشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وبين سلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"(٣).

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني: أحد أكابر الدعاة إلى الله، ومن طليعة المفكّرين الإسلاميين في هذا العصر. وُلد بقرية "تكيّة كلان" قُرب مدينة "لكنؤ" سنة ١٣٣٣هـ، وتوفي بها سنة ١٤٢٠هـ. نشأ في أسرة علمية معروفة. أكمل دراسته في "دار العلوم ندوة العلماء"، ثم عمل بها مدرّساً فرئيساً. نال جائزةَ الملك فيصل العالميّة لخدمة الإسلام. وله مؤلفات كثيرة، ومن أشهرها: "السيرة النبوية"، و"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟". انظر لترجمته الموسَّعة: سيد عبد الماجد الغوري، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب**، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص١٣٣، ٣٣٥.

(٢) الفراهي، **إمعان في أقسام القرآن**، ص١١.

(٣) المصدر السابق، ص١٢

خلاصة ما في هذا الكتاب:

أ- أن القسم إذا كان مجرداً عن المقسم به -لأنه ليس من لوازمه- فإنما يراد به تأكيد قول وإظهار عزم وصريمة.

ب- أما إذا أقسم بشيء فإن المقصود هو الإشهاد، حتى في الأيمان الدينية، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به لا من جهة أصل معنى القسم.

ج- وربما يكون القسم لمحض الاستدلال.

د- أما أقسام القرآن فليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، ولترى فائدة هذا البحث وأثرها العظيم في التفسير، يمكنك الرجوع إلى تفسير المؤلف للسور المذكورة.

المطلب الثاني: تعريف "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي.

أولاً: نبذة عن ترجمة المؤلّف:

هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي :نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. وُلد ونشأ في القاهرة يتيماً. رحل إلى الشام والحجاز والي الهند والمغرب ثم عاد إلى مصر واستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما بلغ الأربعين اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف، وبقي على ذلك إلى أن توفي. دُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات، من أشهرها: الجامع الكبير؛ والجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ والإتقان في علوم القرآن؛ والدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ وتنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك؛ والخصائص والمعجزات النبوية؛ وطبقات الحفاظ؛ وطبقات المفسرين؛ والأشباه والنظائر، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة؛ وتدريب الراوي، والإتقان في علوم القرآن(١).

ثانياً: تعريف للكتاب:

يعد كتاب "الإتقان في علوم القرآن" فريداً لا نظير له، وليس معنى ذلك أن مسائله لم يتكلم فيها إنسان، أو لم ترد في كتاب، ولكنها وردت مبثوثةً في كتب عدة، وفي أبواب كثيرة، و تكلم فيها أناس كثيرون، ويرجع الفضل للسيوطي في أنه لمّ شملها، وجمعها منظمة منسقة مبوبة في كتابه هذا، حتى صارت هيكلاً مستقلاً متناسق الأجزاء، منسجم النواحي، ذا وحدة متحدة.

وهذه قدرة عجيبة كان يتمتَّع بها السيوطي، وهي تدل على ذهنية متوقدة اتجهت به إلى هذا الموضوع الفريد، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد مختلفة المشارب، كثيرة الأقوال والمذاهب فحقق فيها ودقق، حتى استبانت له وجوه الصواب، فحشدها في كتاب بعد أن زودها بما له من ثاقب رأي، وصائب فكر، وهو كتاب يستحق أن يعد بحق وجدارة موسوعة ودائرة معارف في علوم القرآن.

---

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣٠١-٣٠٣

يشتمل الكتاب على بحوث نفيسة من العلوم القرآنية مثل: معرفة السور بجميع أقسامها، ومعرفة ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة، وما تكرر نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه، وكيفية نزوله، ومعرفة المتواتر والمشهور والشاذ والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، وحديث عن مظاهر البلاغة فيه من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة، وبدائع القرآن وأقسامه وإعجازه وطريقة جدله وفضائله. كما تكلم مؤلفه عن شروط المفسر وآدابه، وعن غرائب التفسير، وختم الكتاب بفصل ممتع عن بعض المفسرين الأوائل وما قيل في حقهم.

والكتاب -كما اتضح- دليل خالد على رسوخ قدم السيوطي في علوم العربية والدين، وإحاطته الشاملة بكثير مما قيل عن القرآن الكريم، وحفظه التام لحوادث التاريخ، ومعرفته برجاله، وسعة اطلاعه على كتب المتقدمين بعامة.

أما الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب فهو عدم وجود كتاب جامع في علوم القرآن، لذلك قام بالتأليف فيها، فوضع أولاً كتاباً مختصراً سماه "التحبير في علوم التفسير"، ثم خطر له أن يضع كتاباً أوفى، وأكثر بسطاً وجمعاً، وأفضل ضبطاً، وأكثر استقصاء، فألّف هذا الكتاب الذي اشتهر بـ"الإتقان في علوم القرآن"(١).

وقد عني السيوطي بأن يذكر في كل فصل من فصول هذا الكتاب الأقوال المأثورة في المسألة مسندة إلى رواتها، وفي الكتب التي ذكرت فيها، ويفصل القول في ذلك تفصيلاً منظماً. فتحدث في النوع السابع والستين منه عن قضية القسم، فذكر أولاً مقصود القسم ومراده، وأشار إلى موارد القسم في القرآن، وأقسامه وأنواعه ووجوه استعماله في الآيات القرآنية، وإن هذا النوع الذي يشتمل على قضية القسم في القرآن، إنما يستغرق ثلاث أو أربع صفحات من الكتاب، لخَّص فيه السيوطي مبحث القسم ورتبه بأحسن ترتيب وتلخيص، والبحث كله من أوله إلى آخره مأخوذ من دراسات المتقدمين، وقد ختم السيوطي بحثه بسرد تحقيق ابن قيم الجوزية من كتابه "التبيان في علوم القرآن" الذي هو أول كتاب مفصل علمي مؤسس على الدراسة العميقة والتدبر في القرآن واستعراض لأنواع الأقسام والمقسم بها ومواردها في القرآن(٢).

المطلب الثالث: الموازنة بين "الإمعان في أقسام القرآن" و"الإتقان في علوم القرآن".

ها هي بعض أهم الفوارق بين هذين الكتابين:

١) أن الفراهي حين تناول هذا الموضوع ليتحدث عن قضية القسم فكان له هدف محدد سعى إلى تحقيقه، وهو إزالة الشبهات الناشئة في أذهان القراء عند تلاوة الآيات القرآنية المتضمنة للقسم، كما يظهر من بيان الفراهي في بداية الكتاب حيث قال: "لما كان المقصد الأعظم من هذا المبحث إزالة الشبهات؛ أردت أن أذكرها أولاً، ليكون الناظر من قبل على بصيرة بمساق الكلام فيتضح له شكل نظامه وغرض سهامه".

---

(١) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص١٧.

(٢) من مقدمة سليمان الندوي في **الإمعان**، ص١٠.

بينما السيوطي لم تكن له فكرة خاصة وهدف معين لتعرضه لهذا المبحث، لذلك نجد الفراهي يتوسع في القول، ويرخي عنان القلم ليفيض بالأدلة العلمية والشواهد القرآنية والشعرية إثباتاً لرأيه وتحقيقاً للكتب.

٢) أن السيوطي نقل آراء العلماء وأصحاب التفسير في كتاب "الإتقان" كما كانت عادته في سردها دون التمحيص والتنقيح، فكأن مقصوده فيه سرد الأقوال والآراء ولا يعتني بالنقد والنقاش.

أما الفراهي فلا يكتفي بذكر أقوال العلماء، بل يضعها على المحك ويميز بين الصحيح والسقيم، كما ذكر ما أجاب به العلامة فخر الدين الرازي وابن الجوزي، ومع ذلك ناقشهما، نقاشاً علمياً أصولياً، وبعد أن قام بعملية تحليل الآراء وغربلة الشواهد ذكر الجواب على سبيل الإجمال فقال: "ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم والضيق الذي لم يخرجوا منه هو ظنهم بكون القسم مشتملاً على تعظيم المقسم به لا محالة، وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن ومنشأ للشبهات، فنبطله أولاً حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعظيم، إنما هو يفهم من بعض أقسامه".

ثم بين أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله.

٣) أن السيوطي يظهر في الكتاب أن من وظيفته تلخيص المبحث وتهذيبه فحسب، فليس فيه من عقله نصيب كثير، إلا ما جاء ضمن البحث إيضاحاً للمقصود وربطاً للجملة التالية بالسابقة، فهو فيه ناقل مقلّد أكثر من مبدع ومبتكر صاحب رأي.

بينما بث الفراهي في كتابه من فكره أوفر نصيب وأعظمه.

٤) كتاب الفراهي يمتاز عن كتاب السيوطي بأنه يتحدث عن تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً وطرقه المتنوعة، ومعاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي، وذلك كله في تفصيل وأسلوب علمي مقنع. أما كتاب السيوطي فيشير إليه إجمالاً.

٥) يتحلّى كتاب الفراهي بالشواهد الشعرية. أما كتاب السيوطي وخاصة مبحثه في أقسام القرآن فلا نجد فيه شاهداً شعرياً.

٦) أشار السيوطي أن العرب من عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً، وقد نزل القرآن بلغة العرب فلا بد من رعاية أساليبه، واكتفى بذلك، ولم يبذل أي جهد لجمع الاستعمالات والشواهد من كلام العرب ليكون قوله آكد وأبلغ، بينما العلامة الفراهي يتوسع في جمع الشواهد، وخاض في بحار كلام العرب فأتى بما تجمل به رأيه، وتأكد به قوله، فذكر هناك قول ريطة بنت

العباس[١]، والنابغة الذبياني[٢]، وزهير بن أبي سلمى[٣]، والحارث بن عباد[٤]، وطرفة بن العبد[٥]، والمتلمس[٦]، والأخطل[٧]، وآخرين.

٧) لم يكتف الفراهي في كتابه "الإمعان" بذكر سنن العرب في القسم بل دفعته العلمية الناقدة، وتبحره في العلوم المختلفة وتضلعه من اللغات الأجنبية إلى أن يذكر طريقة اليونانيين في القسم، وهذا مما يفوق به "الإمعانُ" على "الإتقان" وغيره من الكتب الأخرى المؤلّفة في علوم القرآن.

---

(١) شاعرة جاهلية. كان لها أخ فارس مقدام، فيه كل صفات الشجاعة، قتله بنو جثم فكان لها في ذلك شعر. انظر: بشير يموت، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، المكتبة الأهلية، بيروت، ط١، ١٩٣٤م، ج١، ص٩٦.

(٢) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكانت وفاته نحو ١٨ سنة قبل الهجرة. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٥٥.

(٣) حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) ، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. وكانت وفاته نحو ١٣ سنة قبل الهجرة. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٣، ص٥٢.

(٤) هو من أهل العراق، أحد فحول شعراء الطبقة الثانية، وسادات العرب وحكمائها وشجعانها، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب وفي أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر. وكانت وفاته نحو ٥٠ سنة قبل الهجرة. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٢، ص١٥٦.

(٥) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءاً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد. وكانت وفاته نحو ٦٠ سنة قبل الهجرة. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٣، ص٢٢٥.

(٦) شاعر مشهور جاهلي. قدم دمشق هاربا من عمرو بن هند. وذكر دمشق وبصرى في شعره. والمتلمس خال طرفة بن العبد، وكان سيّدا، وإنما سمّي المتلمّس لقوله: فهذا أوان العرض جنّ ** ذبابه زنابيره والأزرق المتلمّس. ابن عساكر، **تاريخ دمشق** وكانت وفاته نحو ٥٠ سنة قبل الهجرة. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٢، ص١١٩.

(٧) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. ولد سنة ١٩هـ، وتوفي سنة ٩٠هـ. انظر: الأعلام، **للزركلي**، ج٥، ص١٢٣.

المبحث الثالث: "الناسخ والمنسوخ في القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي بن أبي طالب.

المطلب الأول: تعريف "الناسخ والمنسوخ في القرآن" للفراهي.

يُعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، تناول في –رحمه الله تعالى– موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، الذي يعد من الموضوعات المهمة التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً، ما بين مسرف فيه ومقتصد، كما أنه كان موضعاً للجدل عند العلماء والفرق الإسلامية من حيث جواز وقوعه في القرآن وعَدَمِه، وقد ألف العلماء فيه عدداً كبيراً من الكتب، فلا نكاد نرى مفسراً للقرآن الكريم، إلا وقد اهتم بموضوع النسخ وألف فيه، فحين نستعرض طبقات المفسرين وأسماء مؤلفاتهم نجد معظمهم قد كتب في النسخ حيث كانوا يعتبرون معرفة الناسخ والمنسوخ شرطاً في أهلية المفسر للتفسير.

وقد ألف في هذا الموضوع جماعة من العلماء منهم: قتادة بن دعامة الدوسي(١)، وأبو عبيدة القاسم بن سلام(٢)، وأبو داود السجستاني(٣)، وأبو جعفر النحاس(٤)وهبة الله بن سلام الضرير(٥)، وابن العربي، وابن الجوزي، ومكي وغيرهم.

أما كتاب الفراهي "الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ"، فهو يشتمل على مباحث مهمة في موضوع النسخ كما يظهر من خطة المؤلف، ولكن مما يقضي له الأسف أن المؤلف قد عاجلته المنية،

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب الدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. ولد سنة ٦١هـ وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٥، ص١٨٩.

(٢) هو القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. وكانت ولادته سنة ١٥٧هـ وتوفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٥، ص١٧٦.

(٣) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له (السنن ط –) جزآن، وهو أحد الكتب الستة. وكانت ولادته سنة ١٥٧هـ ووفاته ٢٢٤هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٧٦.

(٤) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر سنة ٣٣٨هـ. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصنف "تفسير القرآن" و"إعراب القرآن "و"ناسخ القرآن ومنسوخه"، و"معاني القرآن". انظر: الزركلي، **الأعلام**،ج١، ص٢٠٨.

(٥) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وبها وفاته سنة ٤١٠هـ. كانت له حلقة في جامع المنصور. له كتب، منها "الناسخ والمنسوخ في القرآن – ط" صغير، من رواية أبي محمد رزْق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، و "الناسخ والمنسوخ من الحديث". **الأعلام** للزركلي، ج ٨، ص٧٢.

وانخرمت حياته دون تحقيق بغيته، إلا أن قائمة المباحث التي يشتمل عليها الكتاب تشير إلى أهمية المنهج والدقة في المبحث والسعة في العرض والتحليل العميق، ولو سنحت له الفرصة في إكمال الكتاب لجاء فريداً في بابه، جامعاً لشتات الفنون، ومحيطاً بصفوة آراء المتقدمين، وحائزاً بنكت شريفة وحكم لطيفة.

أما المباحث التي يحويها هذا الكتاب القيم فهي كما يلي:

باب في الكليات:

١) ما هو النسخ، وتنقيح المسألة.
٢) الحكمة من النسخ.
٣) محل النسخ من الأمور.
٤) الناسخ لا يكون إلا الشارع، وهو الله تعالى ورسوله بإذنه.
٥) غير القرآن لا ينسخ.
٦) ×(تركه بيضاء لم يكتب شيئاً)
٧) ×(تركه بيضاء لم يكتب شيئاً)
٨) أهم النسخ ما جاء به القرآن لما قبله.
٩) ذكر قسمين من ثلاثة أقسام النسخ
١٠) الحكمة العامة في النسخ وهي تبقى
١١) القسم الثالث من النسخ الباقي.
١٢) جواب قول نفاة النسخ.
١٣) كشف معنى كلمة النسخ وبيان قول النفاة.

هكذا قام الفراهي بترتيب هذا الكتاب، ولكن بعض الأمور التي خطَّطها –رحمه الله- لم يتحقق بسبب نوع من الاستعجال في الكتابة أو أنه لم يجد الفرصة. وهذا شأنه في بعض مؤلفاته وهو يذكر أنه سيذكر فيما بعد ولكنه لم يفعل ذلك.

المطلب الثاني: تعريف "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي بن أبي طالب.

<u>أولاً: نبذة عن المؤلف:</u>

هو أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ؛ أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التواليف في علم القرآن محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع

عالماً بمعانيها. وُلد سنة ٣٥٥هـ، وقيل غير ذلك. ونشأ بالقيروان وترعرع، ورحل في طلب العلم إلى بلاد مختلفة، ثم ارتحل إلى الأندلس سنة ٣٩٣هـ، وأقام فيها حتى وفاته. وكانت له في الأندلس مكانة علمية مرموقة.

وله تصانيف كثيرة نافعة منها: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، و"منتخب الحجة" لأبي علي الفارسي، ثلاثون جزءاً، وكتاب "التبصرة في القراءات" في خمسة أجزاء، و"الموجز في القرءات" جزءان، وكتاب "المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره" عشر أجزاء، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة" أربعة أجزاء، وكتاب "اختصار أحكام القرآن" أربعة اجزاء، وكتاب "الكشوف عن وجوه القرءات وعللها" عشرون جزءاً، وكتاب "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" ثلاثة أجزاء، وكتاب "الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه" جزء، وكتاب "الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب"[(١)].

ثانياً: تعريف "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه":

سمَّى المؤلف هذا الكتاب بـ"الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه"، بما يدور حول المضمون وهو "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه"[(٢)].

وجمع فيه ما تفرق في كتب المتقدمين في علم الناسخ والمنسوخ ولم يحتو عليه كتاب واحد منهم، وما تباين في قولهم، واختلفت فيه روايتهم، ثم تتبع كتب أهل الأصول في الفقه فجمع فيه منها مقدمات في الناسخ والمنسوخ، وقد أغفلها أو أكثرها بعض من ألف في الناسخ والمنسوخ، فهي أصول لا يستغنى عنها، ووجد في كتب الناسخ والمنسوخ، أشياء دخل فيها وهم ونقلت على حالها، وأشياء لا يلزم ذكرها في الناسخ والمنسوخ وأشياء لا يجوز فيها النسخ، فذكر جميع ذلك من قولهم وبين الصواب من ذلك حسب مقدرته.

واهتم المؤلف أولاً بتقديم أصول النسخ ووضعها في عشرة أبواب، تكلم في الباب الأول عن معنى النسخ في اللغة والاصطلاح، ولم يذهب في تعريف النسخ في الإصطلاح إلى ما ذهب إليه غيره، بل عرفه بناء على المعاني اللغوية التي اشتق منها، وقدم تعريفاً عاماً، وأثناء حديثه فرّق بين النسخ والتخصيص والاستثناء.

---

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المحقق: إحسان عباس، دار صـــادر، بيــروت، ط١، ١٩٩٤، ج٥، ص٢٧٤.

(٢) مكي بن أبي طالب، أبو محمد حموش القيسي (المتوفى:٤٣٧هــ)، **الإيضاح اناسخ ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار النارة، جدّة، ١٤٠٦هــ-١٩٨٦م، ط:١، ص١٩.

أما الباب الثاني فقد خصصه "لبيان حقيقة النسخ وكيفيته ومن أين جاز ذلك"، وهو بذلك يُعد أول مؤلف ابتكر هذا الباب، فيقول "هذا الباب ما علمت أن أحدا سبقني إلى مثله وإلى مثل ما فيه من البيان"، فتحدث فيه عن علم الله -عز وجل- وأن التعبير في المأمور به فقط فيقول "فنسخ -أي الله- بحكمه مأموراً بمأمور به آخر فأمره، كلامه صفة له لا تغيير فيه ولا تبديل وإنما التغير في المأمول به.

والباب الثالث خصصه لبيان النص على جواز النسخ فاستدل بقول الله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(١)، وبقوله (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٢).

والباب الرابع فقد ذكر فيه ما يجوز أن ينسخ وما لا يجوز.

والباب الخامس في بيان أقسام المنسوخ فيقسمه إلى ستة أقسام، ويشرح كل قسم بشكل صريح، ويتمثل بآيات القرآن.

والباب السادس في بيان أقسام المنسوخ فيقسمه إلى ثلاثة أقسام، ويأتي لكل منها بشرح كاف بذلك، آي القرآن على سبيل المثال.

الباب السابع في بيان ما يجوز أن يكون ناسخاً ومنسوخاً، وجعل هذا الباب أيضاً في خمسة أقسام، وحذا حذوه في التشريح والتمثيل.

ثم يتبع بعد ذلك باباً للفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء، وبيان النسخ والتخصيص وتمثيله، وأقسام ما يخصص القرآن، وبعد هذا الباب يذكر آيات من كتاب الله من هذه الأبواب ويبينها ويشرحها[٣].

ويأتي بالباب التاسع لبيان شروط الناسخ والمنسوخ، والباب العاشر للقول الجامع لمقدمات الناسخ والمنسوخ، ثم يشير إلى أنه سيذكر الآيات التي وقع فيها الناسخ والمنسوخ سورةً وسورةً مع ذكر الاختلاف، ويقدم قبل ذلك باباً يذكر فيه جملة من المنسوخ ليسهل حفظها، وذكرها مجملة، ثم يختم الكتاب.

مميزات الكتاب:

١) جمعه ما تفرق في كتب المتقدمين ولم يحتو عليه كتاب واحد منها.
٢) ذكره ما تباين فيه قولهم واختلفت فيه روايتهم.
٣) تتبعه كتب الأصول وجمعه منها مقدمات في أصول الناسخ لا يستغني عنها وقد أهملها أو أكثرها كل من ألف في الناسخ والمنسوخ.

---

(١) سورة الرعد:٣٩
(٢) سورة الحج:٥٢
(٣) انظر: مكي بن أبي طالب، **الإيضاح اناسخ ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، ص١٨-٢٠

٤) ذكر ملاحظات على من كتب في النسخ ممن تقدمه، ونبه على أشياء دخلها وهم، ونقلت على حالها في كتب الناسخ والمنسوخ، وأشياء لا تلزم في الناسخ والمنسوخ، وأشياء لا يجوز فيها النسخ.

أقوال العلماء في الكتاب:

قال القاضي عياض[١] في ترتيب المدارك عن هذا الكتاب: "وهو كتاب حسن"[٢].

وقال الدكتور أحمد حسن فرحات الذي قام بتحقيق هذا الكتاب: "يبدو أنه "الكتاب" أفضل ما وصل إلينا مما كتب في الموضوع"[٣].

المطلب الثالث: الموازنة بين "الناسخ والمنسوخ" وبين"الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه".

تتجلّى للناظر أمور عديدة من خلال الموازنة بين كتاب "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي بن طالب وبين كتاب "الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ" للفراهي، وهي تتلخص فيما يأتي:

الأول: أن كتاب مكي جاء جامعاً لمباحث النسخ في القرآن الكريم، وهو يجمع أيضاً ما تفرق في كتب المتقدمين بأحسن ترتيب وأجوده. أما كتاب الفراهي فليس من الجمع والتكميل والشمول في شيء، فهو في الحقيقة رسالة أراد فيها المصنف الإبداع ودقة المبحث إلا أنه سبقته المنية وحالت دون إكماله.

الثاني: قد حفل كتاب مكي بن أبي طالب بالاهتمام بنقل أقوال العلماء المتقدمين وآرائهم ووجهات أنظارهم المتباينة، والمحاكمة بين هذه الآراء في ضوء الأصول العلمية. أما كتاب الفراهي فليس فيه ذكر الآراء وتمحيص الأدلة إلا القليل النادر.

الثالث: يشتمل كتاب مكي ابن أبي طالب على كثير من المباحث العلمية المتعلقة بموضوع النسخ مما لا نجد ذكره في كتاب الفراهي مثل: شروط الناسخ والمنسوخ، ونسخ السنة بالسنة، ونسخ القرآن بالسنة المتواترة ونسخ القرآن بالإجماع، ونسخ الإجماع بإجماع بعده.

الرابع: مما يفوق به كتاب مكي بن أبي طالب أنه يحيط بجميع الآيات القرآنية التي اشتبه على المفسرين وقوع النسخ فيها، فجاد قلمه ببحث علمي مقنع، مع وضوح الموقف ودقة المسلك والبراعة في الاستدلال. أما كتاب الفراهي فليس من هذه المباحث في شيء.

---

(١) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها سنة ٤٧٦هـ، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما سنة ٥٤٤هـ. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٥، ص٩٩.

(٢) انظر: **مقدمة التحقيق لأحمد حسن فرحات**، ص١١-١٥

(٣) انظر: **مقدمة التحقيق لأحمد حسن فرحات**. ص١١-١٥

المبحث الرابع: "أساليب القرآن" للفراهي والموازنة بينه وبين "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

المطلب الأول: تعريف "أساليب القرآن" للفراهي.

هذا الكتاب واحد من تلك الكتب التي ألفها الإمام الفراهي في علوم القرآن، ولا يصلح أن يعد هذا الكتاب من تصانيفه الناقصة كما يظنه بعض الباحثين؛ لأن التصفح في هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن الفراهي كان قد جمع إشارات وتلميحات وملاحظات في هذا الموضوع، ولكن لم تتح له فرصة لتسويدها، ولما توفي –رحمه الله- جُمعت هذه المواد العلمية والتلميحات النافعة، ونُشرت في كتاب.

وكان الفراهي سمى هذا الكتابَ بـ"كتاب الأساليب" بدلاً بـ"أساليب القرآن"؛ وذلك أنه ليس من قصده أن يختصه بالقرآن الكريم فحسب، بل كان يريد أن يكون أساس وضعه على أساليب كلام العرب، كما يقول: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلاً على رسول"(١).

وأقرب ما يمكن أن هذا الاسم كان مذكوراً في مسودته، ويؤيد ذلك أن هذا الكتاب قبل الطبع كان مشهوراً على الألسن بكتاب الأساليب، وذكره الأستاذ أمين أحس الإصلاحي في رسالة مطبوعة دورية بهذا الاسم، حيث قال: "كتاب الأساليب وأصول التأويل في صدد الطبع، وسيطبعان في أقرب وقت إن شاء الله"(٢).

وذكره أيضاً في مقدمة تفسيره "تدبر القرآن" بهذا الاسم حيث قال: "تنكشف بمطالعة القرآن الكريم، وأدب زمان نزول القرآن، أصول الحذف والإيجاز العديدة، رتبها أستاذي مولانا الفراهي وجمعها في كتاب له كتاب الأساليب"(٣).

ولا غرو أن الفراهي عندما يحتاج في أي كتاب من كتبه إلى ذكر مرجع هذا الكتاب فلعله أشار إلى هذا الاسم، إذ كان من قصده أن يكون أساس الكتاب على كلام العرب، لذلك سماه "كتاب الأساليب" ولم يسمه "أساليب القرآن"، ولكنه لم يستوعب هذا الموضوع، وكثيراً ما كتب في المسودة ما يتعلق بالقرآن الكريم، وما وجد من الأمثلة المتنوعة في أبواب متعددة وفصول مختلفة فهو مستقطب من آيات القرآن، بيد أن هناك أمثلة قليلة مأخوذة من كلام العرب، ولأجل ذلك قد تقرر عندي أن هذا الكتاب

(١) الفراهي، **أساليب القرآن**، ص٦.

(٢) انظر: شرف الدين الإصلاحي، **البلاغ پبلكيشنز**، نيو دلهي ٢٠٠١م، ص٥٩٧.

(٣) أمين الإصلاحي، **مقدمة تدبر قرآن**، فاران فونديشن، لاهور، ط١، ٢٠٠٩م، ج١، ص٢٣.

صار مسمىً بـ"أساليب القرآن" بعد، لئلا يختلف الاسم والمسمى، ولئلا يتباعد العنوان والألوان، وقد نسب الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي هذا الاسم إلى هذا الكتاب(١)، وسببه واضح جلي، وأيضاً أشار العلامة سليمان الندوي إلى هذا الاسم في ذيول كتابه "إمعان في أقسام القرآن"(٢).

إن قصد الفراهي من خلال ما ألّفه من الكتب في التفسير أو في فن آخر، لا يكون إلا تعبيد الطريق وتمهيد السبيل إلى فهم القرآن الكريم، وكما ختم الأستاذ كثيراً من الأمور المذكورة في كتابه لفهم القرآن، كذلك قد ألزم التطلع الواسع العميق على أساليب اللغة العربية وأساليب القرآن الكريم، ومراده هنا باللغة الأدب العربي الذي نشأ وترعرع في زمان نزول الوحي، ومن هذه الناحية لم يعتبر لغة المولدين لغة يستند إليها أو يوثق بها، حيث يقول عن غاية هذا الكتاب، ما نصه: كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه، يفتح باباً عظيماً لسوء التأويل، مثلاً قالوا: إن كلمة "لا" بما تأتي زائدة، فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتاً، فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نحو لها عن مواضعها الخاصة، ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة الحجة على هذه الدلالات، فإن ذلك جزء من معاني الكلام، والجاهل به كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة، فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره"(٣).

ومما يدل على أهمية الكتاب وموضوعه ومحتوياته وما يحتله هذا الفن من مكانة عالية شامخة التصريحات والتعليمات التي ذكرت في هذا الكتاب، ولكن الأستاذ الفراهي لم يتحدث عن أهمية هذا الفن ولم يتناول هذه النقاط إلا بإيجاز واختصار، ولو قمنا باستعراض هذه النقاط لطال الكلام ولضاق المقام، ولم يثر كذلك علماء المعاني موضوع أساليب الكلام، إلا أن الفقهاء الأصوليين اقتبسوا من هذا الموضوع بعض القواعد والمسائل حسب ما ألجأتهم الضرورة إليه، ولم يستطع هذا الفن أن يركز عناية عدد من الباحثين والمحققين رغم أنه يحمل في طيه أهمية بالغة قصوى، والإمام الفراهي هو أول من استثعر أهمية هذا الفن في فهم القرآن، ولم ير بداً أن يؤلف فيه تأليفا مستقلا، فلم يسبقه أحد في هذا الباب، والفضل في ذلك يرجع إليه، فليته أتَمَّ هذا الكتاب وفقاً لما كان تصوره، وما كان في الكتاب فهو ناقص، ورغم ذلك كله لا يمكن الجحود والإنكار بأهميته وإفادته، وهناك أمر يحتاج إلى الوضوح

---

(١) الفراهي، **مجموعة تفاسير فراهي**، فاران فونديشن، لاهور، ط١، ١٤١٢هـ، ص٤٤.
(٢) انظر ذيل كتاب "**إمعان في أقسام القرآن**، ترجمة صاحب هذه الرسالة.
(٣) الفراهي، **أساليب القرآن**، ص١٥٥.

والبيان وهو أن من يريد المطالعة والاستفادة من هذا الكتاب فليعلم أنه ليس تأليفاً مستقلاً بل هي مجموعة من الإشارات والتلميحات، وهي تتوخى منه المعرفة التامة والاطلاع الواسع على أفكار المؤلف ونظرياته وميوله مع التفكر والتعمق والنظر فيها.

وقد تطرق كلام المؤلف في هذا الكتاب إلى أساليب الكلام ومواقع استعمالها المتنوعة مصحوبة بالأمثلة القرآنية عن طريق العناوين المختلفة التي يصل عددها إلى اثنين وثلاثين بعد وضع الأبواب والفصول التمهيدية، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب ومواقع استخدمها.

ومما يجدر بالذكر أن الأمثلة المختلفة كلها في هذا الكتاب مقتبسة من القرآن الكريم، غير أن هناك أمثلة عديدة مأخوذة من أساليب كلام العرب، وتناول المؤلف الجرجاني(١)، والكسائي(٢)، والفراء(٣)، وابن تيمية، بدراسة نقدية، وإن نظرة سريعة على عناوين الكتاب ومحتوياته تكفي لمعرفة ذكاء المؤلف، وتوقد ذهنه، وتبحر علمه، وسعة مطالعته، وآرائه القيمة، وأفكاره السديدة، فجاء ككتاب مستقل بعينه يسلط ضوءاً على أساليب القرآن، ولكن كتاب الأساليب ينتظر عناية من الباحثين والمحققين.

---

(١) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. وله نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات – ط " و " شرح مواقف الإيجي – ط " و " شرح كتاب الجغميني " في الهيئة، و " مقاليد العلوم – خ " و " تحقيق الكليات – خ " وغيرها. ولد سنة ٧٤٠هـ وتوفي سنة ٨١٦هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٧.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالريّ سنة ١٨٩هـ، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٢٨٣.

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. سنة ١٤٤هـ وتوفي ٢٠٧هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص١٤٥.

المطلب الثاني: تعريف "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

أولاً: نبذة عن المؤلّف.

هو محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، محيي الدين الرحماوي ويقال له "بهاء الدين زاده": فقيه متصوف من الموالي الروميّة، معمر من أهل "بالي كسري". وُلد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى انتظم في حلقات الدروس، وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب "المنهاج في الفروع" للإمام النووي، وصار يعرف بالمنهاج نسبة إلى هذا الكتاب. وجمع بين آداب الطريقة وعلوم الشرع. تولّى من المناصب خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. وأقام في القسطنطينية. وتوفى بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة بكتمر الساقي(١).

وكان رضي الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعاً رقيقاً، يلبس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شؤون الحياة. ومن مؤلفاته: "تفسير القرآن" و "شرح الفقه الأكبر"، و"شرح الأسماء الحسنى"، ورسائل كثيرة في التصوف. وكان يكتب مصنفاته بنفسه، وخطه جدا قل من يحسن استخراجه، ولهذا شاع في الكتب المنقولة عن خطه الغموض والإبهام والتحريف والتصحيف ولقي منه القراء والدارسون العناء الكثير(٢).

ثانياً: تعريف "البرهان في علوم القرآن".

يُعد هذا الكتاب من أجمع الكتب في علوم القرآن وأوسعها وأفضلها ، فقد ضمن خلاصة ما وصل إليه من علم التفسير في أكثر الجوانب التي عني بها، فتناول التعريفَ بعلم التفسير وعلوم القرآن، ومعرفة أسباب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات، ومعرفة الفواصل ورؤوس الآي، وجمع الوجوه والنظائر، وعلم المتشابه، والمبهمات، وأسرار الفواتح والسور وخواتمها، ومعرفة المكي والمدني، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، ومعرفة على أي لغة نزل، ومعرفة جمعه وتدوينه ومعرفة تقسيمه بحسب سوره، وترتيب السور والآيات وعددها، ومعرفة أسمائه واشتقاقاتها وأسرار التقديم والتأخير، والتأكيد والمبالغة والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية والأنواع البديعية، والفروق في معاني المترادفات، وأسرار الكلمات التي ختمت بها الآيات إلى غير ذلك من النكت والأسرار.

---

(١) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله ، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ج١، ص٣-١٣.

(٢) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٦٠.

فجاء هذا الكتاب فريداً في بابه، جامعاً لصفوة آراء العلماء المحققين، وأقوال المتقدمين، يقول محقّق هذا الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تحقيقه له منوِّهاً بنبوغ المؤلف وفضله وسعة علمه كما يشيد بالكتاب: "كتاب البرهان في علوم القرآن الكريم وكتاب الله الخالد، قصره على سبعة وأربعين نوعاً كل نوع يدور حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه، يستأهل كل نوع أن يكون موضوعاً لمؤلف خاص حاول في كل موضوع أن يؤرخ له، ويحصي الكتب التي ألفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، فأشبع الفصول، وضم أقوال المفسرين والمحدثين إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلمين، وأصحاب الجدل، إلى مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان، فجاء ـ كما شاء الله ـ كتاباً فريداً في فنه، شريفاً في أغراضه مع سداد المنهج، وعذوبة المورد، وغزارة المادة، بعيداً عن التعمية واللبس نائياً عن الحشو والفضول"(١).

ولو قمنا بعدّ ما جمع الكتاب من وجوه القيمة الفنية وميزاتها الكثيرة ظهر لنا ما يفوق الاحصاء، ويتجاوز الاستقصاء، لكن يجدر بأن ألخِّص هنا بعض الجوانب القيمة التي جال فيها يراع المؤلف العبقري وأتى فيها بالعجب العجاب، فنذكر فيما يلي بعض السمات البارزة للكتاب.

ثالثاً: العناية بالنواحي البلاغية في فهم أساليب اللغة.

إن من بين وجوه إعجاز القرآن الكريم الصبغة البلاغية التي يتجلى بها، فهو نور من الكلام، أو كلام من النور، ولا عجب أن يكون كذلك، فهو تنزيل من حكيم حميد، ومن هنا فإن الإمام الفراهي الفاضل اهتم كثيراً بتجلية النواحي البلاغية في المباحث التي يستعرضها، أحياناً من قبل نفسه، وأحياناً كثيرة فيما ينقله عن الآخرين.

وحيث إن علم البلاغة يشتمل فنوناً ثلاثة وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فإن الإمام الفراهي ظهر اهتمامه بكل ذلك وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١) علم البيان: لقد ذكر الإمام الفراهي ما يندرج تحت هذا من أنواع متعددة، وإليك بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر: الاستعارة، والمجاز، والكناية المرشحة، والتشبيه وأنواعه، والتورية والاستخدام والفرق بينهما، فقد فصل المؤلف القول في جميع هذه الأقسام البيانية، وأكد على ورودها في القرآن، وردّ كذلك على من أنكرها، فقال الإمام الفراهي في مبحث

---

(١) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص١٢

الاستعارة: "هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن، ومنهم من أنكره، بناءاً على إنكار المجاز في القرآن"[١].

ثم يذكر الإمام الفراهي أمثلة الاستعارة في القرآن وحقيقتها وحكمتها فيقول: "وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو للجموع.

فمثال إظهار الخفي قوله تعالى: "(وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)[٢]، فإن حقيقة أنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ "الأم" للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً، فينقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان[٣].

٢) علم البديع: لقد حفل كتاب البرهان في علوم القرآن" بالأنواع الكثيرة التي يتضمنها هذا العلم، ومنها: التجنيس، والطباق، والمقابلة، ورد العجز على الصدر وعكسه، وإلجام الخصم بالحجة، والتذييل.

فبسط الإمام الفراهي الكلام في تعريفه، وأنواعه، بجانب ذكر الخلاف بين العلماء إن كان هناك، فانظر على سبيل المثال أنه ذكر التجنيس وأمثلته من القرآن ثم رد خلاف ابن أبي الحديد في إثبات التجنيس في الآية الكريمة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)[٤]، يقول: "نازع ابن أبي الحديد[٥] في الآية الأولى، وقال: عندي أنه ليس بتجنيس أصلاً، وأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا تكون إحداهما حقيقة والأخرى مجازاً، بل تكونا حقيقتين، وإن زمان القيامة -وإن طال- لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة، لأن قدرته لا يعجزها أمر، ولا يطول عندها زمان، فيكون إطلاق لفظة الساعة على أحد الموضعين حقيقة وعلى الآخر مجازاً، وذلك يخرج الكلام من التجنيس، كما لو قلت ركبت حماراً، ولقيت حماراً، وأردت بالثاني البليد، وأيضاً

---

(١) الزكشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص٤٣٢

(٢) سورة الزخرف:٤.

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:٣، ص٤٣٣

(٤) سورة الروم: ٥٥.

(٥) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، **الفلك الدائر على المثل السائر**، (المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة، ج١، ص٥١.

يجوز أن يكون المراد بالساعة الساعة الأولى خاصة، وزمان البعث، فيكون لفظ الساعة مستعملاً في الموضعين حقيقة، فيخرج عن التجنيس.

٣) الاستشهاد بالشعر: لم يكن خافياً على المؤلف دور الشعر في فهم القرآن الكريم وتفسيره، وفي توضيح المعاني، لذلك ذكر المؤلف الشواهد الشعرية كما استشهد المؤلف بالشعر في قضية ورود البعض وإرادة الكل، يقول: "ويجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل، وخرج عليه قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)[1] أي كله[2]، وقوله تعالى: "(وإِنْ يَكُ صادقًا يصبكم بعض الذي يعدُكم)"[3].

وأنشد بيت لبيد:

تَـرّاك أمكنـةٍ إذا لم أرضـــــها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها [4]

المطلب الثالث: الموازنة بين "أساليب القرآن" للفراهي وبين "البرهان في علوم القرآن" للزركشي.

من خلال استعراض الكتابين، فإننا نجدهما مشتملين على مباحث مهمة وفوائد جليلة، بحيث يتوافق كلاهما على غاية شريفة وهدف نبيل، وهو خدمة القرآن الكريم، وتمهيد السبل للتوصل إلى ما يتضمنه من اللطائف والأسرار المكنونة، كما يهدف إلى توضيح الآيات وتفسير البينات، ونجد كذلك تباين منهج العرض والاستدلال والترتيب والاختلاف في المباحث القرآنية.

الأول: فإن كتاب الفراهي كما سبق أن قلتُ إنه عبارة عن رسالة وجيزة تتحدث عن عموم أساليب كلام العرب، ويقصد إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، كما صرح بذلك الفراهي رحمه الله في بداية كتابه حيث قال: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه، فكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها"[5].

---

(١) سورة الزخرف: ٦٣.
(٢) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج:٢، ص:٣٣٤
(٣) سورة غافر:٢٨.
(٤) **الموسوعة الشعرية**، معلقة لبيد بن ربيعة العامري، ج١١، ص٣.
(٥) الفراهي، **أساليب القرآن**: ص٩.

أما كتاب الزركشي فهو بمثابة الأمهات للكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية، ومن ميزاته البارزة: الجمع والاستيعاب والشمول، مع أجود الترتيب والتبويب، وهو في أربع مجلدات ضخمة يجمع ما قاله الأئمة الأعلام في هذا الفن سواء كانوا مفسرين أم محدثين أم أصوليين أم لغويين أم بلاغيين، فيبدو الزركشي في كتابه كأنه يتوخى من خلال كتابه التعرض لجميع المباحث القرآنية واستيعابها بعقلية موسوعية. أما الفراهي فقد اقتصر على مبحث قرآني محدود، وناحية مخصوصة من الكلام الإلهي.

الثاني: تصدى كلا الكتابين للمباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدأ، والوصل والفصل والتذييل، إلا إذا أمعنا النظر بين الكتابين نجد أن الفراهي أقدر من الزركشي على تفسير مكنونات صدره وإثبات رأيه بكثير، كما أن الفراهي يمتاز أيضاً عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة، والتي لم أجدها عند الزركشي في "البرهان"، انظر في هذا المقال: "مبحث القرآن والوصل"، والفرق بينهما في كتابه الأساليب، وهو يدل على عقلية الفراهي المبتكرة، وطبيعته المخترعة المتوقدة، أما الزركشي فهو يقتصر على الاهتمام بنقل الآراء عن الآخرين أكثر من الاهتمام بالاختراع والابتكار.

الثالث: نجد ذكر مبحث الالتفات في الكتابين كليهما بغاية من الإسهاب والتفصيل فقد توسَّع المؤلفان كلاهما في بسط الحديث عن الالتفات وتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم، إلا أن الفراهي يتفوق على الزركشي بذكر الفوائد والحكم الخفية من مجيء الالتفات في القرآن الكريم، يقول الفراهي وهو يذكر فوائد الالتفات: "اعلم أن الالتفات في القرآن كثير جداً في كلام العرب، ومن فوائده العامة: انتباه السامع، ومنها إحضار البعيد، ومنها شدة الخطاب، ومنها صرف التوجه عن السامع تصغيراً له وإعراضاً عنه، ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم، ومنها التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية، والالتفات من مخاطب إلى مخاطب، والالتفات لتنويع المعنى والالتفات لإرادة التوبيخ"(١).

هذه بعض أهمّ جهود الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، وقد خصصت في هذا الفصل بما كان يتعلق منها بعلوم القرآن فقط، حتى أقوم بالموازنة بين كتب الفراهي فيها وبين ما كتبه فيها المؤلّفون السابقون، مع إبراز خصائص مناهج كل منهم في كتبهم.

---

(١) الفراهي، **أساليب القرءان**، ص١٧٠.

المبحث الخامس: البلاغة عند الفراهي.

سيتم عرض هذا المبحث عن البلاغة عند الفراهي دون المقارنة المباشرة مع أحد من كتب في الموضوع، فهم كثر، ولعل شيئا من المقارنة تأتي بطريقة غير مباشرة، فمعظم العلماء قد اعتمد بعضهم على بعض في مختلف العلوم، ومنها علوم البلاغة.

عني العلماء والأدباء بالبلاغة عناية فائقة ابتداءً من القرن الثاني من الهجرة، فصنف سيبويه(١) كتابه المسمّى الكتاب لسيبويه في النحو، يقول الزركلي عن هذا الكتاب: "لم يصنع قبله ولا بعده مثله"(٢). وصنف أبو عبيدة كتابه المعروف مجاز القرآن، والفراء معاني القرآن. وقد ظهرت هذه البذور في قواعد الشعر لثعلب(٣)، والبديع لابن المعتز(٤) الرائد في التأليف البلاغي ثم توالت التأليفات في فن البلاغة، وطلعت كتب لا بأس بها. منها: نقد الشعر لقدامة بن جعفر(٥)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(٦) والعمدة لابن رشيق(٧)، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وتوفي سنة ١٨٠هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٨١. وابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج١، ص٣٨٥.

(٢) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٨١.

(٣) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد سنة ٢٠٠هـ، ومات سنة ٢٩١هـ في بغداد. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٢٦٧. و ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج١، ص٣٠.

(٤) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد سنة ٢٤٧هـ، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١١٨. و ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج١، ص٢٥٨. و محمد، فوات الوفيات، ج١، ص٢٤١

(٥) هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٧هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٩١. و ابن النديم، **الفهرست**، ص١٣٠.

(٦) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته الى (عسكر مُكرَم) من كور الأهواز، وكانت وفاته بعد سنة ٣٩٥هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص١٩٦. و شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٥، ص١٩١.

(٧) هو أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني؛ أحد الأفاضل البلغاء، له التصانيف المليحة منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد. توفي سنة ٦٥٠هـ. أنطر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، =المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٣٣٢. و ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٢، ص٨٥.

الجرجاني[١]، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والجامع الكبير لضياء الدين بن الأثير، والبرهان، والتبيان لابن الزملكاني[٢]، ونهاية الإيجاز لفخرالدين الرازي، وبديع القرآن وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري[٣].

ومن يطالع هذه الكتب يجد أنها تتخذ عدة طرق في التصنيف، فكأنما كانت حرة في التقسيم والعرض إلى بداية القرن السابع من الهجرة، حيث جاء السكاكي[٤] فألف كتابه مفتاح العلوم، وخَص القسم الثالث منه بالبلاغة التي قسمها إلى علم المعاني، وعلم البيان، ووجوه يؤتى بها لتحسين الكلام، وسيطر منهج السكاكي على دراسة البلاغة، وهي التي أطلق عليها بدر الدين بن مالك[٥] في كتابه المصباح اسم البديع، وهو أول من تأثر به، ثم تلاه الخطيب القزويني[٦] وكتب كتابيه التلخيص والإيضاح. وتوالت الشروح والتلخيصات، ثم في القرن العشرين الميلادي نهض بعض المؤلفين ووضعوا كتبًا في البلاغة، ولكن لم يخرجوا عما اختطَّه السكاكي في مفتاح العلوم. وحاول المتأخرون أن يضعوا منهجًا جديداً. ولم يقف أمر البلاغة عند هذا الحد، إلى أن ظهر في غير أرض العرب الإمام

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر. واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) توفي فيها سنة ٤٧١هـ. وله شعر رقيق. انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج١٤، ص٦٣٩. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ) ج٥، ص١٤٩. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ج١٨، ص٤٣٢.

(٢) هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، أبو المكارم، كمال الدين، ويقال له ابن خَطِيب زَمَلْكا، أديب، من القضاة. له شعر حسن. ولي قضاء صرخد، ودرّس مدة ببعلبكّ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥١هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٧٦. و الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج١٤، ص٧١١.

(٣) هو عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصْبَع العدوانيّ، البغدادي ثم المصري، شاعر، من العلماء بالأدب. مولده سنة ٥٩٥هـ، ووفاته ٦٥٤هـ بمصر. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٣٠، و محمد بن شاكر بن أحمد، **فوات الوفيات**، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ج٢، ص٣٦٣.

(٤) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده سنة ٥٥٥هـ ووفاته سنة ٦٢٦هـ بخوارزم. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص٢٢٢.

(٥) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله، بدر الدين، نحوي، هو ابن ناظم (الألفية). من أهل دمشق وتوفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٣٠-٣١.

(٦) هو أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقانيّ رضيّ الدين القزويني: واعظ، عالم بالحديث، من أهل قزوين مولداً ووفاة، أقام زمنا في بغداد، ودرّس بالنظاميّة. وكان إماما في فقه الشافعية. ولد سنة ٥١٢هـ، وتوفى ٥٩٠هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٩٥-٩٦.

عبد الحميد الفراهي الذي دعا إلى الأخذ ببلاغة العرب لا بلاغة العجم، في كتابه القيم "جمهرة البلاغة".

المطلب الأول: ثناء العلماء على هذا الكتاب.

يقول الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي مشيرًا إلى هذا الكتاب: "هو كتاب نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة، التي يرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بها، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته. وقصد في هذا الكتاب إلى تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح"(١).

ومن فضل هذا الكتاب أنه لما أرسل الفراهي فصولاً من جمهرة البلاغة إلى العلامة شبلي النعماني، فأعجب به إعجاباً جعله يلخص مباحثه المهمة، وخاصة نقده لنظرية المحاكاة في مجلة "الندوة" التي كان يصدرها باللغة الأردية، مع أن النعماني نفسه يعدّ من أشهر النقاد والكتّاب ومن الأركان الخمسة للأدب الأردي"(٢).

يقول الدكتور أحمد مطلوب: "إن كتاب "جمهرة البلاغة" فريد حقاً؛ لأن مؤلفه بناه على غير ما بُنيت كتب البلاغة العربية إذ جعله قسمين: **الأول :**القسم العمومي. **الثاني :**القسم الخصوصي. وألحق بهما مباحث متفرقة، لما ندّ عن هذين القسمين"(٣).

يقول الزهراني عن قيمة هذا الكتاب: "تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في أنَّه رؤية ناقدة للبلاغة العربيّة في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية، حيث أدت تلك المثاقفة إلى زرع عدد من الرؤى الجمالية التي لا تتمثل خصوصيّة البيان العربي، ولا تقف على كمال بلاغته، وبخاصة في كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. كما أن الكتاب بحث في سياسة "الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصيّة البلاغة العربيّة، وفلسفتها للفن، وكيف نشأت تلك الفلسفة؟ وما الذي أدى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار، من خلال قراءة شاعريّة تقف على أدق قوانين الخطاب الأدبي في التراث البلاغي والنقدي عند العرب"(٤).

---

(١) الفراهي، **مفردات القرآن**، ص٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧.

(٣) انظر: أحمد مطلوب، جمهرة البلاغة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد٢، رقم البحث٦٧. والمقالة موجودة عندي بصورة بي دي ايف. ص١.

(٤) انظر: صالح سعيد الزهراني، **سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي**، (بحث محكم نشر في الموقع الرسمي لجامعة أم القرى) انظر: كليّة اللغة العربيّة، قسم الدّراسات العليا العربيّة، أعضاء هيئة التدريس، صالح سعيد الزهراني، سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهيّ، ص١٥.

المطلب الثاني: تعريف جمهرة البلاغة للإمام الفراهي.

تحدث الإمام الفراهي في هذا الكتاب عن أرائه ونظرياته البلاغية، ووضع أصولا جديدة في ضوء القرآن وأساليب البلغاء وفصاحتهم لفهم بلاغة القرآن.

والفراهي مع تقديره واحترامه للجهود التي بذلها البلاغيون لوضع أصول البلاغة العربية، يرى أن هذه الأصول معظمها مأخوذ من كلام اليونان الذي دخل العربية بواسطة التراجم. ولذلك لا يمكن فهم محاسن أسلوب القرآن ومزايا كلام العرب البلاغية بهذه الأصول، لأن كل شعب له أسلوب خاص في التعبير، والعرب كانوا أرقى الأمم في أساليب كلامهم. ولذلك كان على البلاغيين أن يأخذوا أصولا للبلاغة لشعر العرب وخطبهم، لا من كلام اليونان،، فيقول الإمام الفراهي بهذا الصدد: "كما أن علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن لأجل كشف إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه وقيدوها بالحدود ونظموها بترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام. ثمّ نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته. ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم. فإنهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم. إلا الأولين منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز ولم يبعده هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك لعرف منزلتهم في هذه الصناعة".[1]

ويثبت الإمام الفراهي بعد ذلك أن من أخذوا أصول البلاغة من اليونان أنهم قد تجاهلوا أن العرب كما كانوا على ذروة من البلاغة. فكذلك يملكون ملكة التمييز بين محاسن الكلام ومساوئه فيقول: "إنهم كانوا يباهون ببراعة الكلام ويحكمون بينهم من كان أبصرهم بنقده -الكلام- والأخبار في ذلك كثيرة حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة. فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم ويقودهم إلى حيث شاء ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري فوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم أم كيف يذعن لحكمة أرباب العقل فيهم".[2] ثم يقول: "لو التزم البلاغيون كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مهدها المبعدون لكان خيرا لهم. وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق. وإن لم تكن من طريق الصناعة".[3]

---

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٣.
(٢) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٤.
(٣) المصدر السابق، ص٧.

ويستطرد الإمام الفراهي فيوجب على العلماء البلاغيين أن يضعوا أصولا فنية دقيقة ثم يحكموا على الشيء بالحسن والقبح. وذلك لا يتأتى -عنده- إلا أن يقرؤوا جميع أداب الأقوام ويقارنوا بينها. والشيء المهم بهذا الصدد هو أن لا يأخذوا الأصول من لغة ويفرضوها على لغة أخرى، بل لكل لغة ميزة خاصة لا بد من النظر فيها ومعرفتها.

ثم يخوض الإمام الفراهي في أخطر مشكلة أدبية وهي مشكلة الصدق والكذب في الشعر. فكثير من النقاد قد تكلموا عن الفن كأنه وسيلة لجلب اللذة الجسمانية وإثارة الغرائزة البهيمية. ولذلك نراهم يهتمون للصياغة والأسلوب ولا يعطون أي حظ من عنايتهم للمعاني وهذا المسلك خطير للإنسانية، لأن الفن ليس مجرد وسيلة للذة ولا إشباع جوع النفس، بل هو وسيلة لنشر القيم الأخلاقية والتعاليم النبيلة بأسلوب ممتع جذاب. فالإمام الفراهي حينما يتكلم عن البلاغة أو الأدب فهو يتكلم كأديب مؤمن وناقد مسلم تقي يجعل نصب عينه القيم الأخلاقية والمعاني السامية التي هدف إليها القرآن الكريم.

يقول مبينا قصده: "إن الكلام لا يبلغ قلب العاقل إلا أن يكون معناه شريفا لا اعتبارا لتأثر الحمقى والأشرار. فإننا إنما نعطي الأشياء اسما لحاظا إلى سلامة الحال وإلا لزمك أن تسمي الكلام حسنا و قبيحا معا أو تسميه شيئا. وهذا يتضح لك كل الاتضاح إذا بحثنا عن أسباب بلوغ المعاني القلوب، فترى أن الألفاظ ربما تصرف عن قواعدها الصحيحة العامة لأجل المعنى الذي يبلغ نفسه بقوة فيه، ويجد الألفاظ حجابا وثقلا عليه كما أن ملكا جعل نفسه سفيرا. فالمبلَّغ هو المعنى، واللفظ مركبة، فالمعنى أجدر بالنظر في حسن الكلام"[١]. وهنا يؤيد الإمام الفراهي قوله بكلام شاعر أصيل عربي وهو زهير بن أبي سلمى الذي يقول:

وذي نعمة تممتها وشكوتها ... وخصم يكاد يغلب الحق باطله
دفعت بمعروف من القول صائب ... إذا ما أضل القائلين مفاصله
وذي خطل في القول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله[٢]

ثم يقول: "إن أحسن الكلام ليس في محض كونه محاكاة، بل في إبلاغ المعاني من المتكلم، وإن من غايته ليس إطراب السامع، بل كونه سفيرا صادقا للعقل، وإن التلذذ بها ليس لكون المحاكاة داخلة في عنصر الإنسان. بل لأن فيه استعمال أرقع قواه، وأن ليست المحاكاة قبل النطق من خصائص

---

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٧.

(٢) زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر المتوفى سنة (١٣ ق.هـ- ٦٠٩م)، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، المحقق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: -، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص١٣٨-١٣٩.

الإنسان، وإن الصدق يلزم المخبر، فإن خلطه الكذب أحبطه عن درجته وإن سوء المعنى يمحو عنه اسم البلاغة"[١].

والإمام الفراهي ليس وحيدا في هذا المضمار بل اشتهر شعراء العرب وأدباؤهم معه. انظر إلى الجاحظ فإنه جعل مدار البلاغة نور العلم وطهارة القلب، وإلى طرفة بن العبد البكوى حيث يقول:

وإن أحسنت بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا[٢]

والحقيقة أن الشاعر يصور ويحكي ما يجد في قلبه ويحس، ولا يحكي مما يحسه الناس. فهو في تصويره وحكايته صادق لا كاذب كما زعم النقاد. وهذا باب عال لم يبلغ كنهه إلا القليل. فلما رأى النقاد أن الشاعر يقول خلاف ما يجده الناس، فمثلا يصور الليل بأنه طويل -رغم أنه قصير- لأنه يشعر بالألم وفي حالة الألم يشعر الإنسان بأن عجلة الزمان واقفة، وهكذا جميع الأمور فزعموا أنه كاذب، وهذا خطأ شنيع فاحش. ومن ثم لا بد لنا أن نعرف بأن في مثل هذه الحالات يريد الشاعر أن يثير في الناس الإحساس الذي في قلبه لا يبعدهم عن حقيقة الأشياء، لأن الشاعر يعرف حق المعرفة بأن الناس لا يحسنون إحساسه ولا يشعرون شعوره، ولكنه لا يصرح بهذا بل يأخذ بأسلوب الكناية والتشبيه والاستعارة والمجاز، وما إلى ذلك من أنواع البلاغة، لكي يصحبه الناس في الشعور والإحساس، وتثور في قلوبهم العواطف التي في قلبه، فلا يصح لنا أن نقول "إن أحسن الشعر أكذبه"، لأننا نرى الشاعر يقول خلاف الموجود العام، بل ترى بعين الشاعر حتى تستطيع أن نفرق بين الإحساس والكذب.

وفي هذا الكتاب (جمهرة البلاغة) فوائد جمة تحتاج في تحليلها وشرحها إلى من يتفرغ من للبحث ليخرج ما فيه من آراء ومواقف وإبداعات للإمام الفراهي.

المطلب الثالث: منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة.

أما منهج الإمام الفراهي في هذا الكتاب فهو منهج نقد، فقد انتقد فيه البلاغيين، ومن ذلك النقد يعطينا فهمًا جديدًا لعلم البلاغة. يقول عن علم البيان بأنه "كالظل والأثر للنطق الذي هو مقوِّم للإنسان، كما أن النطق ظل من الوحي الأعلى وكلمة الله العليا. فالبحث عن أوليات علم البيان يجلبنا إلى الحكمة

---

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص١٣.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط:–، ١٤٢٣ هـ، ج٢، ص٤.

الإلهية"[١]. وقال إنه أراد بهذا التفريق بين تعاطينا العلوم لا سيما هذا العلم وبين تعرض الأمم الأخرى له، فإنهم نظروا إليه من نظر دني دنياوي فنالتهم غوائلها، وأبعدهم عن الحق باطلها، فتراكمت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض"[٢]. ويعلل الفراهي الاختلاف في تعيين الكلام الحسن والقبيح، فقال: على الرغم من أنَّ الناس اتفقوا على أنَّ في الكلام حسناً وقبيحاً، وعالياً وسافلاً" ولكنهم "اختلفوا على تعيين موضع الحسن وتفضيل بعض الكلام على بعض، حتى أن أبصر الناس بالنقد يخالف من هو ليس دونه، وهكذا العادة في كل لذيذ مرغوب؛ لأن أكثر الأشياء المستحسنة غير بسيطة، وأسباب الحسن فيه غير واحد"[٣].

المطلب الرابع: تأثير بلاغة العجم على بلاغة العرب.

المراد بالعجم عند الفراهي، هم قوم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز، والذين كانوا أقرب إلى معرفته – أي إعجاز القرآن- ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم فَإِنَّهُمْ أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم، إلا الأولين منهم كالجاحظ فإنّه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخلص. فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة واعترف بفضِلهم على المولدين، وقال بقول الجاحظ: "لم أجد في خطب السلف الطيب، والأعراب الأقحاح ألفاظاً منحولة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً ردياً، ولا قولاً مستكرهاً، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التحيز والتفكر"[٤]. فلما تركوا منهج كلام العرب صار أهم شيء عندهم البديع ومطمح نظرهم التشبيه، وعند الأول أولهما منكر، والثاني غير مهم لذاته"[٥]. وهو نقد لمنهج اليوناني ثم الذين اتبعوا منهجهم.

المطلب الخامس: مفهوم بلاغة العرب عند الإمام الفراهي.

يفرق الإمام الفراهي بين بلاغة العرب والعجم فهو يقول عن بلاغة العرب بأن العرب قد وهبهم الله البلاغة، منحهم القدرة على هذا الفن؛ "حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة، فكان

---

(١) عبد الحميد الفراهي، **جمهرة البلاغة**، الدائرة الحميديّة، أعظم كره، الهند، ط١، ١٣٦٠م، ص١.

(٢) المصدر السابق، ص٢.

(٣) المصدر السابق ص٢.

(٤) انظر: عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط.، ١٤٢٣هـــ ج٢، ص٨.

(٥) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٣.

خطيبهم يأخذ بزمام القوم فيقودهم إلى حيث شاء، ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء، فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري ذوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم، أم كيف يذعن لحكمه أرباب العقل فيهم"[١]. ويقول عن ذكاء العرب: "إنهم كانوا أذكى الأمم وأسرعهم إحساساً، وأشدهم عاطفة، كانوا أولى بالشعر من النثر -نثرهم أبعد من نثر الأمم- أهملوا فيه كل ما يناسب الشعر حتى القافية. وربّ خطبة جاءت منهم نظماً فليس للعجمي أن يفهم نثرهم من غير أن ينظر فيه كأنه نظم مع كلّ ما يختص بنظم العرب خلا الوزن. وليس له أن يمدحه أو يذمه إلا بعد هذه المراعاة. ثم ليس نظمهم كنظم سائر الأمم، رب أمة نظمهم كنثر حقيقي كما أن نثر العرب كنظم حقيقي"[٢].

بلغ الفراهي مبلغه في تفضيل العرب على من سواهم في الذكاء، وسرعة الإحساس، وشدة العاطفة. بهذا لا يريد أن يقول بتفضيل "عرق" على غيره، فالذكاء، والأحاسيس غرائز فطر عليها الإنسان، فهي تولد مع الإنسان أيّاً كان جنسه، بل أراد أن ينتقد البلاغيين الذين اتبعوا أرسطو في قواعد البلاغة. وهذا مما سماه الفراهي ببلاغة العجم.

المطلب السادس : أرسطوا ونظرية المحاكاة عند الإمام الفراهي.

وهذا جرّ الفراهي إلى نقد نظرية المحاكاة التي قال بها أرسطو،[٣] وقال: "فلو قال: إنّ الشعر بل كل كلام ونغم جنسه الأعلى تصوير لكان أقرب، إذ ليس بين المحاكاة والتصوير إلا فرق يسير، ولكنه أبعده عن الصواب خطؤه في غاية الشعر ومادته ومبدئه. وكان مثار خطئه كلام قومه واستعمالهم إياه. ولو بحث عن أمر الشعر على طريق الفلسفة، ونظر فيه من جهة العلل التي ألحَّ على البحث عنها فيما بعد الطبيعة، وردّ فيه على الحكماء الأقدمين لم يَخْفَ عليه الصواب بعد الاقتراب، ولم يلتبس عليه غاية الشعر"[٤]. وذلك لأن أرسطو يزعم مرة أنها الأثر والإطراب، ويزعم تارة أخرى أنها القصة، ولعل سبب ذلك أنَّ "كتابه على الشعر بداية ريعان حكمته، ورأى أن الأوْلى الصفح عن باطله لولا أنَّ العلماء

(١) المصدر السابق، ص٤.

(٢) المصدر السابق ص٣.

(٣) أرسطو: فيلسوف إغريقي، الملقب بـ (المعلم الأول) ، ويُسمى (أرسطوطاليس) ، ومعناه: محب الحكمة، وقيل: محبة الفضيلة، أستاذ الإسكندر المقدوني وتلميذ أفلاطون، كان بارعاً في الطب لكن غلب عليه علم الفلسفة، أول من قال بقدم العالم، وكان مشركاً يعبد الأوثان، وكان يرى أن (الإنسان حيوان اجتماعي) ، من مؤلفاته: (ما بعد الطبيعة) – يُعرف بـ (الإلهيات) و (الحروف) – و (السياسة) ، ت ٣٢٢ ق.م، **الوفيات والأحداث**، عضو ملتقى أهل الحديث عبر التاريخ ، ١٤٣١هـ، ج١، ص٣

(٤) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص ٤– ٥.

المسلمين حينما ألّفوا في البلاغة أذعنوا له فيما مَهَّدَه. ولو نظر الرجل في كلام العرب لأصاب الحقَّ، ولكنه نظر في كلام قومه فبنى فن نقد الشعر حسب ما وجد في أحسن كلامهم الذي كان الشعر منه قصصاً وحكايات مكذوبة مثل نظم هومروس[1] وسوفاكليس[2] وغيرهما، فأمعن فيها لاستنباط أصول النقد ومناط المحاسن "وهذا هو الطريق فإن المحاسن توجد أولاً، ثم أهل النظر يستخرجون منها الأصول" أي أنَّ أصول البلاغة والنقد تُستنبط من الكلام الذي يُدرس لا كلام لغة أخرى، وهذا ما جعل أرسطو يستنبط تلك الأصول لأنه رأى غالب صفة الكلام المستحسن عند اليونان قصة وحكاية عن الوقائع، ودفعه إلى ذلك أمران:

<u>الأول</u>: أنّ الإنسان حاكية بالطبع أكثر من سائر الحيوان، فهذه الصفة أنسب بطبعه، وأحبها إليه.

الثاني: أنَّ العلم مرغوب بالطبع، وحكاية الشيء تُخبر عن المحكي عنه، فلذلك هي محبوبة. ولهذا تَمَسَّكَ أرسطو بالمحاكاة وتعصَّب لها، ورَدَّ كل امرئ رأى خلافه، ولما كان جل أشعار اليونان "للتلذذ والتلهي في محافل المسامرة ونادي اللهو بحكايات مضحكة أو مبكية، لم يجد لمحاسن الأشعار غاية إلا الإطراب فقال: "إن يكن الصدق لا يطرب فينبغي للشاعر أن يزيد أو ينقص. ولم يكن في هذا الرأي بِدْعا في قومه فإنه ظن كما ظنوا فإن اسم الشاعر عندهم (المختلق) الذي يصنع الحكايات والقصص لإطراب السامعين""[3].

ويقول: "ولما رأى البلاغيون العرب أنَّ أرسطو أَسَّسَ الأمر على مهارة الاختلاق، سبق إلى ظن بعضهم أنَّ أحسن الشعر أكذبه، وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة والحكاية إلا التشبيه ظنوا أنّ الغلو في التشبيه من المحاسن. وكما أن المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة. ثم إنهم وافقوه في عين هذا الرأي فإنه قال في محاسن الكلام: "إنّ أعلى كمال البليغ أنْ يكون حاذقاً في استعمال التشبيه"، وقال صاحب

---

(١) هو شاعرٌ ملحمي إغريقي أسطوري يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإغريقيتين الإلياذة والأوديسة .بشكلٍ عام، آمن الإغريق القدامى بأن هوميروس كان شخصية تاريخية، لكن الباحثين المحدثين يُشككون في هذا، ذلك أنه لا توجد ترجمات موثوقة لسيرته. انظر:

Lattimore, Richmond. *The Odyssey of Homer*. New York: Harper & Row, ١٩٦٧.

(٢) سوفوكليس ولد حوالي سنة ٤٩٦ ق.م. في أثينا وتوفي سنة ٤٠٥ ق.م. أحد أعظم ثلاثة كتاب تراجيديا إغريقية. انظر:

Grene, David. *Sophocles*. Chicago: University of Chicago Press, ١٩٥٤.

(٣) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص ٦.

أسرار البلاغة: "كأن جلّ محاسن الكلام إنْ لم تنقل كلها متفرعة عنها أنواع التشبيه وراجعة إليها"[١]. وأدَّى هذا القول إلى أن المتكلفين من المولَّدين عكفوا عليه، فغاب عنهم ما كان للعرب من سِحْرِ الكلام وإعجازه ونظروا إلى الاستعارة التي هي مبالغة في التشبيه هذه النظرة، فغلب على ظنهم أنَّ الحسن أميل إلى الكذب"[٢]. واستدرك الفراهي قائلاً: "وإنّا لا نُنكر محاسن التشبيه وأنواعه، ولكنا نجعله متفرعاً عن أصل غير التشبيه، وأساسه الصدق، خلاف ما سمعت من مذهب أرسطو وأمثاله"[٣].

وقد جعل الفراهي فهم الخاطئ للنطق سببًا أساسيا لانحراف في التصوّر عند أرسطو وقد جعل المحاكاة طبعاً للإنسان والمحاكاة ليست من طبعه، وإنما الذي فطرته عليه أنه مخلوق ناطق، وأن النطق هو الفصل المقوّم له[٤]. يشرح الفراهي هذا ويقول: "والسبب: الإنسان إنما يحاكي الإنسان، ولو كان من طبعه المحاكاة لحاكى كلّ من مرّ عليه، أمّا محاكاته لوالديه فمثله كمثل سائر الحيوانات، فالطفل له خصال الإنسان بالقوة، فإذا رأى فعلاً انبعثت القوة فيه فخرجت، كرؤية الضحك التي تُضحِك. فالنطق مودع في فطرته، والقوة تلتمس السبيل للعمل وتلهم طريقة استعمالها، فالرضيع يمصّ إصبعه، ويحاكي الصوت ليعبر عما في داخله، فهو المعلم للسان، وليس المحاكي، وهو المبدع الذي يخترع الأسماء فيقول للماء مثلاً: مم، أو بب، فالقوة تلهمه طريقة التعبير، فالمحاكاة لها منتهى وأصل ثابت"[٥]. ولهذا فوصف الإنسان بأنه ناطق، وليس محاكياً أصحّ؛ لأن النطق نتيجة وعي وتفكير وإبداع، أما المحاكاة فكأنها تحيل الإنسان إلى آلة تُثار فتستجيب. والنطق الذي خصّ الله الإنسان به، وأودعه في فطرته ليس هو نطق الحروف من جهة نغمتها، فالبلبل له نغم، والحيوانات لها أصوات، وإنما المراد بالنطق: "الإفصاح عن مراد العقل". يقول الإمام الفراهي: "فاعلم أن النطق زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية، فليس لأحد من الحيوان فطانة كفطانة الإنسان، ولا لسان كلسانه، فمن كان أكملهم علماً وجسماً كان أشرفهم. ولا يخفى عليك أن اللسان طوع الفهم بعدما سوّيت خلقته فهو آلة يقلّبها العقل. وهذا الأمر يهديك إلى أن حسن النطق ليس في الحقيقة من جهة نغمته كنغمة البلبل، بل حسنه في كونه آلة صحيحة للعقل لكيلا يقصر أدنى الإقصار عن إفصاح ما أراده العقل وعن إبلاغه

---

(١) ينظر هذا الكلام: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، **أسرار البلاغة**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، د.ت.، ص٢٧.
(٢) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص ٧.
(٣) المصدر السابق، ص٨.
(٤) المصدر السابق: ص ٨.
(٥) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٨

إلى قلب السامع، فالنطق هو الرسول بين العقل والعقل"[١]. فـ"النطق عنده في مفاهيم البلاغة ليس حسن الصوت وعذوبته، لأن حسن الصوت موجود عند العصفور، وفي أوتار الآلة الموسيقية، وإنما هو القدرة على الإفصاح والإبانة عن المعاني العقلية والمشاعر النفسيّة. ولهذا فالنطق أساس المحاكاة؛ لأن المحاكاة لا تكون إلا بالنطق المفصح عن المراد فهي أمر ثانوي تكتسب به وسائل النطق فلو لم يكن النطق في الإنسان لما استطاع المحاكاة"[٢].

ثم تحدث عن أسباب الكلام من ناحية الحكمة والفلسفة فجعل قوة النطق علة فاعلية والمعاني والألفاظ مادة ورسالة العقل علة غائية، وحسن الكلام علة صورية. فالنطق الذي هو العلة الفاعلية يلبس المعاني الألفاظ التي ابتدعها المبدع أو تعلمها بالمحاكاة وذلك لإيصال رسالة العقل المبدع إلى العقل المتلقي لا لإحداث اللّذة؛ لأن الجاهل هو الذي يستعمل القوة للذة، أما العاقل الحصيف فهو الذي يوظفها للحكمة، فالحكمة أحقّ باسم الغاية؛ لأن غاية البيان أسمى من ذلك، وإن تحققت من خلال اللّذة، وهنا يتحقق حسن الكلام وكماله بالقدرة على الإبلاغ، فكل كلام إنما يتحقق له الحسن بالقدرة على الإبلاغ فالإبلاغ هو معيار حسن الكلام[٣].

هذا هو موقف الفراهي للمحاكاة التي شغلت أرسطو وكثيرًا من الفلاسفة المسلمين والمعاصرين، يقول أحمد مطلوب عن رأي الفراهي في المحاكاة بأنه: "رأي ينبثق من فهمه للكلام الذي لا يريدُهُ تقليداً أو محاكاة للواقع لئلا يؤخذ الطيب والخبيث، وهو ما لا يؤمن به من يربط الكلام عامة والشعر خاصة بالأخلاق"[٤]. وهذا ظاهر من قول الفراهي: "اعلم أنَّ حسن البلاغ وكماله يحتوي حسن ما يبلغه من الصُّوَر والمعاني وهو أولى باللحاظ فلا نقيمُ وزناً لكلام أبلغ بكمال الصحة شيئاً خبيثاً من نفس متدنية، فالخَرَسُ أحسن من هذا النطق. وهذا رأي يستدعي بياناً لصحته، فإن أبا جعفر قدامة صاحب "نقد الشعر"[٥] وهو أول مَنْ جعله فناً من العلوم قال قولاً يضل به الغافل وإن كان له وجه صحيح، فقال: "ليست فحاشة المعنى في نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته" وقال أيضاً: إنَّ الشاعر ليس يوصف بأنْ يكون صادقاً، بل إنما يُراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، فلم يرد من الشعر إلا شيئاً نازلاً وصناعة دنية كما هو وجد أكثر المنتسبين إليه وإليهم الإشارة في قوله تعالى: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

---

(١) المصدر السابق، ص ٩.
(٢) المصدر السابق، ص٩
(٣) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص١٠.
(٤) مطلوب، **جمهرة البلاغة**، ص٣
(٥) أبو الفرج قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تحقيق : الدكتور كمال مصطفى، (القاهرة، ١٩٧٩م)، ص ١٩.

الْغَاوُونَ)[(١)] ونحن نلتمس محاسن الكلام كما يليق به وكما وضعته الفطرة الإلهية، ويقتضيه كمال قوة النطق، ويستعمله الشاعر أو الخطيب الجديد بهذا الاسم"[(٢)].

فـ"البلاغ لا يكون حسناً وكاملاً إلا إذا كانت المعاني والصور التي يبلغها حسنة، يقبلها العقل السليم، ويستحسنها الذوق الرفيع، أمّا إذا كانت المعاني والصور قبيحة فلا يكون البلاغ حسناً، ولو أحسن المبدع بناءه اللُّغوي وطريقة عرضه، ولهذا ينتقد الفراهي مقولة قدامة ابن جعفر"[(٣)].

والشعر عند الفراهي قسم من أقسام الكلام، والكلام ليس اسماً للجرس المحض، بل هو شيء مركَّب من المعنى والصوت، والشيء المركب يحكم بحسنه لحاظاً إلى أصل الأمر فيه"[(٤)]. ويشرح الأمر بمثال فقال: "إنك لا تصف بالملاحظة وجه أعور أفطس إذا وجدت إحدى عينيه مليحة، فكذلك الأمر في حسن الكلام. نعم إنْ شئتَ قلت: إنَّ وزن هذا الشعر أو صوته حسن، ثم نُؤزّر هذا الرأي بأمر أقرب إلى الكلام من جهة الإبلاغ، وهو أن الكلام لا يبلغ قلب العاقل إلا أن يكون معناه شريفاً، ولا اعتبار لتأثُّر الحمقى والأشرار، فإنّنا إنما نُعطي الأشياء أسماءً لحاظاً إلى سلامة الحال، وإلا لزمك أن تسمي الكلام حسناً وقبيحاً معاً، أو لا تسميه شيئاً. وهذا أمر يتضح لك كل الاتضاح إذا بحثنا عن أسباب بلوغ المعاني القلوب، فترى أنَّ الألفاظ ربما تُصرف عن قواعدها الصحيحة العامة لأجل المعنى الذي يبلغ نفسه بقوة فيه ويجد الألفاظ حجاباً وثقلاً عليه، كما أن ملكاً جعل نفسه سفيراً. فالبليغ هو المعنى واللفظ مركبه، فالمعنى أجدر باللحاظ في حسن الكلام. فذانك برهانان ثم نعززهما بثالث، وهو أنّ العرب لم يحمدوا الكلام إلا لحسن معناه، وليس لهم نزوع إلى قول أدى الخبث فإنهم يذمونه ويحتقرونه"[(٥)].

المطلب السابع: الشعر والنثر البليغ عند الإمام الفراهي.

يفرق الفراهي بين الشعر والنثر البليغ، و يقول إن أول من أخطأ في عدم التمييز بين الشعر والنثر البليغ أرسطو وآخر هو جان مل[(٦)]. وأرسطو أشنع قولاً فإنّه ظن أن للمحاكاة طرقاً شتى. وفي

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٤

(٢) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٩-١٠.

(٣) مطلوب، **جمهرة البلاغة**، ص٣

(٤) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص١٠.

(٥) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص١١-١٣.

(٦) هو جون ستيوارت مل، هو فيلسوف واقتصادي بريطاني، ولد في لندن عام ١٨٠٦ م، نشأ في عزلة، فنال تربية عقلانية. تعلم الإغريقية في السنة الخامسة من عمره، حيث اطلع على أعمال هيرودوت وأفلاطون، وتعلم اللاتينية في التاسعة، وفي الثانية عشرة درس أرسطو ومنطق هوبز. انظر:

الكلام وسيلة لمحاكاة ثلاث: وزن، وألفاظ، ونغمة، فهذه محاكاة فرادى ومثنى وبأجمعها. ثم ظن أن المحاكاة هي الشعر، ومحاكاة معالي الأمور هي التي تسمى ابوبيه "EPOPEE" القسم الذي اختاره هومروس فقال: إنَّ ابوبيه تُحاكى بوسيلة الألفاظ وحدها كمكالمة سقراط، أو بوسيلة الألفاظ مع النظم كنظم فلان وفلان. ثم قال: إنَّ العادة علقت الوزن بالشعر، ولكن الذين نظموا كتباً في الطب أوْلى باسم الطبيب منهم باسم الشاعر. وإنه أصاب فيما قال: إن مجرد الوزن لا يتم به الشعر، ولكن العلة ليست أنَّ الوزن ليس من أجزاء الشعر بل لأن الكل لا يوجد بمجرد أن يوجد منه جزء، فجعل كلام هومروس وسقراط شيئاً واحداً، وزعم علاقة الوزن بالشعر نشأت من العادة. وأما جان مل فقارب الإصابة فيما فهم أنَّ الشعر هيجان، والشاعر يخاطب نفسه، فأمن بهذا الظن تخليطاً بين الشاعر والخطيب أو الحكيم، فلا يكاد يُعَدّ كلام سقراط من الشعر، ولكنه أوضح قولاً من أرسطو بأن الوزن أمر زائد على الشعر"(١).

ويتحدث عن الصوت وقال: "إنَّ له دلالة على بعض المعاني لمناسبة بينهما، وما من لغة إلا وفيه آيات على ذلك، وأما لغة العرب فالدلالة فيها أكثر وأبين من أن ينكره منكر. وأعجب من صاحب دلائل الإعجاز كيف أغمض عينه عن هذا الأمر، وردّ على العلماء الذين جعلوا للفظ حظًّا في مزية الكلام من جهة صوته"(٢). بعد ذكر الفراهي التفصيل في هذه المسألة، عاد إلى عبد القاهر وقال: "والعجب كل العجب كيف غلب الوهم على صاحب دلائل الإعجاز فزعم أنَّ المتكلم لا يعنيه إلا المعنى، ولا هَمَّ له في الألفاظ من جهة جواهرها، وخالف جمهور العلماء"(٣).

وكذلك تحدث عن الوضاحة من جهة اختيار المعاني، وقال: "إنَّ العرب كما أنَّهم اختاروا للمعاني من الألفاظ ما يكون أحسن تصويراً لها، فكذلك أنّهم اختاروا لها من المعاني ما يكون أرفقَ لتوضيحها وَرَفْع إبهامها"(٤). وذكر أمثلة شعرية كثيرة إيضاحاً لهذا الموضوع، وقد أكمل المبحث بالكلام على تصوير الشيء بالتشبيه، والاستعارة، والتمثيل، والمجاز وقال: "إنّ التَّصوير غير محصور في التشبيه وله طرق كثيرة"(٥).

Mill, John Stuart, and Harold Joseph Laski. *Autobiography*. London: H. Milford, Oxford University Press, ١٩٢٤.

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص١٧ – ١٨.

(٢) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣١.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٩.

ثم قال: "إنَّ المثال والتشبيه، والاستعارة، والمجاز تأتي بما يفصح عن صفة من غير جعل الشيء شيئاً آخر، فلا بُدَّ من مغايرة بين المشبه والمشبه به، وإلاَّ جعلوهما شيئاً واحداً"[١]. وأوضح دلالة التشبيه بقوله: "اعلم أنَّ الباعث الأول على التشبيه هو حرص الناطق على إظهار ضميره واستعمال قوة النطق بقوة حتى يجعل السامع كأنه قد رأى، وجرّب فتأثر به بما يزيده وضاحة وأثراً.

والباعث الثاني أن الناطق لا ينطق لمحض الإظهار ولكن ليؤثر في السامع، ويحركه، ويجلب رغبته أو نفرته إلى محض السمع ليعجب نفسه والناس بنطقه بالتصوير العجيب الحسن النادر، ويتوسل بذلك إلى أمور أُخَر من جلب الصيت أو منافع أُخر.

والباعث الثالث أنّه يتوسل بالتشبيه إلى تقرير، أو تحريض من جهتين مختلفتين:

الأولى: أنَّ المثل أشبه بأَنْ يكون كَمِثْله في أمور أُخَر.

والثانية: أنّ الأمر العقلي أو الدعوى المجهولة إذا صوّرت محسوسة أسرع الذهن إلى التأثر بها لفطرته بالتأثر للمحسوس وتعوده بذلك، كما ترى الناس يقرؤون القصص المكذوبة، ويضحكون، ويبكون، ويفرحون، ويحزنون بها مع علمهم بكذبها.

وانتهى إلى أنَّ التشبيه "إيضاح، وإعجاب، وتقرير، وتأثير"[٢]. وجرَّهُ الكلامُ على التشبيه إلى نقد عبد القاهر فقال: "إنَّ المولّدين زعموا أنّ الندرة والبعد في التشبيه من محاسنه، وقد أسهب الجرجاني –رحمه الله- في إثبات ذلك، وجمع التشبيهات الرديئة، وإنّا نُورد عليك منها لكي تعمل فيها ذوقك وتبين سخافتها"[٣].

أما القسم الثاني: الذي سماه بالخصوصي فقد اتخذ فيه منهجًا هو أقرب إلى الذوق وروح الأدب. فقال: "إنْ سردت الكلام سرداً ذهبت غافلاً عن بعض المعاني، بل ربما بَدَّلت المعنى مثلاً إنْ لم تقف على كلمة المرسلين في قوله تعالى: "(وجاءَ من أقْصَى المدينةِ رَجُلٌ يَسْعَى * قال: يا قومِ اتَّبِعوا المُرسَلينَ، اتَّبِعوا مَنْ لا يَسْألكم أجْرا وهُمْ مُهْتَدون)[٤] غفلت عن قوة الدليل، وأكدت على الأمر كأنك قلت: اتَّبِعوا اتَّبِعوا، فهذا مع الغفلة يرد المعنى من الأمرين إلى أمر واحد"[٥].

لم يذكر الفراهي في هذا المبحث الفصل ومواقعه، بل ذكر الآيتين وقام بتحليلهما حسب وقع الفصل بينهما حينما أعاد سبحانه وتعالى الفصل (اتَّبِعوا). والجديد في مبحث الفصل والوصل أنَّ

---

(١) المصدر السابق، ص، ٤٠

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) سورة يس: ٢٠ – ٢١

(٥) المصدر السابق، ص٦٢.

الفراهي ربطه بالخيال، يقول: "ثم الفصل يجعل الخيال جِسْرَاً بين معنيين، فإنْ وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما"[١].

وعقد مبحثاً بعنوان "حظ السامع"[٢] وهو رعاية جانب السامع، ومن هذا اللون: الاستفهام لينتبه السامع، والسكوت ليستريح، وبعض الحذف ليصير السامع متكلماً في نفسه فيعمل عقله، ومنبهات الرغبة والنفرة، والالتفات لينتبه بما أحس من تجديد، والتمثيل ليشاهد محسوساً، فينتبه من رقدته، وكل تبدل من الحركات، والالتفات وهيجان الضحك والحزن. فهذه مع فوائده الأُخَر أسباب لانتباه السامع. وتعرض لمباحث الحذف ومواقعه، وإدراج الدليل، والترتيب في النسق، والمقابلة، والاستثناء، وانتهاز الفرصة، والمجاز، والكناية، والتشبيه، ودلالة المجاز في الأزمنة، ولسان الغيب، والإشارة والتَّعريض. وهذه من فنون البلاغة التي وجدت سبيلها إلى التأليف، وإن جاء بعضها متأخراً في مسيرة البلاغة العربية.

وختم الكتاب بمباحث متفرقة هي: صرف الكلام عن سنته، والجملة المعترضة، ووجوه الخطأ في التمييز بين حسن الكلام وقبيحه، وروح البلاغة وسرها، وكمال البلاغة والإعجاز، ومناط كلام العرب، وأخلاق العرب (قوى العرب العقلية والكلامية) وارتجال العرب، وصوت الخطب، ومذهب العرب في نقد الكلام، وباب من التمرين في النقد، وباب نقد الكلام، والفواصل والقوافي، وبعض هذا ما لم تبحثه البلاغة العربية.

تتجلى في هذا الكتاب نزعة الفراهي واتجاهاته وهي اضحة كل الوضوح، وتتمثل في:

١. الاعتزاز بالعرب لأنَّهم من أذكى الأمم كما يرى.
٢. الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولا سيما لغة اليونان التي استقى منها أرسطوطاليس مفهوم الشعر والمحاكاة.
٣. تمسكه ببلاغة العرب والعزوف عن بلاغة العجم.
٤. العناية بالأسلوب العربي البليغ.
٥. الاطلاع على أهم كتب البلاغة العربية، وعلى كتب أرسطوطاليس، والشعر العربي.

وأهم ما تجلى في الكتاب:

١. تقسيم مباحث البلاغة إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخصوصي، وهو تقسيم جديد لم تألفه البلاغة العربية في تأريخها الطويل.

---

(١) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٦٢.
(٢) الفراهي، **جمهرة البلاغة**، ص٦٣.

٢. ربط البلاغة بالنقد، واتخاذها مقياساً في الأحكام النقدية.
٣. وضوح النزعة الأدبية في العرض والتحليل.
٤. إبداء الآراء الخاصة في القضايا المختلفة، ومن ذلك: نقض نظرية المحاكاة لأرسطو، ونقد عبد القاهر الجرجاني، والتمييز بين بلاغة العرب وبلاغة العجم، والفرق بين الشعر والخطابة، وغير ذلك من الآراء المبثوثة في مباحث الكتاب.
٥. إلحاق بعض المباحث العامة المتصلة بالنقد.
٦. وضوح أسلوب الكتاب في العرض والتحليل.

ومن هنا تأتي أهمية الكتاب، وتأمّلُ ما ورد فيه من مباحث وآراء، يَرفد الدرس البلاغي والنقدي، ويُضيف إليه النفع وإنارة السبيل، يوم تلبس البلاغة العربية ثوبها الجديد. وفي وقت نفسه أقول أن هذا الكتاب يحتاج إلى الدراسة والتحقيق والنقد. ولذلك، أختم جولتي في هذا البحث عن جمهرة البلاغة بتعليق الذي قدمه الدكتور أحمد حسن فرحات حول هاذ الكتاب، وهو يقول: "وإني قد وجدت في كتاب "جمهرة البلاغة" شيئا من الغموض، ويبدو أنه من أوائل الكتب التي كتبها الإمام وإن شيئا من التصرف في بعض الكلمات كالإظهار في موضع الإضمار وزيادة كلمة يقتضيها السياق وتصرف في تعدية بعض الحروف يجعل النص واضحا مفهوما وقد بدأ بكتابته لنفسه على هذه الصورة من التصرف كما أن هناك حاجة لتوثيق ما فيه من نقول ونصوص ولعلي أوفق لهذا قريبا"[(١)]. ولكن هذا الكتاب ما زال لم يدرس فيه وبقي كما هو.

(١) الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، (بالأردوية)، (وجدت في هذا الكتاب كلام أحمد حسن فرحات بالعربية)، دائرة حميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، الهند، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٨٨.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على خير رسله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد عاش الباحث مع موضوع هذه الدراسة بضع سنين، اجتهد في سبر أغواره، محاولًا إظهار جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن.

ومن النافع في هذا المقام، أن ألخص أهم النتائج، وأختم بالتوصيات على النحو التالي:

النتائج

النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال معايشته لموضوع هذه الأطروحة فهي كما يأتي:

١. إن للهند خدمات جليلة في مجال الدراسات القرآنية، زودت مكتبة علوم القرآن بكثير من التفاسير القيمة والكتب في الأصول والأحكام في كل من العربية والفارسية والأردوية.

٢. لقد تأثر مسلمو الهند تأثرًا بالغًا بأنماط الحياة العربية، وأقبلوا على استخدام اللغة العربية، وسرعان ما راجت هذه اللغة وشاعت كلغة علمية إلى جانب اللغة الفارسية التي كانت لغةً رسميةً، واللغة الأردوية التي تولدت في القرن العاشر الهجري.

٣. إن العصر الذي عاش ففيه الإمام الفراهي كان عصر التعصُّب المذهبي والفُرْقة، وعصر الخلاف بين أفراد الأمة، والجهل واتباع الهوى، والبدع والخرافات، وهذا بسبب معايشة المسلمين للإنكليز، المستعمرين للبلاد.

٤. إن الإمام الفراهي هو من العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ولذلك كانت شخصيته مرجعاً كبيراً لكثير من المثقَّفين المسلمين من علية القوم.

٥. إن الإمام الفراهي عرف في طيلة حياته، بفرط الذكاء، ونفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوِّعة. ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلّم اللغة العبرانية. وتلك أمور لم يتصف بها أحد من علماء الهند قديماً وحديثاً، ثم لم يزده ذلك كله إلا قوةً في الدين وغيرةً عليه، واستقامةً عليه علمياً وعملياً.

٦. إن منهج الإمام الفراهي في مؤلفاته يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتابٍ جمعوا في أول وهلةٍ مادةَ موضوعه، ثم رتَّبوها في صورة كتابٍ. أما الإمام الفراهي فله مذهب خاص به، فإذا شعر بحاجةٍ إلى الكتابة أو التأليف في موضوع ما، أو

حلّ مشكلة من المشكلات في مسألة علمية؛ فكانت الموضوعات في ذلك تتمثّل بين عينيه. وهو يُديم النظرَ والبحث فيها، فإذا حقّق مسألةً، أو حلَّ معضلةً، أو أحكم رأياً؛ قيَّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ..."، حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، لذلك كان يؤلّف كتباً عديدةً في وقت واحد، ولهذا السبب بقيت أكثرُ مؤلفاته ناقصةً.

٧. أنه لا يكرِّر في مؤلّفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفع. وهذه من أهم النتائج التي توصلت إليه البحث. ومنها تظهر مكانته العلمية الرفيعة بين أوساط العلماء.

٨. إن أسلوب الإمام الفراهي في مؤلّفاته كان يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل التي يراها صوابًا ولا سيما في المسائل العلمية التي يتسع فيها مجال الأخذ والرد، ولا يستطيع طرف أن يدعي أنه قال القول الفصل فيها.

٩. إن الإمام الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وأدابها وعلومها قد صار عربيا في التعبير والتحبير، وصار ذوقه الأدبي كالعرب الخلص. ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد غلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم فوق كل شيء. ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربيا خالصا.

١٠. إن للفراهي تفردات في تفسير كثير من الآيات وله عدة مواقف تفسيرية تختلف عن جمهور المفسرين. منها رأيه في نزول الآيات في بداية سورة عبس، وفي سورة الفيل وسورة المسد. وليس بالضرورة أن كل ما ذهب إليه الفراهي صحيح، فهو بشر يخطئ ويصيب.

١١. إن كتاب "مفردات القرآن" هو كتاب مهم لمعرفة أسرار القرآن وهو خير مرشد للاطلاع على بواطن الحكم القرآنية الدقيقة الغامضة التي لا يتكشف عنها إلا اللبيب الحاذق البصير، ولعلك على علم أن الألفاظ للمعاني بمثابة اللباس من الجسد والقشر من اللب، فلولا القشر لما صان اللب، ولولاه لما حلا التمر، فمعرفة الألفاظ المفردة هي البداية لمعرفة المعاني المستمدة من مجموعها، والاطلاع على الحكم والأسرار التي حصلت من بطونها، وكتاب الفراهي هذا من خير الكتب وأعزها لديه وأكرمها عنده. ومن يدرس هذا الكتاب يطلع على مدى سيطرة الفراهي على اللغة العربية وإلمامه ببلاغة العربية

١٢. إن للفراهي براعة في اللغوية الأدبية، وإلمام كامل بها، واطلاع واسع على أساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبديع وذوق للكلام العربي والشعر الجاهلي، ودراية

على تعبيرات الصحف السماوية والأحاديث والآثار، وتضلُّع من اللغات الأجنبية من الإنجليزية والفارسية والعبرانية. قدرة فائقة على الشرح والتحليل والتطبيق، وجرأة نقدية في هدوء وأدب واحترام للمتقدمين.

١٣. إن أسلوب الفراهي يمتاز بالرصانة، والجمع بين الإتقان والضبط والتدبر العميق، وشرح الدلالات الاستدلالية، وبين إظهار مكنونات الضمير بشجاعة نقدية دون خجل واكتراث بوجاهة أحد وجلالة قدره.

١٤. إن الفراهي كان يشعر بحاجة شديدة إلى تأليف مجموعة كتب فريدة جامعة شاملة للدارسين والباحثين عن الدراسات القرآنية خاصة والعلوم الإسلامية عامة. ولعل ذلك هو الدافع القوي الذي حفز المؤلف إلى تأليف سلسلة من المقررات في المبادئ والأصول. منها:

- مفردات القرآن وهو كتاب من الكتب الخمسة الرئيسية التي ألفها العلامة الفراهي تمهيداً للسبل إلى معرفة أسرار القرآن الحكيم ولمعرفة حكمه الدقيقة.
- أقسام القرآن وهو كتاب عكف عليه العلماء والباحثون يثنون على المؤلف بأسلوبه العلمي الرصين، وطريقة تدبره في القرآن، والاشتغال به، وسلامة فكره، ورجاحة عقله، وشجاعته العلمية النقدية.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن وهو كتاب فريد في بابه لما هو جامع لشتات الفنون، ومحيط بصفوة آراء المتقدمين، وحائز بنكت شريفة وحكم لطيفة، مع أن المؤلف قد عاجلته المنية، وانخرمت حياته دون إكماله.
- أساليب القرآن وهو كتاب يتحدث عن الأساليب عامة وليس مختصًا بالقرآن الكريم، وهو أساس في معرفة أساليب كلام العرب.

١٥. وجملة النتائج أن الفراهي كان جامعاً بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر هذه الثقافة الموسوعية العميقة في معظم مؤلّفاته، فـ"جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق".

ب- التوصيات

قد بدت لي بعد دراستي لهذا الموضوع مجموعة من الاقتراحات والتوصيات وأرجو أن تكون نافعة في بابها إن شاء الله تعالى:

أولًا: تأليف كتاب في أصول النظم للقرآن الكريم، ليستفيد منها علماء الإسلام في جميع أنحاء العالم. ولا يعرف الباحث كتابًا مستندًا كتب في أصول النظم للقرآن الكريم. ويمكن أن يقوم الدارسون والباحثون في الكليات المتخصصة بهذا العمل بالتعاون فيما بينهم.

ثانيًا: جمع مخطوطات الإمام الفراهي وتحقيقها، ومقارنة آرائه الشاذة مع آراء الجمهور، فلعل هذا يفتح بابًا جديدًا أمام أهل العلم للتجديد في الفكر.

ثالثًا: عقد المؤتمرات وقيام بالدورات العالمية والإقليمية والمحلية للاستفادة من علمه الغزير، ولنشره بما يكون فيه فائدةً عامة لجميع أهل العلم.

هذا وقد وفقني الله تعالى في إتمام هذا البحث، ما توفيقي إلا بالله، وعليه التّكلان، وأسأل الله تعالى وهو خير مسؤول أن يوفقني فيما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنني المداومة في سبيل العلم والعمل والدعوة.

وصلى الله على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.والله وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط:-، ٥م،(تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)، **ديوان امرئ القيس**، ط٢، ١م،(اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي)، دار المعرفة – بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

ابن أبي الأصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني (المتوفى:٦٥٤هـ)، **بديع القرآن**، ط١، ٣م، (تحقيق:حفني محمد شرف)، مكتبة نهضة، مصر، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

الإسكافي، أبو عبد الله حمحد بن عبد الله الأصبهاني(المتوفى:٤٢٠هـ)، **درّة التنزيل وغرّة التأويل**، ط١، ٢م، (تحقيق: محمد مصطفى آيدين)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(المتوفى:١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ١٥م، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى:٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، ط١، ٩م،(تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط:-، ٢٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى:٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، ٨م، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٨هـ.

الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) **سنن الترمذي** ، ط٢، ٦م،(تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر: جـ ١، ٢)، و(محمد فؤاد عبد الباقي: جـ ٣)، و(إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف: جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٦٢هـ)، **مجموع الفتاوى**، ط:-، ٣٧م، (تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ):

- **البيان والتبيين**، ط:-، ٣م، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ
- **الحيوان**، ط٢، ٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير(المتوفى: ٨٣٣هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط١، ٣م، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٥١هـ.

ابن جعفر، قدامة، أبو الفرج، **نقد الشعر**، ط:١، ١م، (تحقيق : الدكتور كمال مصطفى)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط:-، ٦م، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ط٢، ١٨م، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (المتوفى: ١٣٤١هـ):

- **الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمّى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، ط١، ٨م، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- **الثقافة الإسلامية في الهند**، ط٢، ١م، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- **الهند في العهد الإسلام**، ط:-، ١م، دار العرفات، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الحسيني، إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن أحمد بن حسين ابن حمزة ، برهان الدين الحنفي الدمشقيّ (المتوفى: ١١٢٠هـ) **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، ط:- ، ٢م، (تحقيق: سيف الدين الكاتب)، دار الكتاب العربي – بيروت، د-س.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ط٢، ٧م، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي(المتوفى:٤٦٣هـ)، **الفقه والمتفقه**، ط٣، ٢م،(تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي)، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.

ابن خلكان، البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، ٧م، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر: بيروت، ١٩٧١م.

الخالدي، صلاح عبد الفتح، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، ط٢، ١م، دار عمار، عمان، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

دراز، محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : عبد العظيم إبراهيم المطعني)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة، ١م، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

ابن درهم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى:١٣٦٢هـ)، **شعر المعري**، دار العباد، بيروت، ط:-، ١م، د.س.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ط١، ٣٧م، (تحقيق: بشار عوّاد معروف)، (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ط:٣، ٣٢م، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (المتوفى: ٤٠٣هـ) **المفردات في غريب القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ):

- **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط١، ٨م،دار الكتبي، عمّان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- **البرهان في علوم القرآن**، ط١، ٤م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي(المتوفى:١٣٩٦هـ- ١٩٧٦)، **الأعلام**، ، ط:-، ٨م، دار العلم الملايين، بيروت٢٠٠٢م.

زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر المتوفى سنة (١٣ ق . هـ ٦٠٩م)، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، ط: -، ١م، (تحقيق: علي حسن فاعور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ٤م، دار الكتاب العربي – بيروت، د.س.

الساداتي، أحمد محمود، **تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها**، ط١، ١م،دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ط٢، ١٠م، (تحقيق: محمود محمد الطناحي عبد الفتاح محمد الحلو)، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المشتهر الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ط١، ٤م، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، ط١، ٧م، (تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ):

- **الأم**، ط:-، ٨م، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- **الرسالة**، ط١، ١م، (تحقيق: أحمد شاكر)، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، ١٠م، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (المتوفى: ٧٦٤هـ) **فوات الوفيات**، ط١، ٤م، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ):

- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط: ١، ٢٦م، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر عبد السند حسن يمامة)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

- **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار**، ط.، ٢م، (تحقيق: محمود محمد شاكر)، مكتبة الخانجي – القاهرة، المطبعة: مطبعة المدني، د.س.

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو (المتوفى: ٥٦٤ م)، **ديوان طرفة بن العبد**، ط٣، ١م، (تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين)، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، ط:-، ٣٠م، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

عبد الغفور، محمود مصطفى جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، ط١، ١م،دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

عزّالدين عبد السلام، أبو محمد عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلمآء(المتوفى:٦٦٠هـ)، **تفسير القرآن**، ط:-، ٣م، (تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ١٥م، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ١م، عالم الكتب، بيروت ، ٢٠٠٨م.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٥م، (تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

الغوري، سيد عبد الماجد:

- **أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب**، ط٣، ١م،دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري**، ط١، ١م، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٢م.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط:-، ٣م، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الفراهي، عبد الحميد (١٣٤٩هـ):

- **إحكام الأصول بأحكام الرسول**، ط:١، ١م، (إعداد: د. عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ أمانة الله الاصلاحي)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند ، الهند، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- **أساليب القرآن**، ط:٤، ١م، جمع هذه الرسائل بدراللدين الاصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠١٣هـ.

- **إمعان في أقسام القرآن**. ط١، دار القلم، دمشق، ط١، ١م، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**، ط:١، ٢م، (الجزء الأول و الثاني) ابتداء من سورة الفاتحة لغاية سورة النور، (إعداد: عبيد الله الفراهي، ومراجعة الشيخ أمانة الله الاصلاحي)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- **تفسير سورة القيامة من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ط:-، ١م،الدائرة الحميدية، مدرسة الاصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٤٠٣هـ.

- **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ط١، ١م،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، فاتحة نظام القرآن بثلاثة عشر مقدمة، تمّ فسّر فيه هذه السور: تفسير سورة الفاتحة، الذاريات،التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب**، ط:١، ١م، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠٠٨م.

- **التكميل أصول التأويل**، ط:٤، ١م، جمع هذه الرسائل بدراللدين الاصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠١٣هـ.

- **جمهرة البلاغة**، ط١، ١م، الدائرة الحميدية، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٩٦٨م.

- **حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة**، ط١، ١م، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ٢٠٠٩م.

- **حكمة القرآن**، ط:١، ١م، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ٢٠٠٧م.

- **دلائل النظام**، ط:٤، ١م، جمع بدراللدين الاصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠١٣هـ.

- **الرائع في أصول الشرائع**، ط:١، ١م، (إعداد: عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ أمانة الله الاصلاحي)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند، الهند، ١٤٣٢ه ـ٢٠١١م.

- **الرأي الصحيح في من هو الذبيح**، ط١، ١م، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

- **الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ**، ط:١، ١م، (إعداد: عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ أمانة الله الاصلاحي)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كر، هالهند، الهند، ١٤٣٢ه ـ٢٠١١م.

- **القائد إلى عيون العقائد**، ط٢، ١م،الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٤٣١ه ـ ٢٠١٠م

- **مفردات القرآن، نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية**. ط٢، ١م، (تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي)، ار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

فرحات، أحمد بن حسن، **معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)**، ط١،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

الفريوائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ط٢، ١م،إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، ١٤١٣ه ـ١٩٩٢م.

أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، ط١، ١١م، (تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ):

- الفيروز أبآدي، **تنوير المقابس من تفسير ابن عباس**، ط:-، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.

- **القاموس المحيط**، ط٨، ١م، (تحقيق: كتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى:٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ١٠م، (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (المتوفى: ٦٤٦هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط١، ٤م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٢م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، **الشعر والشعراء**،، طـ، ٢م، دار الحديث، القاهرة١٤٢٣هـ.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن**، ط١٧، ٦م، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ١٤١٢هـ.

القنوجي، محمد صديق حسن خان (المتوفي: ١٢٤٨هـ)، **أبجد العلوم**، ط:-، ٣م، (تحقيق: عبد الجبار الزكار)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ):

- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٧، ٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٣، ٢م، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ):

- **البداية والنهاية**، ط:-، ١٥م، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

- **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨م، (تحقيق: محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩هـ.

- **جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن**، ط١، ١٠م، (تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش)، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

لَبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، ط١، ١م، (اعتنى به: حمدو طمّاس)، دار المعرفة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

لوبون، غوستاف، **حضارات الهند**، ط٢، ١م، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، **الموطأ**، ط١، ٨م، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي)، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، ط١، ١٩م، (تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م.

محمد خير رمضان يوسف، **تتمة الأعلام للزركلي**، ط٢، ٣م، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس الشافعي (المتوفى: ١٤٠٩هـ)، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، ط٢، ٢م، مكتبة طيبة: المدينة المنورة، د.ت.

المراغي، أحمد بن مصطفى (١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١، ٣٠م،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، ط١، ١٠م، مكتبة الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

مكي بن أبي طالب، أبو محمد حموش القيسي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، **الإيضاح لناسخ ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، ط١، ١م، (تحقيق: أحمد حسن فرحات)، دار المنارة، جدّة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى:٧١١هـ) **لسان العرب**، ط:-، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوعبن مرّة بن عوف بن سعد الذبياني الغفطاني (المتوفى: ٦٠٥م)، **ديوان النابغة**، د.ن، د.ط، ١م، ديوان النابغة، د.س.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، **المسلمون في الهند**، ط١، ١م، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

الندوي، إسماعيل، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، د.ط، ١م، دار الفتح، بيروت، د.ت.

الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج**، ط١، ١م، المجمع الإسلامي العلمي، لكنؤ، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف، (المتوفى: ٤٣٨هـ)، **الفهرست**، ط٢، ١م، (تحقيق: إبراهيم رمضان)، دار المعرفة بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى:٧١٠هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، ط١، ٣م، (تحقيق: وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

النسآئي، أحمد بن شعيب بن عبد الرحمن (المتوفى:٣٠٣هـ)، **سنن الكبرى**، ط١، ٦م، (تحقيق: عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

النمر، عبد المنعم، **تاريخ الإسلام في الهند**، ط١، ١م، هيئة مصر العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.

النمر، عبد المنعم، **مولانا أبو الكلام آزاد: المصلح الديني والزعيم السياسي في الهند**، ط١، ١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ٩م، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ)، ط١، ٤م، (تحقيق: خلاف محمود عبد السميع)، **غاية المقصد فى زوائد المسند**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (المتوفى: ٤٨١هـ)، **منازل السائرين**،، د.ط، ١م، دار الكتب العلمية، بيروتد.ت.

يحي بن سلام (المتوفى: ٢٠٠هـ)، **التصاريف: تفسير القرآن مما اشتبهت أسمآؤه وتصرفت معانيه**، ط:-، ١م، (التحقيق: هند شلبي) الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

يموت، بشير، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، ط١، ١م، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م.

د.م، **الوفيات والأحداث**، عضو ملتقى أهل الحديث / الباحث - غفر الله له - قال المؤلف: هو ملف مختصر للأحداث والوفيات عبر التاريخ، آخر تحديث بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ.

رسائل جامعية:

الأعظمي، معين أحمد، **الفراهي وأثره في التفسير**، لم يطبع، د.س.

افتخار أحمد، ١٩٩٦م.**الشيخ أمين أحسن إصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر القرآن"**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية بهاولفور، باكستان.

فرعون، روضة عبد الكريم، ٢٠١١م.**التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة**، أطروحة دكتورة غير منشورة، جامعة اعلوم الإسلامية، عمان، الأردن.

مجلات:

الحلوحي، صالح، **مجلة المخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القرءاة ومناهجها**، جامعة محمد خيضر بسكرة، جزائر، العدد الأول، ٢٠٠٩م.

القوزي، عوض بن حمد، معاجم غريب القرآن: مناهجها – أنواعها، (**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** – المجلد (٧٨) الجزء (٤).

المراكشي، تقي الدين، مقالة عن الفراهي، **مجلة الضياء**، (الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ في الهند)، المجلد الثاني، العدد السابع.

الندوي، سيد سليمان ، **ياد رفتگان**، (كراتشي، مجلس نشريات إسلام، سلسله مطبوعات، العدد ٦٤، د.س.

الندوي، سيد سليمان، في مقاله الذي كتبه إثر وفاة الفراهي في **مجلة "معارف" الأردوية**، (الصادرة عن دار المصنفين بأعظم كره في الهند)، المجلد ٢٦، العاد السادس.

هاشمي، جنيد أحمد هاشمي وسيد أزكياء، علوم القرآن في شبه القارة الهندية النشأة والخصائص، بحث منشور في **مجلة الدراسات الإسلامية**، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في باكستان، المجلد ١٠، العدد لعام ٢٠١٢م

مجلة الإصلاح، الصادرة عن مدرسة الإصلاح، عدد يناير، عام ١٩٣٦، ١٩٣٩، ١٩٣٩م.

باللغة الأردوية:

الإصلاحي، شرف الدين.

- **البلاغ پبلكيشنز**، ط١، ١م. نيو دلهي، الهند، ٢٠٠١م.
- **ذكر فراهي**، ط١، ١م. الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ٢٠٠١م

الأعظمي، ٢٠٠٦م.محمد عارف العمري، **تذكرة مفسرين هند "تذكرة المفسرين في الهند"**، ط٢، ١م.دار المصنفين، أعظم كره، الهند.

أمين الإصلاحي، ٢٠٠٩م.**مقدمة تدبر قرآن**، ط١، ١م، فاران فونديشن، لاهور.

شاه، محمد أكبرالبخاري، ١٩٩٩م.**أكابر علماء ديوبند**، ط١، ١م، إدارة إسلاميات، كراتشي، ١٤١٩هـ.

علي، سيد شاهد، ٢٠٠٩م.**أرود تفاسير، التفاسير الأردوية**، ط٢، ١م، كتابي دنيا، دهلي.

الندوي، سليمان، ١٩٧٧م. **مكاتيب شبلي**، ط١، ١م، دار المصنفين، أعظم كره، الهند،

الإنجليزية:

Grene, David. **Sophocles**. Chicago: University of Chicago Press, ١٩٥٤.

Lattimore, Richmond. **The Odyssey of Homer**. New York: Harper & Row, ١٩٦٧.

Mill, John Stuart, and Harold Joseph Laski. **Autobiography**. London: H. Milford, Oxford University Press, ١٩٢٤.

CONTRIBUTION OF AL-IMAM 'ABDUL HAMID AL-FARAHI AL-HINDI IN THE FIELD OF QUR'AN AND ITS STUDIES

By

Mohd Farid Ravi Bin Abdullah

Supervisor

Dr. Mohammad Khazer al-Majali, Prof.

ABSTRACT

This study proposes exposition of the efforts made by Imām 'Abdul Hamid al-Farāhi a native of India, in the field of interpretation of the Holy Qur'ān and its sciences. It has begun with an overview of the introduction of Islam in the Indian subcontinent, and has reviewed the efforts made by the scholars of this subcontinent in the field of interpretations of the Holy Qur'ān and its sciences before al-Farāhi. Afterwards, the life of al-Farāhi has been highlighted with the most important aspects of his personal and scientific life, moreover different affirmations of the great scholars has been presented with regard to his scholarly abilities.Then his methodological approach in the interpretation of the Qur'ān in the light of his Tafsir "Nizām al-Qur'ān" has been discussed, whereas the concept of the coherences in the Qur'ān according to al-Farāhi and other commentators who deal with the science of al-Nazm before him has been deliberated, and also his methodology of argumentation with references to the Hadith, and his awareness to the divine books, and to al-Qirā'āt has been stated, and also his approach to the interpretation of the verses which are related to the judgments, and his inference of Arabic poetry has been argued. Then his comments on his particular Mushaf and his methodology adopted therein has been studied. Similarly this thesis addressed some of his unique interpretations in al-Tafsir, and debated his view on the al-Dhabih (who was slaughtered), and his opinion on the arguments of the Qur'an and the wisdom of the Qur'an has been talked. Likewise this thesis has made a comparison of the efforts and views of al-Farāhi on the Qur'anic Sciences with some other books written in the Qur'an and its Sciences and also between his methodology and the methodology of previous scholars in their books on the subject. The thesis has concluded the number of findings and recommendations, which can summarized by saying that al-Farāhi has made great efforts in the field of the Holy Qur'an and its Sciences, and his writings have shaped many advantages which may not be found in former books, and thus became the owner of an independent school in this area.